

بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة الأزهر

كلية أصول الدين

الدعوة الاسلامية

بين سياسة عمر وعثمان

البحث المقدم من :

السعودي عبد المقصود ابراهيم المجسي

لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) في الدعوة والارشاد

اشراف الاستاذ الدكتور :

محمد الطيب النجار : أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة

بكلية اللغة العربية



" بسم الله الرحمن الرحيم "

مقدمـــة الرسالـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الخاتم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الدعاة الى الله عز وجل. وبعـد ،

فقد الزم الله عز وجل الرسول الخاتم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى الله عز وجل .

قال سبحانه (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا)[1] .

فقام بواجب الدعوة كما أمر الله عز وجل بمختلف الوسائل وشتى الاساليب كان صورة متحركة للدعوة الاسلامية دعا الى الله عز وجل بحركاته وسكناته واشاراته وتقريراته وقوله وفعله دعا بالتطبيق العملى فى جميع الاجهزة والميادين وفى شتى أمور الحياة لتسعد بها الامة فى دنياها وأخراها .

والانسانية بعد موت الرسول الخاتم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تحتاج دائما وأبدا الى من يحمل مشاعل تلك الهداية اليها لتظل الدعوة الاسلامية قائمة بين المسلمين وتنير الطريق أمام المعاندين والخصوم ليحيا من حى عن بينه ويهلك من هلك عن بينه . وليس فى هذه الدعوة وحمل تلك الامانة اختيار من جماعة المسلمين وانما هو واجب اسلامى يقول الله تبارك وتعالى (قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى)[2] ويقول سبحانه (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)[3] .

---

١) الاحزاب آية ٤٥ .
٢) يوسف آية ١٠٨ .
٣) آل عمران آية ١١٠ .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم " نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه) (١)

وكنت أسأل نفسي دائما وأبدا هل قام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الواجب الاسلامي مقتدين بهدى النبي صلى الله عليه وسلم خصوصا وقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم الامة الاسلامية اليهم فقال (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)(٢) كما الزم صلوات الله عليه الاقتداء بهم (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ)(٣) .

الامر الذى دعاني الى اختيار صحابيين جليلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هما عمر وعثمان رضوان الله عليهما كنموذج من النماذج الاصيلة العظيمة في ميدان الدعوة الاسلامية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

واخترتهما بالذات من بين الراشدين رضوان الله عليهم لانهما يتفقان في الغاية والمقصد ويختلفان في الطابع الذى يغلب على كل منهما ، فعمر يغلب عليه طابع الشدة والصرامة والحزم وعثمان يغلب عليه طابع اللين في غير ضعف .

كما اخترتهما أيضا لأنهما مع اختلاف في الطابع فقد حملا أمانة الدعوة الاسلامية باخلاص وسميت موضوع البحث (الدعوة الاسلامية بين سياسة عمر وعثمان) تعرضت لهما بمقدار ما يرسم الصورة الصادقة عن الدعوة الاسلامية في سياسة كلا الرجلين وكيف وأنهما كانا يترسمان خطاها في الميادين المختلفة وأصبح تجسدها في التطبيق في تلك الميادين أساليب وعوامل مختلفة في الدعوة الى الله عز وجل .

---

١) صحيح الترمذى ج ٢ ص ١٠٩ . (ط / دهلوى)
٢) حياة الصحابة (محمد يوسف الكاندهلوى) ج ١ ص ١٢ .
٣) سنن ابن ماجه ج ١ ص ١٦ .

وقسمتها الى بابين وخاتمه •

سياسة عمر وأثرها في الدعوة الإسلامية

فالباب الاول ويشتمل على الفصول الاتيـــــة :ـ

عمر وصفاته وأثر اسلامه في انتشار الدعـــوة •

وهذا الفصل يرتكز على عدة نقاط :ــ

* سبب اسلام سيدنا عمر رضى الله عنه : أوضحت فيها ان اسلامه رضى الله عنه كان عن اقتناع تام بالدعوة الاسلامية ولم يأت نتيجة لما يقال أنه قرأ القرآن في بيت أخته وكان هذا راجع الى تفكيره في الدعوة قبل ذلك وسماعه بنفسه من الرسول صلى الله عليه وسلم •

* أثر اسلام عمر على الدعوة الاسلامية : تبين من هذه النقطة أن اسلامه رضى الله عنه يمثل دورا جديدا من أدوار الدعوة الاسلامية حيث خرجت من دور الخلفاء (الخفاء) الى الجهـــر بها مما دلنا على أن اسلام عمر رضى الله عنه يمثل حلقة جديدة من حلقات الدعـــوة الاسلامية •

* وتحول صفات عمر ودفع عجلتها الى القوة وأصبح لها مقاييس جديدة وذلك بفضـــل هذه الدعوة الاسلامية التى آمن بها وذلك بضرب بعض نماذج من صفاته وذلك مثـــل الشدة والشجاعة والعدالة •

<u>الفصل الثانـــى</u> : • "عمر بعد اسلامه حتى موت الصديق رضى الله عنــــه وعلاقة ذلك بالدعوة الاسلامية "

قسمت هذا الفصل الى عدة نقاط :ــ

* عمر كان موضع مشورة النبي صلى الله عليه وسلم ، تبين منها أن رأى عمر كان لـــه وزنه في ميزان الاسلام وكان يحمل طابع الشدة والحزم اذا اقتضى الامر ذلك كما وضح منها أيضا سمو التفكير العمرى والاخلاقي الكامل للدعوة الاسلامية وضربت الامثلة على ذلك في أسارى غزوة بدر وغيرها . ونزول القرآن الكريم موافقا لرأيه فيها .

* وأوضحت فيه سياسة عمر ازاء المنحرفين على اختلافهم سواء كانوا كفارا أو منافقيــن أو مسلمين ضلوا الطريق وظهور طابع الشدة فيها ، وأن ذلك ليس لمآرب شخص أو لاجل شيء ذاتي وانما لانهم خالفوا الدعوة الاسلامية أو كفروا بها وضربت الامثلة على ذلك .

* وبينت أن هذا الطابع كان ملازما لعمر رضى الله عنه في ميادين الجهاد لحماية الدعوة الاسلامية .

* كما بينت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكرم في عمر طابع الشدة والحـــزم ازاء الباطل كما تعرضت لمحاولة قلب الحقائق في طعن عمر رضى الله عنه بأنه لم يلتزم بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الاخير ومنعه من الوصية لعلى بن أبي طالـــب رضى الله عنه .

* وفندت هذه التهم التي ظن أصحابها انها أصابت الهدف منها وخلصت منهـــا أنها تجافي الحقائق كل المجافاة والذي دعاني الى تفنيدها أن خروج عمر عن طاعـــة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني خروج عمر عن دائرة الدعوة الاسلامية .

* وأن سياسة عمر بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم كانت للحفاظ على الدعـــوة الاسلامية كدين ودولة وذلك بحسم الخلاف الذى يتم في اطاره وداخله الشيع والاحزاب واختلاق الاقوال التي تنسب الى الدين وهو منها برئ وذلك باختياره الموفق للصديـــق رضى الله عنه لما له من المزايا التي ارتكز عليها عمر رضى الله عنه والتي تؤهل الصديـــق رضى الله عنه للخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت أنه لزاما على أن أفنـــد

عليه وسلم موقفا غير محمود وذلك لاتصاله الوثيق بقصة الخلافة للصديق رضي الله عنه •

* وتفريط نسب الى عمر رضي الله عنه بتغيير طابع الشدة فيه على الخارجين علـــى الدعوة الاسلامية وما نسب اليه من الجهل بركن من أركانها مع بداهة هذا على الرجــل العادي في الاسلام فضلا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه •

* وأنه كان أول من اتجه بفكرة للحفاظ على مصدر الدعوة الاسلامية •

الفصل الثالـــث : (سياسة الحكومة والادارة في عصر عمر وصلة ذلك بالدعـــوة الاسلامية) •

تعرضت في هذا الفصل للنقاط الاتية :ـ

* بينت القواعد التي لابد منها لاقامة حكومة اسلامية من الدعوة الاسلامية وذلك بأن تقوم على أساسين من أسس الدعوة الاسلامية وهما العدالة والشورى •

* ثم أوضحت أن اختيار عمر للخلافة تم في اطار الدعوة الاسلامية • وأن حكومتـــه وادارته كانت صورة تطبيقية لقواعد الحكومة الاسلامية • وأوضحت أن منهج عمر في سياسته للدولة الاسلامية هو منهج الدعوة الاسلامية وأن طابعهما هو الشدة والصرامة مـــع مقارنة لما كان في عصر السيطرة الفارسية على المناطق التي أصبحت فيما بعد جزءا مـــن أجزاء الدولة الاسلامية •

* كما تعرضت لضرب النماذج العملية من سياسة الشدة للحفاظ على الدعوة الاسلامية وذلك ليتبين أن الدولة الاسلامية في عصر عمر في نظامها الحكومي والاداري كانت تسدور وفق مبادئ وقيم انسانية أمرت بها الدعوة الاسلامية •

* وهذه المثالية المنقطعة النظير كانت عاملا من عوامل نشر الدعوة الاسلامية •

الفصل الرابـــــع : (أسباب انتهاج عمر وعثمان سياسة الفتح وعلاقة ذلـــك بالدعوة الاسلامية) .

وهو يشتمل على نقاط :

* أوضحت فيها موقف امبراطوريتي فارس والروم من الدعوة الاسلامية كدين ودولـــة بينت فيها أنها كانت قائمة على العداء السافر وأن كلا منهما حاربت الدعوة الاسلا ميـــة بشطريها وأوضحت فيه موقف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منهما .

* كما أوضحت فيها أن هذه البلاد في هاتين الامبراطوريتين كانت في حاجة الـــى الاصلاح الشامل والعلاج السريع .

* وأن عالمية الدعوة الاسلامية هي التي دفعت بعمر وعثمان الى العمل الى انتهـــاج سياسة الفتح وأيدت ذلك بالأدلة الصريحة من الكتاب والسنة النبوية الشريفة من قولـــ وفعل النبي صلى الله عليه وسلم .

* وقد جرنا البحث للتعرض لأقوال المستشرقين الذين يقولون بأن هذه السياســـة لم تكن موجودة لا في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عصر الصديق رضي الله عنه وقد رددنا عليهم لينجلي الامر وتظهر الحقيقة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي أرسى دعائم هذه السياسة وسار على نهجه الخلفاء الراشدون رضوان الله عنهم .

* كما ناقشت في هذا الفصل الدوافع المختلفة للفتح الاسلامي وأثبت أن الدافـــع للفتوحات لم يكن هو الدافع الاقتصادي الذي ركز عليه المستشرقون وجعلوا أنفسهم يدورون في فلكه مثل السير توماس أرنولد والدكتور فليب حتى ومن سار في ركابهم مثل الدكتـــور عبد المنعم ماجد ورددت على هذه الافتراءات وهذه المزاعم وأثبتت أن الدافع الأصيـــل للفتح الاسلامي انما هو دعوة الناس الى الله عز وجل وأيدت هذا بما ينقض اتهامهم وذلك بالجزية الضئيلة التي فرضها المسلمون على أهل البلاد المفتوحة ومراعاتها لحال النـــاس واعفاء أصحاب الحاجات منها .

الفصل الخامس : (فرية انتشار الاسلام بحد السيف)

وكان لزاما على أن أتحدث عن هذه الفرية وكشف القناع عنها لانها تتعلق بسياسة الفاتحين المسلمين بأهل البلاد المفتوحه وانتشار الاسلام بينهم ذكرت فيهما النصوص الواردة فى الكتاب والسنة النبوية الشريفة على حرية العقيدة لان المسلمين الفاتحين كانوا ملتزمين بها •

كما أيدت ذلك بتحليل الامام الشيخ محمد عبده برفضه هذه الفرية ومن المستشرقين أنفسهم مثل السير توماس أرنولد فى كتابه الدعوة الى الاسلام •

كما بينت فى هذا الفصل بأن المسلمين ما حملوا سيوفهم الا لرد العدوان وتأمين طريق الدعوة الى الله عز وجل واستدللت على ذلك بنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة •

كما أننى رددت على دعوى القائل بأن الجهاد فرض لاجبار الناس على اعتناق الاسلام وأنه لا بد لغير المسلمين أن يدينوا بالاسلام طوعا بالحكمة والموعظة الحسنة أو كرها بالجهاد والغزو •

وكان لزاما على أن أضع أيدى أصحاب هذه الفرية على العوامل الاصيلة فى نشر الدعوة الاسلامية وأن ذلك راجع الى ذاتية الدعوة الاسلامية نفسها وما تضمنته من مبادئ وأخلاق ومعاملات وصورتها العملية التطبيقية بين معتنقيها وخصوصا فى الصدر الاول من الاسلام •

وأن ذاتية الدعوة الاسلامية يبرز فيها ثلاثة أمـــــــور :ـ

١) أن الدعوة الاسلامية ملائمة للفطرة بل هى الفطرة نفسها •

٢) وكونها تخاطب العقل وتكرمه الى أبعد الحدود وكل ما ينافى ذلك ترفضـــــــه الدعوة الاسلامية •

٣) سهولة هضم العقيدة وتصورها عقليـــــــا •

وذلك كله مؤيدا بالنصوص الدينية الثابتـــــة •

الفصل الســــادس: (الحياة الاجتماعية فى عصر عمر وتأثرها بالدعـــــــوة الاسلاميـــة) •

لم يكن غرضى من هذا الفصل بيان جميع جوانب الحياة الاجتماعية لان هــــــذا المطلب طويل ومتعدد الجوانب وانما قصدت فقط أن أبين بعض الصور التى كانت شائعة فى المجتمع الاسلامى التى جسدها عمر من مبادئ الاسلام وقيمه كنماذج من الحيـــاة الاجتماعية الاسلامية ليعلم من خلالها والانطباعات التى يتركها فى النفس البشرية أن عمـر رضى الله عنه كان ينطلق من خلال الدعوة الاسلامية وأن طابع الشدة وملامح الحـــــزم فى تجسيد عمر لها كان العامل الاساسى فى وصول المجتمع الى هذه الحالة المثاليـة •

وقد تعرضت فى هذا الفصل لبعض أقواله التى تحمل بين ثناياها التهديـــــد والانذار لمن تسول له نفسه الخروج عن المنهج الاخلاقى الذى رسمته الدعوة الاسلامية لاتباعها وذلك حفاظا على عدم سقوط المجتمع الاسلامى فى الرذيلة •وأوضحت أن ما كان يجرى على لسان عمر رضى الله عنه وأخذ به الامة المسلمة كانت الامبراطورية الفارســية محرومة منه حرمانا كاملا فقد شاع فيهم الفوضى الاخلاقية حتى أصبح مذهبا ودينـــــا واعتنقته الطبقة الحاكمة بسلوكهم المعوج الخبيث وظهر ذلك فى سلوكهم وأقوالهم •

ثم تعرضت لمبدأين فطريين دعت اليهما الدعوة الاسلامية لانها دعوة الفطـــرة وهما المساواة والحرية وكيف وأن عمر رضي الله عنه كان يحرص كل الحرص على تطبيقهما فى المجتمع الاسلامى بقوله وفعله وضربت نماذج على هذا تدل دلالة لا تدع ريبا علـــــى أن روح المسلمين قد تشبعت بهذين المبدأين •

ولكى أبرز هذه الصور وهذه الحياة وأوضح أنها مثالية فى بابها كان لزامـــــا أن أتعرض لمجتمعات كانت معاصرة لهذا المجتمع الاسلامى فوجدتها بعيدة عن هـــذه الروح الاصيلة فى المسلمين وهذه المثالية فى الحياة الاجتماعية فى عهد عمر رضى اللـــه عنه جعلت المسلمين يلتفتون الى بعض أسرار عظمة الدعوة الاسلامية التى القت ظلالها على المجتمع الاسلامى ونظر الغير الى هذه المثالية فكانت بحق عاملا من عوامـــــل الدعوة الى الاسلام •

الفصل السابـــــع : سياسة الحزم فى اجتهاد عمر للحفاظ على الدعوة الاسلامية •

تعرضت فى هذا الفصل لبعض اجتهادات عمر فى الدعوة الاسلامية وبينت فيـــه أن عمر رضى الله عنه فهم الدعوة الاسلامية على أنها متطورة وليست جامدة لملائمة كـــل التغيرات والمستحدثات • ولاجل هذا كان عمر رضى الله عنه يجتهد ما وسعه الاجتهاد ويدور مع علة النص وجودا وعدما ويبحث عن روح التشريع فى غاياته ومقاصده ويطبق ذلـك على الناس فاذا ورد نص لم يبق فى أحوال الجماعة ما يقتضى تطبيقه لم يطبقه واذا اقتضت أحوال الجماعة تأويل النص أوّله حريصا فى هذا وفى ذلك على ملائمة الحكم لاحـــوال المجتمع •

ولذلك وجدت أن عمر رضى الله عنه لتغير الظروف فى عصره واستهتار بعض أفـــراد المسلمين وتلاعبهم ببعض ما نهى الاسلام عنه رأى أنه لا بد من اتباع سياسة الحزم والشدة والصلابة حماية للدعوة الاسلامية ووافقه على هذا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلـم وركزت هذا على نقطتين :ـ

١ـ شدته وحزمه فى سياسته المالية • ٢ـ شدته مع العابثين والمستهترين بقيم الاسلام •

ورأيت من الواجب الذى لا مفر منه لكى أبرز اجتهاد عمر هذا وأنه لم يسبق أن أوضح ما كان عليه العمل فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وعصر الصديق رضى الله عنه ازاء هاتين النقطتين • وأن مرونه عمر فى اجتهاده الى هذا الحد فى فهم الدعوة الاسلامية مما لفت أنظار الذين آموا بها الى الاسرار العظيمة فيها ، كما أنه بهذا أثار فى نفوس المخالفين الفهم لهذه الدعوة الاسلامية مما كان سببا وعاملا من عوامل الدعوة الى الله عز وجل •

الفصل الثامن : (الدعوة من سلوك عمر رضى الله عنه)

وهو يشتمل على نقاط : بينت فيها كيف كان عمر رضى الله عنه صورة مجسمة متحركة للمثل العليا والاخلاق الفاضلة باعتبارهما الغاية من الدين الحنيف وأعطى بذلك القدوة الحسنة للناس بسيرته وسيرة أسرته وكان من أبرز ملامح تلك الصورة الشدة والحزم التى أخذ بهما نفسه وأسرته •

وضربت الامثلة على ذلك بتتبعه فى بعض صلاته مع ربه عز وجل وفى حياته الخاصة فى مأكله وملبسه ، ومع أسرته وكيف كان يعاملهم وكان من أبرز ملامحها الشدة كما اشتملت هذه النقاط فى هذا الفصل : كيف كان عمر كذلك صورة متحركة للدعوة الاسلامية فى سياسته مع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع الضعفاء ومع المسلمين عامة وقت المحن والشدائد وكان من أبرز ملامحها الرحمة والرفق بهم والشعور بالواجب ازاءهم وذلك بضرب الامثلة المتعددة لهذا السلوك القويم وهذا الخلق العظيم •

وهذا يعتبر عامل من عوامل الدعوة الى الاسلام لفت الله سبحانه اليه فى كتابه الكريم اذ قال للناس جميعا (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنه لمن كان يرجو الله واليوم الاخر)(١) •

---

(١) الأحزاب آية ٢١ •

الفصل التاســـــع : (سياسة القضاء والحسبة فى عصر عمر وعلاقة ذلك بالدعـــوة الاسلاميـــة) .

يشتمل هذا الفصل على النقاط الاتيــــة :

بينت فيها مقومات سياسة القضاء من الدعوة الاسلامية من عدالة ومساواة كما تعرضت لبيان القضاء فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وعصر الصديق رضى الله عنه ثم انتقلت الى القضاء فى عصر عمر رضى الله عنه وأوضحت فيه أن عمر بما يحمل من المزايا المتعددة التى يتميز بها عن غيره جعلته قاضيا من طراز فريد وبينت بعضها التى منها الفراسة وليـــس هذا فحسب انما كان له دستور فى القضاء أرسله الى بعض قضاته وهذا الدســـــــتور لا يزال يعتبر حتى الان أصلا من أصول القضاء فى العصر الحديث وكان ملتزما به هو الاخر وضربت الامثلة والنماذج على ذلك فى قضائه مثل قضايا المغيرة بن شعبة حين اتهـــم بالزنا وهو والى وجبله بن الايهم الغسانى حينما ضرب رجلا من بنى فزارة مع أن جبلـــه كان ملكا وضرب ابن عمرو بن العاص للرجل المصرى . بينت فى هذه الاقضية كيف كان عمـــر رضى الله عنه يعطى الصورة التطبيقية النموذجية لما رسمته الدعوة الاسلامية للقضـــــاء وهذا التطبيق العملى المثالى لتلك المبادئ بلا تفريق بين كبير وصغير وشريف ووضيـــع أو غنى وفقير يلفت نظر الاتباع الى عظمة الدعوة الاسلامية وليس هذا فحسب وانما يلفـــت أيضا المخالفين فى العقيدة اليها فكان القضاء بحق عاملا من عوامل نشر الدعوة الاسلامية وذيوعها بين الناس .

وقد تعرضت للحسبة لما لها من العلاقة الوثيقة بالدعوة الاسلامية وأنها من مزايـــا ابن الخطاب رضى الله عنه . أوضحت فيها كيف أن عمر رضى الله عنه كان حريصا على أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر وهذا صلب الدعوة الاسلامية مما كان لابد أن أتعرض لتعريف الحسبة والفرق بينها وبين القضاء وقاضى المظالم . كما ذكرت شروط المحتســـب التى اشترطها العلماء لنكون قد أحطنا بهذه النقطه .

الفصل العاشـــــر : (سياسة التسامح فى معاهدات عمر وصلة ذلك بالدعـــوة الاسلاميـــة) •

وهو يشتمل على عدة نقاط :ـ

بينت فيها نظرة الدعوة الاسلامية الى المعاهدات مؤيدا ذلك بالنصوص الـــواردة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة •

وحتى لا يتطرق الى الذهن أن عمر رضى الله عنه خالف هذه النظرة بينت موقفـه رضى الله عنه من أهل خيبر ونصارى نجران ورأى العلماء فى ذلك والرأى الذى أرتضيته •

ثم ضربت نموذجا من معاهدات عمر رضى الله عنه مع أهل الكتاب وبينت ما فيهـــا من سماحة منقطعة النظير وأن روح التسامح هذه كانت مفقودة تماما عند أهل الكتـــاب وذلك بنصوص من الانجيل ونصوص من التوراه • وأن هذا قد لفت نظر أهل الكتاب الـــى هذه الروح العظيمة فى الاسلام وكان سببا وعاملا من عوامل نشر الدعوة الاسلامية •

وضربت الامثلة على ذلك من سياسة عمر العملية معهم كموقفه عند دخول كنيســـة القيامه وكيف وأنه امتنع عن الصلاة فيها عندما حل وقتها وكان لزاما على أن أبين روح التسامح عند عمر رضى الله عنه فى فرضه للجزيه التى هى أحد نصوص المعاهدة حتى لا يتطـــرق الى الذهن أن هذا يناقض التسامح فى معاهدات عمر مع مقارنة بما فرضه غير المسلمين على شعوبهم وكيف وأنه رضى الله عنه كان يسقط هذه الجزية عمن تهدل به الحال وأعســر عن اخراجها •

سيا ٣ عثمان رضي الله عنه وأثرها في الدعوة الإسلامية

الباب الثانـــــي : يشتمل علـــــى :

الفصل الاولـــــ : (طريقة استخلاف عثمان بن عفان رضى الله عنه ومنهجـــه السياسى وادارته وصلة ذلك بالدعوة الاسلامية) .

وهو يشتمل على النقاط التاليـــة :

أوضحت فيه أن اختيار عثمان رضى الله عنه للخلافة قد تم فى اطار منهج الدعـوة الاسلامية فى اختيار الخليفة ، ولم يصبح خليفة الا بعد المبايعة العامة من المسلمين .

ورددت على زعم القائل بأن عمر رضى الله عنه كان يعمل على صرف الخلافة عن بنى هاشم بل كان عمر رضى الله عنه يلفت النظر الى على بن أبى طالب رضى الله عنه أحـــد رجال بنى هاشم كما رددت على وجهه الاستاذ محمد احمد جاد المولى والدكتـــور طه حسين من انتقادات ازاء قضية الخلافة من بعده وخرجت من هذا الى أنه ليس هناك أفضل مما فعله عمر رضى الله عنه .

كما تعرضت لبيان المنهج السياسى من الكتب التى أرسلها الى الولاة وعمـــال الخراج وقواد المسلمين وعامتهم وحللتها تحليلا دقيقا فخرجت من هذا الى أن هـــذا الى أن هذا المنهج انما هو نابع من الدعوة الاسلامية حيث يتضمن المطالبـــة بالمحافظة على القيم والأخلاق الفاضلة والاهتمام بالاتباع وأهل الذمة على حد سواء وكـــل هذا من جوهر الدعوة الاسلامية .

ثم تعرضت للاسباب التى أدت الى تغيير الجهاز الادارى وقضايا العزل خصوصـــا وأنه قد كثر فى شأنها القول من القدامى والمحدثين وأوضحت بأن عثمان رضى الله عنه لم يجد بدا من هذا التغيير وليس هذا لاسباب شخصية وانما لمصلحة المسلمين .

كما بينت وجهة النظر عند عمر وعثمان رضى الله عنهما فى الحجر على الصحابـــة وأن كلا منهما كان يعمل فى اطار الدعوة .

كما أظهرت أن سياسة عثمان رضى الله عنه كان الطابع العام فيها للين من غير ضعف وأنه مع سياسة اللين هذه لم يضيع حقا من الحقوق أو يعطل حدا من الحدود •

وضربت نموذجا على ذلك بإقامته الحد على الوليد بن عقبة أحد ولاته حين اتهم بشرب الخمر •

وقد جرنا البحث ازاء طابع سياسته رضى الله عنه البحث فى قضية قتل عبيد الله بن الخطاب ابنه أبى لؤلؤه فيروز المجوسى غلام المغيرة بن شعبة وحفينه النصرانى والهرمزان وذلك تبرأة للذمة ووضعا للحق فى نصابه • وخرجت من ذلك بأن عثمان رضى الله عنه لم يعطل حدا من حدود الله عز وجل لعدم توافر الادلة على براءة تهمة القتل التى نسبت الى جفينة والهرمزان بل بالعكس ثبت ادانتهما •

وأما ابنة فيروز فقد بينت عذر عبيد الله بن عمر وذلك من أقوال العلماء •

كما تعرضت لنقطه مهمة طالما رددها الجهلة من الناس من غير تمحيص وذلك لصلتها الوثيقة بادارته وسياسته وذلك هو وصفه بالضعف وقد أيدت رأى بمواقفه البطولية فى ميادين الجهاد ومنها أنه كان محاصرا من أعداء الدعوة الاسلامية وطلاب الفتنة ومع ذلك لم يبد عليه أى تغيير بل كان فى بيته كعادته ولم يبحث عن أسباب النجاه وكانت بيده لو أرادها الى غير ذلك من الادله •

وهذه المثالثة فى المنهج والحكم والادارة تعتبر عاملا من عوامل الدعوة الى الاسلام •

الفصل الثانـــــــى : (اسباب الفتنة فى عصر عثمان رضى الله عنه وصلة ذلك بالدعوة الاسلاميـــــة) •

والذى دعانى الى البحث فى تلك الاسباب التى اتهم بها عثمان رضى الله عنـــــه لانها تتعلق وترتبط ارتباطا مباشرا بمنهجه السياسى الذى ساس به الامة المسلمة والذى كان أساسا له فى حكمه وادارته •

وقد تعرضت فى هذا الفصل : لقضايا عزل فيها رضى الله عنه كبار الصحابـــــة عن ولايتهم وولى بدلا منهم من أهله وعشيرته وبينت أن ذلك لمصلحة الدولة وليس فى ذلك محاباة لاقاربه ولا قلبا لموازين وقيم الاسلام •

وبينت أنه لما اجتمع فيه من الامامة والصحبة فله حق الاجتهاد وهو لم يبتكـــــر جديدا فله من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبى بكر الصديق وعمر ابن الخطاب الاسوة الحسنة فى ذلك •

ورددت على الاتهام الذى اتهم فيه الدكتور طه حسين عثمان رضى الله عنه بأنـــــه كان فى سياسته هذه يسير حسب مخطط أموى وأرى أن طه حسين يعنى بهذا الاتهـــام الكثير • ثم تعرضت لموقف الاسلام من أقاربه الذين ولاهم القيادة وأن الاسلام من وجهــة نظره لا يمانع مطلقا من توليتهم القيادة ما دام تتوافر فيهم شروط القيادة • ثم انتقلـــت بعد ذلك للرد على ما اتهم به من ظلمهم للناس وعلى أنه يعطى لاقاربه من غير حـــــق وخرجت من هذا الى أن عثمان رضى الله عنه فى سياسته للامة كان حريصا على اقامـــــة العدل بين الناس •

ثم انتقلت للرد على ما اتهم به في سياسته مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهما كانت قائمة على الغلظة والقسوة واتباع أساليب لا تليق بهم وذلك حتى تبعد عنه كل شبهة بأنه خالف وصايا النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه فظلمهم وجار عليهم •

كما تعرضت لبيان أن عثمان رضي الله عنه كان على حق في اجتهاده فيما ينفع الامة المسلمة في دينها ودنياها •

وذلك في اتمامه الصلاة بمنى وأنه حمى الحمى وبأنه كان القرآن الكريم كتبا فتركها الا واحدا •

وخرجت من هذا الى أن هذه الاتهامات كلها انما كانت من صنع فئة منافقة على رأسها عبد الله بن سبأ صاحب مذهب الرجعة المختلق والمتقول على الدين ، تحمل ما وسعها الحمل على محاربة الدعوة الاسلامية واشعال نار الفتنة في المسلمين •

كما أوضحت أن عثمان رضي الله عنه قد ظل متمسكا بالدعوة الاسلامية قلبا وقالبا حتى فاضت روحه الطاهرة ولقي ربه راضيا مرضيا ، وضرب المثل للانسانية كيف تتمسك بدينها مهما كان هناك من تضحيات ونتائج •

بعد هذا العرض الموجز لسياسة الخليفتين العظيمين تبين لنا في وضوح أن كلا منهما كان يتوسل منهج الدعوة وبالتالي كان داعية الى الله عز وجل •

البـــــاب الاول

الفصـل الاول

* عمر وصفاته وأثر اسلامه فى الدعوة الاسلاميـــــة *

بسم الله الرحمن الرحيم

عمر بن الخطاب وصفاته وأثر أسلامه فى الدعوة الاسلامية

التعريف به من جهة النسب

فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح ابن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى العدوى أبو حفص أمير المؤمنين وامه حنتمة بن هاشم بن المغيرة المخزومية [1].

وقد منحه الله عز وجل بسطة فى الجسم .. يصفه : ذ ر فيقول — كنت بالمدينة فاذا رجل ادم اعسر ايسر ضخم اذا اشرف على الناس كأنه على دابة فاذا هو عمر [2] .

وروى السيوطى فى تاريخ الخلفاء : (لون بشرته وشعره وشاربه) فقال : أخرج بن عساكر عن أبى رجاء العطاردى قال : كان عمر رجلا طويلا جسيما أصلع شديد الصلع، أبيض شديد الحمرة ، فى عارضية خفة ، سبلته كبيرة وفى اطرافها صهبة [3] .

ووصفته الشفاء بنت عبد الله فى كلامه ومشيته وضربه — فقالت تصف عمر رضى الله عنه فى نسكه وقد رأت فتيانا يقصدون فى المشى ويتكلمون رويدا يعتقدون ان هذا من سمة الزهاد والعباد والنساك :

" كان والله اذا تكلم أسمع ، واذا مشى أسرع ، واذا ضرب أوجع .. وهذه هى هى الصفات والملامح التى يجب أن تتوافر فى الناسك [4] .

(١) الاصابة فى تمييز الصحابه (ابن حجر) جـ ٤ / ٢٧٩ حرف العين القسم الاول ، الطبقات الكبرى (ابن سعد) جـ ٣ القسم الأول / ١٩٠ ، اسد الغابة فى معرفة الصحابة (ابن الاثير) جـ ٤ / ١٤٥ ، تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) جـ ٤ / ١٩٥ .

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (الهيثمى) بتحرير العراق وابن حجر جـ ٦ / ٧٣ .

(٣) تاريخ الخلفاء (السيوطى) / ١٣١ .

(٤) الطبقات الكبرى (ابن سعد) القسم الاول جـ ٣ / ٢٠٨

ويدل ذلك على أن عمر كان رضى الله عنه كان رجلا ممتازا فى صفاته الجسدية فى طوله وضخامته وكلامه ومشيته وملامحه ، وهذه بعض أسرار قوة شخصيته التى هى مزيج من الصفات الجسدية والعقلية ، كما ان هذه من الأسباب التى جعلت عمر رضى الله عنه مهيبا فى نفوس الناس .

صفات النفسيـــــة

كان عمر رضى الله عنه يكره الظلم بجميع صنوفه وأشكاله والوانه كما تدلنا سيرتـــــه رضى الله عنه علــى ذلك .

فموقفه وقت هجرة بنت أبى حثمة هى وزوجها تظهر لنا معنى جديدا غير الذى سقناه وهو كراهيته رضــى الله عنه للظلم .

ومن أجل هذا كان يذكر أباه بكل مرارة لظلمه أياه وقسوته عليه فى صغره

يروى لنا .. يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال : خرجنا مع عمر فـــى حج أو عمرة حتى مر بشعاب ضجنـــان فالتفت الينا .. فقال لقد رأيتنى فــى هــــــذه الشعاب فى أبل للخطاب وكان فظا غليظـــا . ثم أصبحت اليوم يضرب بى الناس المثـــــل ليس فوقى أحـــد (١) .

وينقل ابن جرير الطبرى سبب فظاظة والد عمر عليه من رواية سعيد بن المسيب قولــه رضى الله عنـــه :

" (يتعبنى اذا عملـــت ، ويضربـــنى اذا قصـــرت) " (٢)

وقد اشتهر رضى الله عنه بالشجاعة فلم يكن يحجم فى موضع يتطلب الاقدام لأنـــــه كان ذا عزيمة قوية ، وأرادة صلبة ، لذلك كان يبتارز مع أبرز الرجال المعاصرين لـــــه من بلوغهم شأوا بعيد فى ميدان المصارعة فكان يهزمهم وينتصر عليهم .

لما أسلم لقى رجــــل راعيا فقال لــه : أشعرت أن ذلك الاعسر الأيســـــر أسلـــــم ؟

---

(١) تاريخ عمر بن الخطاب (ابن الجوزى) ١٥٣/

(٢) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) جـ ٤ / ٢١٩

فقال الراعى : الذى كان يصارع فى سوق عكاظ ؟ فلما أجاب الرجل أنه هو صاح الراعى أما والله ليوسعنهم خيرا أو ليوسعنهم شرا (١) .

وكان رضى الله عنه معتزا برأيه حملـه ذلك على الدفاع عنه باليد واللسان ولكـن ذلك لم يمنعه من التفكير فى آراء الغير وتقليب وجهات النظر ليصل به ذلك الى نتيجـة مرضية .

ولذلك نجد أن عمر كان يشتد على المخالفين لآرائـه ومعتقداته من اليهـود والنصارى المقيمين بينهم وعلى غيرهم من العرب الذين يرون أن اليهود والنصارى أرقـى حضارة ، وينكرون لذلك عبادة الأصنام (٢) .

فى هذا الحين بعث الله عز وجل محمدا صلوات الله وسلامه عليه يدعو النـاس الى الهدى ودين الحق ، وأخذ المتعصبون للأصنام من أهل مكة يعذبون المستضعفـين ومن المعذبين عمـر .

روى ابن هشام : أن المشركين عدوا على من أسلم فوثبت كل قبيلة على من فيهـا من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر ليفتنوهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء ومنهم من يصلب لهم ويعصمـه الله منهم .

ويحكى ابن هشام قصة جارية كان عمر يعذبها ليفتنها عن دينها ولم يتركهـا الا مللا من تعذيبها .

---

(١) الفاروق عمـر (محمد حسنين هيكل) جـ ١ / ٣٣

(٢) المرجع السابق / ٣٦/ ٣٧

مر الصديق رضى الله عنه بجاريه بنى مؤمل حى من أحياء بنى عدى بن كعب وكانت مسلمة وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الاسلام حتى اذا مل قال أنى أعتذر اليك أنى لم أتركك الا ملالة فتقول كذلك فعل الله بك فابتاعها أبو بكر فاعتقها (١)

وقد اعترف عمر رضى الله عنه بذلك بعد اسلامه .. فقال كنت من أشد الناس عداوة للرسول صلى الله عليه وسلم (٢) ، ويرجع ذلك الى تأثير عامل البيئة عليه .

فقد كان والده الخطاب قليل الحظ من الغنى عظيم الحظ من الفظاظة وقسوة القلب ، وكان يظهر هذا فى سلوكه معه ومع غيره .

ومما يدل على أن هذا كان طبعا فيه .. موقفه من ابن أخيه زيد بن عمرو حين اجتنب عبادة الاوثان وأنكاره على الذين يعبدونها ، وقد اتخذ لنفسه دينا كان يسميه دين ابراهيم ، كما كان ينكر كثيرا من عادات قريش ، فأذاقه الخطاب ألوانا من العذاب وحرض عليه الشباب وأمرهم أن يطاردوه حتى لايدخل مكه اللهم الا اذا دخلها سرا ، فهم هذ ذلك يخبرون الخطاب بهذا فيكرر الأمر بأخراجه حتى يأمنوا على أنفسهم ببقاء دينهم على ما هو عليه فلا يفسده عليهم (٣) .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ / ٢٠٩/٢١١

(٢) اسد الغابة فى معرفة الصحابة (ابن الأثير) ج ٤ / ١٤٧ تحقيق د . محمد البنا ، عاشور .

(٣) سيرة ابن هشام ج ١/ ١٤٧/ ١٥١ ، والشيخان (د . طه حسين) / ١١٣

مكانة بنى عدى فى المجتمع القرشى

كانت بنو عدى الذين كان عمر رضى الله عنه ينتسب اليهم من الأسر الشريفة التى لها مكانتها فى قريش :

قال المنذر بن هشام بن محمد السائب الكلبى تسمية من انتهى اليه الشرف من قريش فى الجاهلية ، فوصله بالاسلام عشرة رهط من عشرة أبطن ، وهم هاشم ، وأمية ، ونوفل ، وعبد الدار ، وأسد ، وتيم ومخزوم ، وعدى ، وجمح ، وسهم .

وعمر رضى الله عنه كان من أبرز رجالات بنى عدى ومن أجل هذا كان ينوب عنهم ، يدافع عن كيان بنى عدى فى الحرب ويظهر محاسنها اذا دعا الأمر وتطلب الموقف ذلك كأن تكون هناك مفاخرة بينهم وبين غيرهم من الأحياء وكان موضع الرضا منهم (١) .

فعمر رضى الله عنه ورث الشرف كابرا عن كابر وأن الله قد منحه قوة فى التفكير ورجاحة فى العقل وقدرة على الموازنة بين الأمور وسرعة البديهة مما يجعله يستطيع أن يرد على خصمه ويلجمه بالحجة .

وقد تبين هذا من المواقف التى كان ينوب فيها عن قبيلته بنى عدى .

---

(١) أشهر مشاهير الاسلام ـ المجلدة الأولى (رفيق بك العظم) جـ ١ / ١٠ ، العقد الفريد (ابن عبد ربه) جـ ٣ / ٣٤

سبب أسلامه رضى الله عنه

يذكر المؤرخون روايات كثيرة فى سبب اسلام سيدنا عمر رضى الله عنه .

فمنها ما رواه ابن هشام مما أخرجه ابن اسحاق عن أصحاب ابن أبى نجيح المكى عن سبب اسلام عمر رضى الله عنه أنه كان يقول كنت للاسلام مباعدا ، وكنت صاحب خمر فى الجاهلية أحبها وأشربها ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة عند دور آل عمر بن عبد عمران المخزومى قال : فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك فى مجلسهم ذلك ..... قال : فجئتهم فلم أجد فيهم منهم أحدا ، قال : فقلت لو أنى جئت فلانا الخمار ، وكان بمكة يبيع الخمر لعلى أجد عنده خمرا فأشرب منها قال : فخرجت ، فجئته فلم أجده .. قال فقلت لو أنى جئت الكعبة فطفت بها سبعا أو سبعين ، قال فجئت المسجد (تعبير لا يقوله جاهلى) ولعل صحته (فجئت الكعبة) أريد أن أطوف بالكعبة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، ثم قال رضى الله عنه : قلت حين رأيته ، والله لو أنى استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول فلما سمعت القرآن رق قلبى له ، فبكيت ودخلت الاسلام فلم أزل فى مكانى حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم انصرف ، فتبعته حتى أدركته فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسى عرفنى فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما اتبعته لأوذيه ، فنهمنى ثم قال : ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟؟ قال قلت جئت لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله (١)

وأخرج ابن الأثير بسنده عن شريح بن عبيد فى سبب اسلام سيدنا عمر ......

قال : قال عمر بن الخطاب .. خرجت اتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد وصحته كما رجحت (الى الكعبة) فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال : فقلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش ..

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ / ٢٣٢ بتصرف .

قال : فقرأ (أنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين ... الى آخر السورة [1] فوقع الاسلام في قلبي كل موقع [٢] .

كما روى ابن هشام ان عمر رضى الله عنه في سبب اسلامه خرج يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابة قد ذكروا له انهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من اربعين ما بين رجال ونساء ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب وابو بكر بن أبي قحافة الصديق ، وعلى بن أبي طالب في رجال من المسلمين رضى الله عنهم ممن كان قد أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى أرض الحبشة ، فلقيه نعيم بن عبد الله ، فقال له أين تريد يا عمر فقال : أريد محمدا هذا الصابئ فأقتله ثم غير نعيم اتجاهه الى أخته فقرأ عندها القرآن الكريم من سورة (طه) ثم سأل عن مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر بأنه في بيت عند الصفا .. فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهر أسلامه بين يديه صلوات الله عليه [٣]

هذه هي أشهر الروايات في سبب اسلام سيدنا عمر رضى الله عنه منها ما يقبل ومنها ما يرد ولا يثبت ، وذلك بالحجة العقلية والتاريخية .

ومن الباحثين من يعتقد صحة تلك الروايات .. على ان كل واحدة تتضمن سببا وذلك بعد نفي الحشو والزوائد منها [٤]

---

(١) الحاقة الآيات من ٤٠ الى ٥٢

(٢) مسند احمد بن حنبل جـ ١ /١٧/ ١٨، الاصابة في تمييز الصحابة جـ ٤ / ٢٨٠ (ابن حجر) ، اسد الغابة في معرفة الصحابة (ابن الاثير) جـ ٤ / ١٤٧ تحقيق د . محمد البنا وأحمد عاشور .

(٣) سيرة ابن هشام جـ ١ / ٢٣٠/ ٢٣١ بتصرف .

(٤) عبقرية عمر (للعقاد) صـ ٧٥

والحقيقة أن عمر رضى الله عنه وهو الرجل الذى بينا أنه واسع الادراك ، والذى كان يمثل قمة بنى عدى وخلاصتها ، ما كان يغيب عنه تلك الدعوة الجديدة ، فلا بد وانه فكر فيها طويلا وأخذ فى البحث فى جميع جوانبها وغاياتها ومقاصدها وأخذ يقلب فيهما وجهات النظر ، فملكه الأعجاب بها وجذبه الايمان بها طواعية حبه فيها وذهب بنفسه الى اعلان اسلامه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولأنه لا يمكن أن يتحول الانسان طفرة واحدة أو فجائيا من مشرك ساجد لوثن ضاربا فى أعماق الكفر الى مسلم داعيا الى الله بكل طاقاته .

ومما يدل على أن عمر كان يقترب من الاسلام :

وما رواه ابن هشام رواية عن ابن اسحاق : قال : ....
حدثنى عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أن أم عبد الله بنت أبى حثمة قالت :

والله أنا لنترحل ، وقد ذهب عامر فى بعض حاجاتنا اذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف على وهو على شركه .. قالت وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا .. قالت : فقال أنه للأنطلاق يا أم عبد الله فقلت نعم والله لنخرجن فى أرض الله ، أذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجا — قالت فقال صحبكم الله ، ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف ، وقد احزنه فيما أرى خروجنا ، قالت : فجاء عامر بحاجته تلك — فقلت : يا أبا عبد الله .. لو رأيت عمر أنفا ورقته وحزنه علينا قال : أطمعت فى اسلامه ؟ قالت : قلت نعم — قال : فلا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب — قالت يأسا منه ، لما كان يرى من غلظته وقسوته على أهل الأسلام (١)

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ / ٢٢٩ تحقيق المرحوم أستاذنا الشيخ : محيى الدين عبد الحميد

فعمر رضى الله عنه لو لم يقترب من الأسلام لما رق فى هذا الموقف قلبه على أصحاب الدعوة سيما وأنهم سيريحونه من وجوههم ، وهذا شىء طبيعى أن الأنسان عندما يسيطر عليه عامل العداوة من أى كائن يسر اذا خلا له المكان منه ولا سيما وأنهم يخالفونه فى أقدس شىء لدى الانسان العاقل ، وأما رواية أن عمر ذهب ليقتل النبى صلى الله عليه وسلم ثم أسلم فنحن نستبعدها ، وذلك لأنه كيف سأل عمر أخته عن مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مع ذلك كما تروى الرواية .

أولا : أنه كان يعلم ذلك المكان الذى كان فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك يدل على التناقض اذا كان يعلم ذلك .

فهل غاب سريعا عنه ذلك المكان حتى عاد يسأل عنه مما يدل على التناقض فى تلك الرواية .

ثانيا : ليس من المعقول أن يقصد عمر وهو الرجل العاقل قتل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو بين أربعين من أصحابه فيهم الرجال الأشداء الأبطال مثل حمزة وعلى رضى الله عنهما القادرين على حمايته ، وأيثارهم له على أنفسهم .

ثالثا : لو فكر عمر فى قتل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لكان من السهل أن ينفرد به ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يختلف كثيرا الى الكعبة وحده .

فنستبعد اذن هذه القصة وتفكير عمر فى قتل النبى صلى الله عليه وسلم .

وكان اسلامه هذا فى عنفوان الشباب ومقتبل حياته ، وفى الوقت الذى يمتلىء الانسان العاقل فيه بالأغراض الشريفة والآمال العريضة ويعمل على تحقيقها .

يروى المؤرخون عن السنة التى اسلم فيها وعن سنة وقتذاك ... انه اسلم فى السنة السادسة من النبوة ، وكان عمره ستا وعشرين سنة [1] والحقيقة انه رضى الله عنه اسلم

---

(١) الطبقات الكبرى (ابن سعد) جـ ٣ القسم الأول / ١٣٩ ، تاريخ عمر بن الخطاب (ابن الجوزى) ١٢/١١ ، وتاريخ الخلفاء (السيوطى) ١٣٦/١٠٨ ، وأشهر مشاهير الأسلام ـ المجلدة الأولى (رفيق بك العظم ١٨٧ ، والفاروق عمر (د . محمد حسنين هيكل) جـ ٢ / ٣٠٤ .

وكان سنه يزيد عن الثلاثين . وذلك أن نفس تلك المراجع تقول أنه توفى وعمره ثلاث وستون سنة وأنه رضى الله عنه توفى فى أواخر السنة الثالثة والعشرين أو أوائل السنة الرابعة والعشرين من الهجرة .

وعملية حسابية بسيطة يتبين لنا صحة ما ذهبنا اليه ..

ويختلف الرواة فى العدد الذى أسلم قبل سيدنا عمر رضى الله عنه ـ فابن سعد فى طبقاته يروى عن معمر عن الزهرى قال : أسلم عمر بن الخطاب بعد أن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وبعد أربعين ونيف وأربعين بين رجال ونساء قد أسلموا قبله (١) .

وأما ابن الأثير فى كامله فيروى أنه أسلم بعد تسعة وثلاثين رجلا وثلاث وعشرين امرأة (٢) .

ونحن لا نذهب الى هذا أو الى ذاك وانما نرجح أنه أسلم قبله ما يزيد على المائة والعشرين وذلك لأنه قد أسلم بعد أن هاجر من المسلمين الى الحبشة ثلاثة وثمانون وذلك سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صغارا وولدوا بها (٣) .

وكان المسلمون حول النبى صلى الله عليه وسلم أربعين من الرجال والنساء وقت اسلامه (٤)

والمهم فى ذلك أن اسلام سيدنا عمر رضى الله عنه كان متقدما وقد أسدى الكثير فى خدمة الدعوة الاسلامية ..

---

(١) الطبقات الكبرى (ابن سعد) القسم الاول ص ١٩٢

(٢) الكامل فى التاريخ (ابن الاثير) جـ ٢ / ٥٧

(٣) سيرة ابن هشام جـ ١ / ٢٢٠ ، تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى)جـ٢ / ٣٣٠

(٤) الفاروق عمر (د . محمد حسنين هيكل جـ ١/ ٤١

حرص عمر على اذاعة اسلامه

كان عمر رضى الله عنه جريئا من لحظة اسلامه كما كان جريئا قبل اسلامه لذا فقد حرص على اذاعة أنه اعتنق الدعوة الاسلامية الجديدة التى يدعو اليها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه أصبح من انصارها والمدافعين عنها بكل ما أوتى من قوة وقد اختار عمر اسهل الطرق لنشر خبر اسلامه مكيدة لقريش فذهب الى قرشى اشتهر بنقل أخبار الناس وذيوعها لينقل اليهم ذلك النبأ الذى سيقع عليهم موقع الصاعقة فقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قوله فى ذلك :

لما أسلم عمر قال اى قريشى أنقل للحديث فأخبر بأنه جميل بن معمر الجمحى[1] فذهب اليه وكان وراءه عبد الله بن عمر يتبع أثره لينظر ماذا يفعل حتى جاءه فقال اعلمت يا جميل انى قد اسلمت ؟ ودخلت فى دين محمد ، فلما سمع ذلك الخبر قام سريعا يجر رداءه وعمر على أثره ، يقول ابن عمر واتبعت أبى حتى اذا قام على باب المسجد (وصحتها الكعبة) كما رجحت سابقا صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش وهم فى أنديتهم حول الكعبة ، الا أن عمر بن الخطاب قد صبأ وعمر من خلفه يكذبه ويقول قد أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وثار الوثنيون عليه واشتبك معهم فى قتال مرير حتى قامت الشمس على رؤوسهم ، يقول ابن عمر : وطلح فقعد وقاموا على رأسه وهو مع ذلك يطلب منهم أن يخرجوا ما فى كنانتهم ، فلن يؤثر فيه ، ويحلف لهم بالله أن لو كانوا ثلاثمائة لاشتبكوا معهم فى قتال مرير .

وبينما كان عمر على هذا النحو ساق الله عز وجل اليه العاص بن وائل السهمى فخلصه من ايديهم ، وهو يقول لهم ، رجل اختار لنفسه امرا فماذا تريدون .. وذكرهم بالعصبية القبلية فقال لهم ، اترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل[2]

---

(١) أسلم يوم الفتح وشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم حنينا .... " ينظر السيرة الحلبية جـ ١ / ٣١٦ .

(٢) سيرة ابن هشام جـ ١ / ٢٣٣/ ٢٣٤ ، صحيح البخارى جـ ٢ / ٢٢٥ ، اسد الغابة فى معرفة الصحابة (ابن الاثير) جـ ٤ / ١٥١/ ١٥٢ .

أثر اسلام عمر على الدعوة الاسلامية

يمثل اسلام سيدنا عمر طورا جديد من أطوار الدعوة الأسلامية فقد كان المسلمون يعبدون الله سبحانه وتعالى مستخفين عن أعين قريش ولم يجرؤ واحد منهم أن يجهر بالدعوة أو يخطو ليصلى عند الكعبة خوفا من بطش قريش به ، فلما أسلم رضى الله عنه خرجت الجماعة المسلمة تعلن اسلامها أمام قريش لأول مرة .

يقول الطنطاويان نقلا عن حلية الأولياء :

لما أسلم عمر أسلم بأخلاص وعمل لتأكيد الأسلام بمثل الأندفاع الذى كان يعمل به لمحاربته ، فقال يا رسول الله ، ألسنا على حق أن متنا أو حيينا ؟ قال صلى الله عليه وسلم بلى والذى نفس محمد بيده ، انكم على الحق أن متم وأن حييتم ، قال ففيم الأختفاء ؟ والذى بعثك بالحق لتخرجن ، ويستبسط صاحب كتاب الحلية السبب فى رضاء النبى صلى الله عليه وسلم بما أشار به عمر رضى الله عنه فيقول :

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم على مايبدو قد رأى أنه قد آن الأوان ، للاعلان وأن الدعوة كانت كالوليد الضعيف الذى لابد له من الرعاية والحفظ قد غدت قوية تستطيع أن تدفع عن نفسها فأذن بالأعلان . ويمضى صاحب كتاب الحلية فى قوله فيقول :

وخرج صلى الله عليه وسلم فى صفين ، عمر فى أحدهما ، وحمزة فى الآخر ولهم كديد ككديد الطحين حتى دخل الكعبة فنظرت قريش الى عمر والى حمزة فأصابتهم كآبة لم تصبهم قط[1] .

وقد اعترف بهذا الطور الجديد للدعوة الاسلامية بأسلام عمر رضى الله عنه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عن عبد الله بن مسعود قال : مازلنا أعزة منذ أسلم عمر[2]

---

(١) اخبار عمر (على الطنطاوى،ناجى الطنطاوى) نقلا عن حلية الأولياء ص ٢٥ / ٢٦

(٢) البخارى بشرح الكرمانى جـ ١٥ / ٨٥ فى باب اسلام عمر .

ويقول رضى الله عنه " كان اسلام عمر فتحا ، وكانت هجرته نصرا ، وامارته رحمة ، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى بالبيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا وصلى عند الكعبة وصلينا معه " (١)

بأسلام عمر رضى الله عنه استطاع المسلمون أن يقفوا من عدوهم موقف الند للند ـ يقول صهيب " لما أسلم عمر جلسنا حول البيت حلقا حلقا وانتصفنا ممن غلظ علينا " (٢).

واعترف بذلك أعداء عمر والدعوة الأسلامية بهذا الأثر الجليل الشأن .

أخرج الحاكم عن ابن عباس قال :

لما أسلم عمر قال المشركون ، انتصف القوم منا (٣) وأنزل الله عز وجل ((يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)) (٤) .

ومن هذا يتبين مكانة سيدنا عمر فى أعين أعدائه وسمو منزلته وما كان لأسلامه من دخول الوهن على نفوسهم ، أذ أقروا بظهور المسلمين عليهم ورجحان كفة المؤمنين على كفتهم ، وشجع الناس على اعتناق الأسلام حتى فشا فى القبائل (٥)

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ / ٢٢٦

(٢) سمط النجوم العوالى فى أبناء الأوائل والتوالى (عبد الملك الملكى) جـ ٢ / ٣٦٣

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (الهيثمى) جـ ٩/ ٦٥ ، والمرجع السابق ٣٦٤

(٤) الأنفال آية ٦٤

(٥) ينظر سيرة أبن هشام جـ ١ / ٢٣٤

أثر الأسلام على صفات سيدنا عمر رضى الله عنه

بينما أن عمر رضى الله عنه كان يتصف وهو جاهلى بالعدالة والشجاعة والشدة وكانت تقاس هذه الصفات بمقاييس العصر وما ورثه من تقاليد وعادات وأعراف وقوانين قبلية ، وربما تكون خاطئة ولكن بعد أن أنضم الى الجماعة الاسلامية عرف الضوابط والمقاييس الحقة للصفات الأنسانية التى يجب أن يتصف بها المسلم وهى لا تختلف باختلاف الأمم والشعوب والألسنة . ولا تتغير وأصبح عمر يقيس نفسه بها قولا وعملا حتى اصبح فى القمة من الفضيلة ، فصفة العدالة التى وصفناه بها رضى الله عنه فى جاهليته حدد لها الأسلام منهجا جديدا التزم به عمر رضى الله عنه حتى أصبحت من الصفات البارزة فيه .

ويرجع ذلك الى أمرين : الاول : بعد نظره واصابة رأيه وفراسته .
والثانى : الألتزام بالمنهج الاسلامى نصا وروحا .

ولكن هناك من الباحثين من يقصر السبب فى بروز هذه الصفة فيه الى الفطرة فقط ، كما رأى الأستاذ أحمد أمين فى كتبه فجر الاسلام الذى يقول فيه . . . . . .
" نحن اذا ألقينا نظرة على الطبقة الأولى من قراءة تاريخهم العلمى وجدنا شخصياتهم العلمية مختلفة ـ فعمر بن الخطاب لا نجد له كثيرا من الأقوال فى تفسير القرآن كما لا نجده مكثرا فى جمع الحديث ، ولكن ميزته الكبرى على ما يظهر لنا قوته الفطرية فى الحكم على الأشياء وأصابته فى معرفة العدل والظلم " .

يقول أبو ذر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((أن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به)) (١) .

ونضرب بعض النماذج على عدله رضى الله عنه لأننا تعرضنا فى فصلى القضاء والادارة لهذه الصفة بشيء من التفصيل .

---

(١) فجر الاسلام (د . أحمد أمين) / ١٤٦ .

يقص علينا ابن الجوزى فى تاريخ عمر بن الخطاب قصة عامل من عمال عمر واحد الصحابة الأجلاء ورجل من عامة المسلمين ظلمه ابو موسى وكيف وأن عمر رضى الله عنه حكم فى القضية بالعدل الذى امر الله به وانصف الرجل منه .

عن جرير بن عبد الله البجلى : أن رجلا كان مع أبى موسى الأشعرى وكان ذا صوت ونكاية فى العدو فغنموا مغنما فأعطاه أبو موسى بعض سهمه فأبى أن يقبله الا جميعا فجلده أبو موسى عشرين سوطاً . وحلقه فجمع الرجل شعره ثم ترحل الى عمر بن الخطاب حتى قدم عليه فدخل على عمر ، قال جرير راوى الخبر ... وأنا أقرب الناس منه فأدخل يده فاستخرج شعره ثم ضرب به صدر عمر بن الخطاب فقال أما والله لولا النار ، فقال عمر صدق لولا النار . فقال يا أمير المؤمنين انى كنت ذا صوت ونكاية فى العدو وأخبره بأمره ، وقال ضربنى أبو موسى عشرين سوطا وحلق رأسى وهو يرى ألا يقتص منه لأن يكون الناس كلهم على صرامة هذا أحب الى من جميع ما أفاء الله علي .

هذه هى القضية يا ترى بماذا حكم ابن الخطاب ؟

ويمضى راوى الخبر فيقول ..

فكتب عمر الى أبى موسى بعد أن علم بما كان من أمر الرجل ..

فأن كنت فعلت ذلك فى ملاء من الناس فعزمت عليك لما قعدت له فى ملاء من الناس حتى يقتص منك ، وأن كنت فعلت ذلك فى خلاء من الناس حتى يقتص منك ، فقدم الرجل فقال له الناس ، أعف عنه ، فقال لا والله لا أدعه لأحد من الناس فلما قعد أبو موسى ليقتص منه رفع الرجل رأسه الى السماء ثم قال : اللهم قد عفوت عنه (1)

---

(1) تاريخ عمر بن الخطاب (ابن الجوزى) / ٩٦ وأخبار عمر (على الطنطاوى وناجى الطنطاوى) / ١٨١ / ١٨٢ .

وأما عن الشجاعة التى كان يتصف بها رضى الله عنه فى الجاهلية فسنرى أن الاسلام كان له تأثير كبير فى اتجاه تلك الصفة حتى أصبحت حارسا أمينا على الأسلام والمسلمين .

فمواقفه بعد الاسلام الذى تقدم الحديث عنها تعطى الصورة الصادقة الواقعية لما يكون عليه سلوك عمر فى حياته بعد الاسلام .

ونسوق بعض النماذج الطيبة فى حياة الرجل كدليل على شجاعته رضى الله عنه الشجاعة المنقطعة النظير .

لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين بالهجرة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة هاجروا خفية من المشركين حتى لايمنعوا من الوصول الى بغيتهم وتفسد بذلك خططهم .

ولكن عمر رضى الله عنه لم يفعل فعلهم فهو اثق من نفسه يعرف كيف يصل الى مقصده ، على مرآى ومسمع من قريش من غير خوف وبطش قريش .

عن على بن أبى طالب قال : ما علمت أحدا من المهاجرين الا هاجر مختفيا الا عمر بن الخطاب ، فأنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده أسهما واختصر عنزته ومضى قبل الكعبة والملاء من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا متمكنا ثم أتى المقام فصلى ، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة يقول لهم شاهت الوجوه ، لايرغم الله الا هذه المعاطس ، ومن أراد أن تثكله أمه وييتم ولده ، وترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى — فما تبعه منهم أحد(١) .

وأن كان ابن سعد فى الطبقات يروى رواية على أنه هاجر مختفيا كغيره من المسلمين عن ابن عمر قال " لما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى المدينة ، جعل المسلمون يخرجون أرسالا يصطحب الرجال فيخرجون .

---

(١) تاريخ الخلفاء (جلال الدين السيوطى) ١١٥/١١٦

قال عمر بن الخطاب فكنت اتسمدت أنا وعياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص بن وائل التناضب من اضاءة بنى غفار ، وكنا أنا نخرج سرا [1] .

الا أنى أرجح أن عمر أنما هاجر علنا متحديا الشرك وأهله وهذا يتفق وخلائق عمر وقد أوردنا كيف جابه المشركين فى اللحظة الأولى من أسلامه ولم يكن ذلك فحسب وانما تحدى رأس الوثنية أبا جهل مخبرا أياه فى عقربيته بأيمانه بالله ورسوله ومما يزيد فى وضوح ما ذهبنا اليه :

" ما أثنى به عبد الله بن مسعود على عمر رضى الله عنه بقوله كان أسلام عمر فتحا ، وهجرته نصرا ، وأمارته رحمة [2]

فكون عبد الله بن مسعود يثنى على عمر فى هذه المواطن فما ذاك الا لأنها لم تعهد فى غيره فريدة فى بابها ، فلو كانت هجرته كما هاجر غيره فليس هناك مطلقا للحديث عنها والثناء بها ، اللهم الا أن يكون على غير الطريقة المعروفة من أصحابه .

ويحلل الأستاذ المرحوم عباس العقاد نفسية سيدنا عمر من خلال مثل هذا الموقف فيقول :

أن تحديه هذا قام على دعامتين شجاعته وعدله ، وذلك لأن الشجاع مطبوع على الأنفة من الظلم لأنه شديد الأحساس بذل الظلم ، ومن كان شديد الأحساس بذله فهو شديد الأحساس بعزة العدل من طريق واحد ، وقلما أغضب العادل الشجاع شيء كاستطالة الظالم وظنه أن المظلوم لا يستطيل عليه ، وذلك هو التحدى الذى يثير الشجاعة ويثير النقمة على الظلم ، أو يثير حب العدل فى وقت واحد .

ويمضى فى تحليله فيقول :

وأن الموت لأهون من الصبر على هذا التحدى المرذول ، وأخذ يتساءل ماهى الشجاعة أن لم تكن هى الجرأة على الموت كلما وجب الأجتراء عليه ؟

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد القسم الأول جـ ٣ / ١٩٤ سيرة ابن هشام جـ ٢ / ٣٢٦
(٢) المرجع السابق جـ ١ / ٢٢٩

والشجاع جرىء فى مواقف الحق ، فأما أن يموت موت الفضلاء أو يعيش عيشة الشجعان (١) .

ويخالفنا فى الرأى الدكتور هيكل فى كتابه الفاروق عمر معللا ذلك بقوله أنه رجل نظام .. فهو يتبع الجماعة ويحمل غيره على اتباعها (٢) .

ونحن بدورنا ننقد ما ذهب اليه .

فكونه رجل نظام ـ هذا لا مرية فيه ، وهجرته على هذه الصورة التى رجحناها لاتخرجه عن أنه رجل نظام . فعلى فرض أن الرسول صلوات الله عليه أمره بالهجرة سرا فما ذلك الا لعلة بارزة واضحة ، وذلك حتى لا توضع العراقيل والأسباب المانعة من بلوغ المهاجرين مقصدهم .

وعمر قادر على تحقيق هدفه أمام أعين ومسامع قريش فما الذى يمنعه أن يهاجر على هذا النحو ولو رأى عمر أنه لابد من تنفيذ الأمر ولو لم يعلم حكمته لأطاع ونفذ ما أشار به الرسول صلى الله عليه وسلم ومواقفه بعد ذلك تشهد على ذلك .

فتقبيله الحجر الأسود وقوله عند ذلك والله أنى لأعلم أنك حجر لاتضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك (٣) .

فهجرته رضى الله عنه على هذا النحو تعطينا صورة واضحة على شجاعته رضى الله عنه .

ومعدنه رضى الله عنه كانت تظهر نفاسته فى وقت المحن والمحن والشدائد ، وفى ميادين الجهاد والتضحية والفداء ، لازم الرسول صلى الله عليه وسلم فى جميع

---

(١) عبقرية عمر (المرحوم عباس العقاد) / ٨٥ طبع دار الهلال .

(٢) الفاروق عمر (د . محمد حسنين هيكل) جـ ١ / ٥٦

(٣) الفلسفة الحديثة فى الميزان (الدكتور محمد بن فتح الله بدران) / ١٤٧ ، صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٩ / ١٧ ، والمسند (ابن حنبل) جـ ١ / ١٧٦ .

معاركه كما خرج في عدة سرايا ، ودفع الرسول صلى الله عليه وسلم اليه اللواء في احدها .

يقول ابن سعد في الطبقات الكبرى وابن الأثير في أسد الغابة : شهد عمر بن الخطاب بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج في عدة سرايا وكان أمير بعضها (١) .

وذلك بأن أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية مكونة من ثلاثين رجلا الى عجز هوازن بتربة وكان ذلك في شعبان سنة سبع من الهجرة (٢) .

وفي غزوة خيبر أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء وذلك بعد أن أعطاه الصديق رضى الله عنه ثم أعطى بعد ذلك الى علي رضى الله عنه ففتح الله عليه الحصن (٣) .

ونجد أن الصديق رضى الله عنه وهو يودع الدنيا تمنى أن يكون قد أرسل عمر بن الخطاب الى العراق ، كما ارسل خالد بن الوليد الى الشام ، ويكون بذلك على حد تعبيره قد بسط يديه جميعا (٤)

هذا وقد كان عمر رضى الله عنه يواجه الأمور الصعبة بعد خلافته بما عرف عنه من شجاعة لاتعرف التردد وبقوة لاتعرف الضعف ، فاذا طلب أحد قواده المعونة والمساعدة لبى النداء ورسم الخطة لنجدته ، بل قد يخرج بنفسه لنصرته مع ثقل المسئولية الملقاه على عاتقه ، وكان ذلك يضعف جانب العدو ويزعزع مكانته ويقلل من حدته ، يبين ابن كثير أحد تلك المواقف الشجاعة من عمر رضى الله عنه فيقول :

أن جمعا من الروم عزموا على حصار أبي عبيدة بحمص ، واستجاشوا بأهل الجزيرة ، وخلق مما هنالك ، وقصدوا أبا عبيدة ، فبعث أبو عبيدة الى خالد فقدم

---

(١) الطبقات الكبرى (ابن سعد) القسم الاول جـ ٣ / ١٩٥ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة (ابن الأثير) جـ ٤ / ١٥٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩٥ من الطبقات الكبرى ، سيرة بن هشام جـ ٣ / ١٠٢٨ .

(٣) سيرة ابن هشام جـ ٣ / ٧٩٨ ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتيين دينيه) ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود / ٣٥٨ .

(٤) الأمامة والسياسة (ابن قتيبة) جـ١ / ١٩ ، الفاروق عمر (د . هيكل) جـ ١ / ٣٣ ، أبو بكر الصديق (محمد رضا) / ١٣١ .

عليه من قنسرين وكتب الى عمر بذلك ، فكتب عمر الى سعد أن يتوب الناس مع القعقاع بن عمر ويسيرهم الى حمص من يوم قدوم الكتاب عليه نجدة لأبى عبيدة لأنه محصور ، وكتب اليه أن يجهز جيشا الى أهل الجزيرة الذين مالأوا الروم على حصار أبى عبيدة على أن يكون امير الجيش عياض بن غنم ، وتحرك الجيشان معا من الكوفة ، وخرج رضى الله عنه من المدينة بنفسه لنصرة ابى عبيدة ، فلما بلغ الخبر الى مسامع أهل الجزيرة ولوا الأدبار ورجعوا الى بلادهم ، وفى نفس الوقت ضعفت الروح المعنوية عند الروم (١)

ومن هذا نستطيع أن نقول :

" ان صفة الشجاعة التى اتصف بها عمر رضى الله عنه كانت من الصفات الغريزية فيه ، ظهرت آثارها وغاياتها فى الجاهلية وكانت آثارها أعظم ، وغاياتها اتم فى الاسلام لان دوافعها كانت أقوى (٢) .

كما غير الأسلام طابع الشدة فيه ، فأصبحت فى خدمة الاسلام والمسلمين ، وهناك كثير من تلك النماذج وهذه المواقف سنتحدث عنها بشيء من التفصيل فى فصل آخر ولكن فى هذا المقام سنضرب بعض الأمثلة على ذلك كنموذج بعد أن انتصر الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر الكبرى وأسر عددا من المشركين وأخذ صلوات الله عليه يستشير أصحابه ازاءهم فأشار عمر رضى الله عنه برأى يتسم بالشدة ، وأشار الصديق برأى يدل على اللين واخذ الرسول صلوات الله عليه بمحاكمتهم بمبدأ اللين ونزل القرآن الكريم يعاتب النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك :

جاء فى ابن كثير فى جـ ٢ فى ص ٣٢٥ ، ...

روى الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ماتقولون فى هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم (واستتبهم لعل الله أن يتوب عليهم ، وقال عمر يا رسول الله

---

(١) البداية والنهاية (ابن كثير) جـ ٧ / ٧٥ / ٧٦

(٢) بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب (الألوسى) جـ ١ / ١١

كذبوك وأخرجوك فقدمهم فاضرب أعناقهم ، وقال عبد الله بن رواحة يارسول الله انت في واد كثير الحطب ،فاضرم الوادي عليهم نارا ثم ألقهم فيه قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : " ان الله ليلين قلوب الرجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وأن مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم عليه السلام " قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم " (١)

وأن مثلك كمثل عيسى عليه السلام قال " أن تعذبهم فانهم عبادك وأن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم " (٢) .

وأن مثلك ياعمر كمثل موسى عليه السلام ـ قال : " ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم (٣) .

وأن مثلك يا عمر كمثل نوح عليه السلام ـ قال " لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا " (٤) .

تتبين من هذا التشبية النبوي الكريم ثلاثة أمور :

١ ـ وصف الصديق باللين ووصف الفاروق عمر بالشدة .
٢ ـ كلمة يتضح منها أن هدف الصديق والفاروق رضا الله عز وجل .
٣ ـ تكريمهما حيث شبههما برسولين من أولي العزم .

ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في عمر رضي الله عنه فيقول كما روى عن أنس بن مالك (ارحم امتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في دين الله عمر (٥) .

---

(١) ابراهيم آية ٣٦
(٢) المائدة آية ١١٨
(٣) يونس آية ٨٨
(٤) نوح آية ٢٦
(٥) المسند الأمام أحمد بن حنبل ج ٣ / ٢٨١

الباب الأول

الفصل الثاني

منهج التفكير عند عمر فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم والصديق رضى الله عنه وعلاقة ذلك بالدعوة الاسلامية

ويشتمل على النقاط التالية :

١ ـ سياسة عمر ازاء الباطل وطابع الشدة فيها كان للحفاظ على الدعوة الاسلامية •

٢ ـ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكرّم فى عمر هذا الطابع •

٣ ـ سداد فكر عمر وعلاقته بالدعوة وظهور هذا الطابع فيه •

٤ ـ محاولة الطعن فى تمسك عمر رضى الله عنه بالدعوة الاسلامية والردّ على ذلك •

٥ ـ سياسة عمر رضى الله عنه بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم كانت للحفاظ على الدعوة كدين ودولة •

٦ ـ حرب الردّة وما نسب اليه من الجهل بركن من أركان الدعوة الاسلامية •

٧ ـ اتجاه فكر عمر للحفاظ على مصدر الدعوة فى خلافة الصديق رضى الله عنه •

عمر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم والصديق رضى الله عنـــه

أن هذه الفترة التى عاشها عمر فى رحاب رسول الله صلى الله عليه وسلـــم والصديق ومنهجه فيها تلقى الأضواء على الحياة الباقية فى حياة عمر . ولذا كانـــت دراستها مما لابد منه لفهم الكثير عن عمر .

لما أسلم سيدنا عمر تغيرت وجهة الطاقات التى وهبه الله سبحانه وتعالى اياها ، فاتجه بفكره وقلبــه وبكل ما أوتى من قوة لخدمة الدعوة الأسلامية ، وأصبح من أظهـــر الصحابة تحمسا لها ومن أشد الناس عداوة لمن انحرف عنها وسلك مسلكا مغايرا لها ، وكانت هذه هى سيمته عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم (قال) أرحــم أمتى بأمتى أبو بكر وأشدهم فى دين الله عمر ، وأصدقهم حياءا عثمان وأفرضهم زيـــد بن ثابت وأقرأهم لكتاب الله أبى بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبـــل ، الا وان لكل أمة أمينا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم اجمعين (١)

والمنحرف عن الدعوة أما كافر ظاهر العداوة وأما فرد أو جماعة تسترت وراء الدعوة لتشفى حقد القلوب فى الخفاء ، وأما مسلم ولكنه زل وانحرف عن القصد . فسياسة عمــر مع هؤلاء واحـــدة .

وكان موضع استشارة النبى صلى الله عليه وسلم وكان رأيه له وزنه وقيمته يبـــدو فيه فقه عمر للدعوة ، وهذه بعض آرائه فى أسرى بدر قال ابن عباس : فلما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وعمر ــ ما ترون فى هؤلاء الأسارى ــ فقال أبو بكر يانبى الله هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنـــا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للأسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلـــم ما ترى يا ابن الخطاب .. قلت يا رسول الله .. ما أرى الذى رأى أبو بكر و لكنى أرى من أن تمكننا فنضرب أعناقهم فتمكن عليـــا من عقيل وتمكننى من فلان (نسيبا لعمـــر)

(١) سند أحمد بن حنبل جـ ٣ / ٢٨١

فاضرب عنقه فأن هؤلاء أئمـة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت ، فلما كان من الغد جئت فأذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد يبكى ، قلت يا رسول الله ، أخبرنى عن أى شئ تبكى أنت وصاحبك فأذا وجدت بكاءا بكيت وأن لم أجد بكاءا تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبكى الذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء ، لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة (شجرة قريبة من النبى صلى الله عليه وسلم) (١) .

وأنزل الله عز وجل (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) (٢)

وتبين من هذا الرأى أمـور :

١ ـ لم يكن يقبل أن يجامل أحدا على حساب دينه مهما كانت قرابته وصلته به ، فـلا يتراخى معه ويشتد مع الآخرين ـ كلا : أن مسلكه واحد وليس هذا فحسب بل طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يمكن كل واحد من الصحابة من قريب له أو أكثر الناس صلة به أذا لم تسعفه القرابة فيحتسب ليطيع رأسه .

يقول الله سبحانة وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء أن استحبوا الكفر على الأيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل أن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين (٣) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٢ / ٨٦/ ٨٧ ، الطبرى جـ ٢ / ٤٧٥

(٢) الأنفـال آيـة ٦٧ ، ٦٨

(٣) سورة التوبة آية ٢٣ ، ٢٤

٢ ـ رأى عمر أن قتل هؤلاء البارزين فى الكفر والعناد يضعف من شوكة الباقين ويمنعهم من الوقوع فى الأسر ويحطم معنوياتهم ويذل غرورهم وكبرياءهم وأنفتهم البغيضة فالله سبحانه يقول (فقاتلوا أئمة الكفر أنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) (١)

يعلم عمر بهذا السلوك ما يجب على المسلم ازاء المسلم فى أفراحه وأحزانه وهو أن شعور كل يجب أن يكون شعورا رقيقا وأحساسا وجدانيا نحو الآخر فيزيد المسلمين بذلك ارتباطا وحبا وقوة ، وهذا ما لمسناه من سيدنا عمر فى مجاملته حين سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن سبب البكاء وأعلن أنه سيشاركهم على كلتا الحالتين • فأما أن تساعده دموع العين فيبكى والا شاركهم فى التعبير بملامح الحزن التى ترتسم على وجهه رضى الله عنه مشاركة لهما •

والعداوة التى كانت ظاهرة فى حياة عمر على الكفار وأنها بلغت منتهاها كانت تجرى على ألسنة زعماء الكفر فى ذلك الوقت ، روى أنه لما نقضت قريش صلح الحديبية خافت نتائج أعمالها وتوقعت رد فعل من النبى صلى الله عليه وسلم فأرسلت أبا سفيان ليشدد العقد ويزيد فى المدة حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فى الأمر فلم يرد عليه شيئا ، ثم ذهب الى أبى بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أنا أشفع لكم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم ثم خرج الى على ثم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتوسط ولديها فى الأمر فلم تقبل ورجع الرجل خائبا من حيث أتى ـ فسألته قريش عن النتيجة فأجاب •

جئت محمدا فكلمته فلم يرد على شيئا ، ثم جئت ابن أبى قحافة فلم أجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم جئت على بن أبى طالب فوجدته ألين القوم (٢)

---

(١) سورة التوبة آية ١٢

(٢) الطبرى جـ٣ / ٤٦ / ٤٧ بتصرف •

١ ــ فهذا موقف عمر مع الكفار .. عبر عنه أبو سفيان بقوله وجدته أعدى القوم وأبو سفيان لم يقل هذا القول جزافا أو ألقاه للقول على عواهنه وأنما من قول عمر رضى الله عنه أأشفع لكم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلن أنه سيقاتلهم بكل الأسلحة المستطاعة ولو وجدها لم يقف مكتوف الأيدى أمامهم ، ولو قذف فى وجوههم بالحب حتى يكون قد أتى على جميع ما فى كنانته .

٢ ــ ليس عداء عمر من النوع المتعارف عليه بين الناس .

فالعداء الذى يقوم بين الناس قديما وحديثا دوافعه مادية أرضية فحسب ولا يمكن أن يزعم زاعم بأن عداء عمر من هذا الباب الرخيص ، وأنما عداء عمر من طراز خاص ، أساسه أنه اعتبر أن عدو الدعوة الأسلامية عدوّ له ، فهى بالنسبة له كل شيء .

ولأجل هذا كان لا يعرف المهادنة مع الباطل ، فهو يريد أن يشتبك معه متى وجده ، فأذا تركه الرسول مضى لغايته وأذا منعه الرسول صلى الله عليه وسلم لحكمة يراها توقف وذلك ليقول الله عز وجل (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الأيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون) (١)

---

(١) سورة المجادلة آية (٢٢) .

سياسة سيدنا عمر مع المنافقين

وهذا موقف كريم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه أمام النفاق والمنافقين وأمام المكر والخداع وغلبة الاطماع .. وقد تجلى ذلك فى غزوة بنى المصطلق[1] .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماء لهم يسمى (المريسيع) وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى يا معشر الأنصار وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبى بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث فقال أوقد فعلوها قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا والله ما أعدنا وجلابيب قريش الا كما قال سمن كلبك يأكلك ، وأما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم .. هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم وقاسمتوهم أموالكم وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول وعنده عمر بن الخطاب فقال (مر به عباد بن بشر فليقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فكيف يا عمر اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ، لا ولكن أذن بالرحيل وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس)[1]

١ - أن عمر رضى الله عنه ثار وغضب عندما سمع هذا القول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسل سيفه هذه المرة ولكن بقى فى غضبه مما يدل على سعة التفكير العمرى وأنه يزن كل أمر وكل حادثة بما تملى عليه ظروف الحادثة .

فالرجل الذى قال هذا القول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من

---

(١) كانت فى شعبان سنة ست ؟

(١) سيرة ابن هشام ج٣ / ٧٥٨ / ٧٥٩ ، الطبرى ج ٢ / ٦٠٤ / ٦٠٥ ، ابن كثير ج ٤ / ٣٧٠ ، الرياض النضرة مخطوطة / ٢٢ ولكن مع تغيير فى بعض الألفاظ .

الأنصار في الظاهر فلو قتله مهاجرى ربما قامت الفتن بين المهاجرين والأنصار ولوجد أعداء الدعوة الذريعة التى يصلوا بسببها الى تفريق الصف الأسلامى وأيجاد المنازعات والخصومات لاسيما وأن معهم في المدينة حاقدون كثيرون يهود ومنافقون ولأجل هذا أشار عمر على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأمر أحد الأنصار وهو عباد بن بشر بن وقش من الأنصار بقتله [1] .

٢ ـ أن عمر يرى أن هذا الرجل المنسلخ عن الأسلام عضو مشلول في المجتمع بل جرثومة يجب قتلها وهذا أقصى ما يصل اليه الأنسان في مثل أيمان عمر ولا نطالب عمر بأن يكون نظرته الى الأشياء مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ ولم يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى أن بقاءه ولا سيما وقد انكشف أمره أكثر فائدة من قتله والعلة في تركه بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وهى ذات شقين :

الاول : حتى لا يزعم ضعاف الايمان من المنافقين واليهود بأن محمدا يقتل أصحابه فتقوم الدعاية المغرضة ضد الدعوة .

الثاني : أن قتله والحالة هذه يسبب العداء بين ولده المخلص للدعوة والصحابي الجليل وبين قاتل أبيه والرسول يرى ما لا يراه عمر والأيام كفيله بأن ينبذ الرجل من أقرب الناس اليه لحبهم للأسلام وبغضهم من نفاقه ولقد حدث هذا بالفعل عن عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول .. أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال .. يا رسول الله أنه قد بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه ـ فأن كنت فاعلا فمرنى به فأنا أحمل اليك رأسه فو الله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده منى وأنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن انظر الى

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٣ / ١٥٠ ابن الأثير .

قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس فأقتله فاقتل مؤمنا بكافـــــــر فأدخل النار .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق بـــــه ونحسن صحبته مابقى معنا ، وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحـــدث كان قومه هم الذين يعاقبونه ويأخذونه ، ويعنفونه ويتوعدونه ـ فقـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنه كيف ترى ياعمـــر ...

أما والله لو قتلته يوم أمرتنى بقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليـــوم بقتله لقتلته قال فقال عمر :

" قد والله علمت لأمر رسول الله أعظم بركة من أمرى " (١)

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٢ / ٦٠٨/ ٦٠٩

سياسة عمر مع المنحرفين من المسلمين في حيــــاة الرسول صلى الله عليه وسلــــــم

كانت سياسة عمر معهم هي الشدة وأحيانا يرى أن الأسلوب الناجح لتقويــــــم الأمة الأسلامية هو تخليص الأمة من شرور المنحرف ليكون عبرة للغير فتستقيم حياة الجماعة بكل مقوماتها . وهذا موقفه مع أحد الصحابة (حاطب بن أبي بلتعة) هذا الرجـــل كان له ماض كريم في ميادين الجهاد ، فلقد اشترك في أولى الغزوات الكبرى فــــي الأسلام وهي غزوة بدر الكبرى .

ولكن بعد مرور سنوات زل بحسن نية فعندما بدأ النبي صلى الله عليه وسلـــم يخطط لفتح مكة معقل الوثنية والكفر كان من اللازم أن يقوم ببعض الترتيبات اللازمـــة في المدينة حتى لايتسرب الخبر الى مكة ، وهذا من أهم عناصر نجاح المعركة ... فقبل أن يتيقظوا يكون الجيش الأسلامي قد صعقهم ، ومن أجل هذا استقر الأعـــراب الذين حول المدينة من غير أن يعلمهم بقصده ، وقال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان في المدينة) فقدم جمع من قبائل أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وهـــم لايعلمون شيئا مما دعوا اليه ولايدرون مايريد النبي صلى الله عليه وسلم من دعوتهم (١)

وأخذ يدعو فيقول (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حـــتى نبغتهـــا في بلادهـــا (٢) .

ثم أمر بالطرق فحبست وأقام على رؤسها جماعة يراقبون بها وعهد الى عمر رضـــي الله عنه أن يراقب هذه الجماعة وهو معروف بحزمه وشدته فكان يمر عليهم ويقول لهـــم لاتدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه الا رددتموه يقصد بذلك من يشك فيه من المنافقين الذيـن يقومون بالمدينة بالتجسس لقريش وكان هذا التدبير خاصا بالطرق الموصلة الى مكـــة ،

---

(١) القضايا الكبرى في الأسلام (الشيخ عبد المتعال الصعيدي / ٣٧

(٢) تاريخ الطبري جـ ٣ / ٤٧ ، سيرة ابن هشام جـ ٤ / ٨٥٧ ، الطبقات الكبرى لابـن سعد جـ ٢ قسم (١) ص ٩٧ مع تغيير في اللفظ .

فكان من يريد سلوكها يتحفظ منه ويسأل عنه [١] .

أدرك حاطب مقصده وعلى الفور كتب رسالة واستأجر امرأة بدينار أو عشرة دنانير وفي بعض الروايات من غير تحديد فيقولون وجعل لها جعلا فوضعتها المرأة في شعرها ولتزيد من أخفائها فتلت عليها قرونها ونص الرسالة :

" من حاطب بن أبي بلتعة الى سهيل بن عمر وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل أن الرسول صلى الله عليه وسلم أذن في الناس بالغزو ولا أراه يريد غيركم وقد أحببت أن يكون لي عندكم يد وقيل أنه كان فيه .. أما بعد يا معشر قريش فأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بجيش عظيم كالليل يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده فانظروا لأنفسكم والسلام " [٢]

وسارت المرأة بهذه الرسالة ولم تثر شكا في نفوس الحراس وخصوصا وأنها لا تعلم مافي داخلها وألا لظهر على ملامحها الأضطراب والخوف والهلع فجاء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختار الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الفرسان وهما علي والزبير بن العوام وقيل كان معهما المقداد [٣] وأعطاهم أوامره بأن يسيروا الى روضة خاخ وقيل بالسير من غير تحديد لمكان المرأة التي يقابلونها فيه فلحقوا بها وطلبوا الكتاب فأنكرت المرأة في بادىء الأمر فلما رأت ملامح الجد في الرجال وقول علي بن أبي طالب لها : أخرجي الكتاب وألا والله لأجزرتك ولأضربن عنقك فأخرجت الكتاب وتركوها ورجعوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهذا يعلم بأن المرأة لم تكن تعرف مابداخله وألا لما تركوها لأنها تستطيع الوصول وتبليغ الرسالة شفويا وطلب الرسول صلى الله عليه وسلم حاطب فمثل أمام القضاء فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدوافع التي أدت به الى كتابه هذه الرسالة فأخذ يدافع عن نفسه :

---

(١) القضايا الكبرى في الاسلام عبد المتعال الصعيدي جـ٣٧

(٢) المرجع السابق / ٣٨

(٣) الطبري جـ ٣ / ٤٨

يارسول الله والله ماكفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان أهلى بين ظهرانيهم ، فخشيت على أهلى فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت أن الله ينزل بأسه وكتابى هذا لايغنى شيئا ، فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره وكان عمر رضى الله عنه قد حضر المحاكمة وطلب الأذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يسمح له بقتله لأنه فى نظره قد نافق ولكن الرسول لم يقبل وقال وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم (1) .

أن الذى دفع عمر الى موقفه هذا حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومصلحة الجماعة الأسلامية وحرصا على بقاء أسرارها فى طى الكتمان ليستطيعوا الوصول الى أغراضهم ، وعمر أدار بعقله الكبير وقلبه المستير النتائج التى كانت ستترتب لو وصل خبر تحرك المسلمين من المدينة الى مكة .

فهل يا ترى .. سيقف المكيون بغير دفاع ؟؟ ويسلمون مدينتهم ووطنهم ؟؟ أبسط العقلاء لايقول ذلك ، فهم من غير شك كانوا سيبذلون أقصى مافى وسعهم وبكل الأسلحة الممكنة والمتيسرة اليهم ولا محالة والأمر كذلك أن تراق دماء غزيرة من كلا الطرفين وخصوصا وأنهم فى موقف دفاعى ، وأن الموقف الدفاعى يكون أقوى من المهاجم غالبا ، اللهم الا أن يكون المهاجم أكثر فى العدد والعدة وأبعد فى التخطيط الحربى .

وعلى فرض أن الخسائر ستكون قليلة فى الجيش الأسلامى فهم كانوا فى غنى عن هذا لو كتم السر ، وفوجىء العدو بالمسلمين فمهما كان العدو فستزهله المفاجأة ويضطر الى التسليم ، وهذا ما حصل فعلا فى هذه الغزوة ، الا بعض المناوشات الضئيلة .

---

(1) سيرة ابن هشام ج ٤ /٨٥٨/ ٢٥٩ ، تاريخ الطبرى ج ٣ /٤٨ ، ٤٩ أسباب النزول النيسابورى / ٢٤٠ ــ تفسير ابن كثير ج ٤ / ٣٤٥ .

فحاطب ارتكب جناية تهدد الجماعة بغير شك ولا سيما وأن الدولة كانت فى حالة حرب مع عدو شرس والجناية هذه يستحق صاحبها الأعدام واعترف الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا لولا أن ماضى الرجل فى جهاده هو الذى تشفع له .

ولم يترك الله عز وجل هذه الحادثة تمر الا وجعل فيها العبرة والعظة لينتفع بها المسلمون فى حياتهم الى يوم القيامة . فلا يتسرب من بين أيديهم أسرارهم وهدد من يرتكب هذا الجرم . يقول سبحانه " يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم أن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . (١)

أن غزوة بدر الكبرى ونتائجها العظيمة بالنسبة للمسلمين ومع عدم التكافوء فى العدد تركت الصدور الكافرة موغرة بالأحقاد والكراهية وقد جلس بعضهم يجتر الماضى والموقعة التى دارت رحاها وكم قتل فيها وأسر وكانوا ملء السمع والبصر .

فأثار هذا غيظ القلوب ودبروا مؤامرة فى الخفاء وأحاطوها بالسرية التامة يشفون بها صدورهم المكلومة وقلوبهم المريضة وهذه المؤامرة هى اغتيال النبى صلى الله عليه وسلم بطريق الخيانة والغدر وبطلها عمير بن وهب .

جهز الرجل سلاحه واستعد وركب ناقته وسار تراوده أحلامه فى الحصول على مقصده ولكن هيهات والله يقول (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وأن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لايهدى القوم الكافرين) (٢) .
حتى وصل الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن هناك عينان ترقبانه من بعيد صاحبها لايبخل بنفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هو سيدنا عمر بن الخطاب لم يتردد أن قال هذا الكلب عدو الله ما جاء الا لشر وهو الذى حرش بيننا وحذرنا

---

(١) الممتحنة آية (١)
(٢) المائدة آية ٦٧

للقوم يوم بدر .. وهنا يتوارد على العقل سؤال ؟ ..

ما الذى اعتمد عليه عمر من القرائن حتى يحكم هذا الحكم ؟ فربما جاء ليسلم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتتلمذ على يديه فلا يستحق من عمر ما وجهه اليه .

١ ـ أن عمر أدرك بفراسته التى لاتخيب والتى تصدق دائما فيما يذهب اليه أن الرجل برزت عليه ملامح الألم والغضب فليست هيئته هيئة الرجل الذى تفتحت بصيرته واستنار قلبه وظهرت على وجهه الآمال الجميلة فى اللقاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ أن الرجل كان متوشحا سيفه وليس هذا من عمل المسالمين وانما عمل من يتوقع منه الشر .

وهل اطلاق عمر كلمة كلب على الرجل يتنافى مع الآدميين ؟ هذا الأطلاق البديهى على لسان الفاروق يدل على مدى فقه عمر للدعوة والله سبحانه شبه الآدميين الذين لم ينتفعوا بما حباهم الله من فضله من العقل والرسالة التى بين أيديهم ، وهذا الرجل هو الآخر أعطاه الله عقلا وأرسل له ولغيره رسولا منهم كما فى القرآن الكريم " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم " (١) .

ولم ينتفعوا جميعا بهذه المنح العظيمة ، بالحمار الذى على ظهره كتب العلم ، وهو يئن من حملها وبالتالى لم ينتفع بها ، يقول رب العزة " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين (٢) .

---

(١) التوبة آية ١٢٨
(٢) سورة الجمعة آية ٥

ولبقائه فى الضلال واستمراره فيه وعدم الانتفاع بالدعاء الى الأيمان وعدم الدعاء كالكلب فى لهثه فى حالتى أن حملت عليه وأن تركته يقول سبحانه فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (١) .

٣ ـ ولم يكتف عمر بالقول بل لابد أن يتدخل عمليا فأخذ بحمالة سيفه فى عنقه ولببه بها وطلب من الأنصار أن يدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجلسوا عنده ويراقبون حركات هذا الخبيث حتى لا يصل اليه مكروه ولكن الوحى الألهى قد سبق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه بتحركات الرجل وما جاء لأجله ..

وحاول الرجل عند سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم له الأنكار ولكن الرسول ضيق عليه وأعلن أنه يعلم مسبقا قبل وصوله السبب الذى من أجله أتى اليه . فوجد الرجل أنه أمام رجل من طراز خاص موصول بالسماء والكذب عليه لايجدى ، فلم يجد قرارا من الأعتراف بالحقيقة وأسلم بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم (٢) .

ولم يكن عمر يقف موقف المتفرج ازاء كلمة اتهام توجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يغار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الغيرة .

جاء رجل من بنى تميم يقال له الخويصرة فوقف عليه وهو يعطى الناس .. فقال يا محمد قد رأيت ماصنعت فى هذا اليوم ؟ .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل .. ، فكيف رأيت ؟ .. فقال لم أرك عدلت ، قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ويحك اذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون ؟ .. فقال عمر

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٦

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ / ٤٨٥ / ٤٨٦ ، أنساب الأشراف للبلاذرى / ٣٠٥ ، الطبرى ج ٢ / ٤٧٢ / ٤٧٣ ، الرياض النضرة فى مناقب العشرة (مخطوط) ورقة / ٢٢ (محب الطبرى) .

بن الخطاب يارسول الله ألا أقتله ؟ فقال لا دعـــه[1] .

أن كـلام الرجل الذى وجهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل دلالــة قوية على أنه لم يفهم حقيقة الرسالة ولا صاحبها فهو يحمل بصريح اللفظ الجفــاء والخشونــة .

وعمر لم يطق على هذا التسلط الذى بدا من كلام الرجل ورأى أن جزاء هــذا الجلف الجهول الغبى موته . لان بقاء مثل هذا مع ادعائه للأسلام فيه موت للقــيم والفضيلة والمثل العليا التى تدعو اليها الدعوة الأسلاميــة ..

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كفكف فيه هذه الثورة مع غضبه صلوات اللــه عليه وأخذ صلوات الله عليه يرســه بالدليل العقلى ليرجع الى الـرجل صوابــه ورشده من أقرب الطرق وأوضحهـا .

فمن من البشرية يعدل اذا تجرد رسول العدل عن العدل ؟؟؟؟؟

فلم يستطع الرجل الجدل والمناقشة أمام هذا الدليل وألقم حجرا يسد فاهــه حتى لايتدلى لسانة مرة أخرى ويبقى فى جرابـه .

وكان من أسرى بدر ، سهيل بن عمر أسرة مالك بن الدخشم الأنصارى فلمــا أتى به النبى صلى الله عليه وسلم ، قال عمر بن الخطاب دعنى أنزع ثنيتــه يارســول الله فلا يقوم عليك خطيبا أبدا ، وكان سهيل أعلم (أى مشقوق الشفة العليا) فقــال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه ياعمر : فسيقوم مقاما تحمده عليه .. فكان مقامــه ذلك عند موت النبى صلى الله عليه وسلم[1] .

وذلك أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا بالرجــوع عن الاسلام وأرادوا ذلك حتى خافهم عتاب بن أسيد فتوارى فقام سهيل بن عمرو هــذا فحمدا الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أن ذلك لم يــزد

---

(1) سيرة ابن هشام جـ ٢ / ٤٧٨ ، أنساب الأشراف للبلاذرى ص٣٠٣/٣٠٤ ، الكامــل فى التاريخ لابن الأثير جـ ٢ / ٩١ ، الطبرى جـ ٢ / ٤٦٥ .

الاسلام الا قوة .. فمن رابنــا ضربنــا عنقــه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به [1] .

وغيرة عمر لم تقف عند هذا الحد ، وأنما كانت تدفعه أحيانا الى الدخــــول بــين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين زوجاته ، فلم يكن يتصور أن احد اهـــن تراجعه صلوات الله عليه . فما سمع هذا الأمر ذهب سريعا الى بيوت أزواجه صلــوات الله عليه وهو محــزون ، وبدأ بابنته حفصة فبدأ يسألها فأجابته بصدق القول الذى بلغه فأخذ يعظها ويخوفها من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن الله يغضب لغضبه

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٤ / ١٠٧٩

عن أبن عباس عن عمر قال كنا معشر قريش قوما تغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم — قال : وكان منزلي في دار أمية بن زيد العوالي — قال فغضبت يوما على امرأتي فاذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني — فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله أن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل ، قال ... فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت : أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم .. قلت وتهجره أحداكن اليوم الى الليل قالت نعم .. قلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أفتأمن أحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فاذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم (1) .

فحيطة عمر رضي الله عنه وغيرته على الرسول صلى الله عليه وسلم هذه ، فلأن الرسول صلى الله عليه وسلم له المكانة الكبرى عند ربه ولأجل هذا فمن يجل محمدا ويحبه ويضعه في الموضع الذي وضعه ربه يكون قد أحب ربه وأطاعه .

فعمر يعطي بذلك دروسا للمسلمين ينتفعون بها في حياتهم فيسعدون بذلك بالقيام بمثل ما كان يقوم به عمر ، والرسول قد مضى الى ربه راضيا مرضيا ، ولقد ترك لنا ثروة ضخمة من قرآن وسنة ، تحتاج الى العاملين بها النافعين عن كل كلمة فيهما ، مهما بذلوا في سبيل ذلك ، والأجر والثواب على قدر النصب والوزر ، والعقاب على على قدر الاهمال والعصيان (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (2) .

---

(1) تفسير ابن كثير ج ٤ / ٣٨٨

(2) الزلزلة آية ٧

جهاد عمر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كان للحفاظ على الدعوة الى الله عز وجل

شهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وأحدا والخندق ، وبيعة الرضوان ، وخيبر والفتح وحنينا وغيرها من المشاهد [1] .

وخرج في عدة سرايا ، وكان أمير بعضها ، وهى المرسلة الى تربة في شعبان سنة سبع من مهاجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثين رجلا الى عجز هوازن بتربة ، فخرج وخرج معه دليل من بنى هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار ، فأتى الخبر هوازن فهربوا فلم يلق منهم أحدا فانصرف راجعا الى المدينة فلما كان بذى الجدر على بعد ستة أميال من المدينة قال الهلالى لعمر هل لك في جمع آخر من خثعم سائرين قد أجدبت بلادهم ؟ فقال عمر لم يأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما أمرنى أن أعود الى قتال هوازن بتربة [2] .

ويضم الى سجل مآثر سيدنا عمر رضى الله عنه ثباته في غزوة أحد وما كان له من الأفعال الحميدة والصفات النبيلة التى تدل دلالة واضحة على حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، الأخلاص الكامل له ونذكر في هذا المجال رواية ذكر فيها مخالفة عمر لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسنادين مختلفين ثم نأتى عليهما بالنقد .

عن عقيل عن الزهرى عن البراء — قال : لما كان يوم أحد جاء أبو سفيان بن حرب فقال — أفيكم محمد ؟ فقال رسول الله لا تجيبوه ثلاثا ، فقال أفيكم ابن أبى قحافة ؟ فلم يجيبوه قالها ثلاثا ثم قال أفيكم ابن الخطاب — قالها ثلاثا فلم يجيبوه — فقال أما هؤلاء فقد كفيتموهم فلم يملك عمر نفسه — فقال كذبت ياعدو الله ها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وأنا أحياء ولك منا يوم سوء ، فقال يوم بيوم بدر والحرب سجال . ثم قال أعل هبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٤ / ١٥٤ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ / ١٩٥ ، أشهر مشاهير الاسلام المجلدة الاولى ع / ١٩٤ (رفيق العظم) .

(٢) الطبقات الكبرى ج ٢ / ٨٥ ، أخبار عمر للطنطاويين ص ٤٤ نقلا عن شرح المواهب ج٢ ٢٨٧ .

أجيبـوه ، فقال يارسول الله ماتقول ، قال قولوا الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان أن لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجيبوه ، قالوا يا رسول الله ، ماتقول ، قال قوالوا الله مولانا ولا مولى لكم [1] .

وأما رواية ابن وكيع بأسناده عن البراء ، فتزيد عن الرواية الأولى قال أبو سفيان أما أنكم مستجدون فى القوم مثلا لم آمربها ولم تسوئى [2] .

فهذه الرواية تبتنى على أمرين :

الأول : تنسب الى عمر المخالفة والخروج عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أصدره بعدم الأجابة .

الثانى : يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالأجابة موجها الى المسلمين الذين معه بصيغة الجمع لم يعين منهم أحدا .

ويبدو أن هذه الرواية غير صحيحة : فأى علة فى منع الرسول صلى الله عليه وسلم بالأجابة على مايقوله أبو سفيان فأذا كانت العلة اخفاء أمر أبرز الرجال فى صفوف المسلمين ، فستكون النتيجة لصالح الكفار لأن هذا مما يزيد فى حماسهم وغرورهم وينعكس هذا على شعور المسلمين لأنهم سيظهرون بمظهر الضعف والجبن مع أن الحالة تستدعى الرفع فى روح المسلمين المعنوية وخصوصا وقد سقط كثير منهم شهداء .. فهم الذن فى حاجة الى مايزيد صلابتهم وأصرارهم ، ثم أن الرواية لم يتعين فيها أحد على الأجابة مع أن الذى يرد على أبى سفيان يتحمل مهمة فى وقت الحرب فلا بد وأن تكون من رجل من أبرز الجماعة المسلمة ليكون لرده صدى فى الآذان وفى النفوس ، فيدلنا هذا على أن الرسول صلى الله عليه وسلم عين فردا بعينه تخيره من بينهم : فمن هو ياترى ؟؟

عن الزهرى وعن عاصم بن عمر بن قتادة ـ قالا : لما أراد أبو سفيان الأنصراف أشرف على الجبل ثم نادى بأعلى صوته : أن الحرب سجال يوم بيوم بدر ، أعل هبل ـ

---

(١) تاريخ عمر لابن الجوزى / ٣٨

(٢) تاريخ الطبرى جـ ٢ / ٥٢٦/ ٥٢٧

أى اظهر دينك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب : قم فأجبه فقال الله أعلى وأجل لا سواء ، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار ، فلما أجاب عمر أبا سفيان ، قال أبو سفيان هلم الى ياعمر .. ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أئته فانظر مايقول ،فجاءه ، فقال له أبو سفيان أنت أصدق عند من ابن قمئة وأبر بقول ابن قمئة لهم : قد قتلت محمدا [1] .

وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اختار للرد على هذا الجهول عمر لأنه يعلم أن عمر لم يطق صبرا على ماسمع ، فأراد أن يشفى صدره ويفرج مانزل بعمر عند سماع هذا القول وخصوصا وأن عمر عرف عنه الغيرة على التوحيد أكثر من غيره ولا أدل على ذلك من أن الأسلام لم يظهر الا بعد اسلامه ، يقول عبد الله بن مسعود :

" كان أسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرا وأمارته رحمة " [2]

وزيادة على ذلك أنه كان من أكثر الصحابة مهابة وأشدهم صولة وصدقا ، وقد شهد بذلك عدو الله أبو سفيان وهو يقول له أنت عندى أصدق من ابن قمئة وأبر .

وكانت له وقفة عظيمة مشرفة حين أشرف خالد بن الوليد على الجبل وخالد معروف بمهارته المنقطعة النظير فى ميادين الحرب ،ولأجل هذا كان الكفار يجعلونه على مقدمة خيولهم فى الحرب [3] .

بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب مع أولئك النفر من أصحابه ، اذ علت عالية من قريش وعليها خالد بن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لاينبغى لهم أن يعلونا فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل [4] .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ / ٦٠٩ ، أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٤ / ١٥٤ ، أشهر مشاهير الأسلام ــ رفيق العظم ــ المجلدة الأولى ص ١٩٥ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣/١٩٣ .

(٣) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٢ / ١٠٩

(٤) سيرة ابن هشام ج ٣/٦٠٣

الرسول صلى الله عليه وسلم يكرم الفاروق عمر رضى الله عنه ويمدح فيه طابع الشدة

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكرم عمر رضى الله عنه أحيانا بالتبسم وتارة يشيد بحزمه وقوة صلابته فى الحق ويبين أن الباطل ليس عليه سبيل وكان يرى من المشاهد والصور مايزيد ، اغتباطا ولا يسمه ألا أن يعلن ذلك بالقول وبهذا كان يعلم الأمة من جهة ثانية المهابة من عمر رضى الله عنه ، عن سعد ابن أبى وقاص ـ قال : استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن ، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له فدخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله ، فقال عجبت من هؤلاء اللائى كن عندى فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب ـ قال عمر ، فأنت كنت أحق أن يهبن ثم قال عمر ، أى عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ، " مالقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك " .

وعن عروة عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فسمعنا لغطا وصوت صبيان ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا حبشية تزفن والصبيان حولها فقالت يا عائشة : تعالى فانظرى فجئت فوضعت لحيتى على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت أنظر اليها مابين المنكب الى رأسه ، فقال أما شبعت ، أما شبعت قالت فجعلت أقول لا .. لأنظر ـ فنظرت عنده ، اذ طلع عمر ، قالت فانفض الناس عنها قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى لأنظر الى شياطين الأنس والجن قد فروا من عمر (١) .

---

(١) تاريخ عمر بن الخطاب (ابن الجوزى ١٨ / ١٩ ، الرياض النضرة فى مناقب العشرة ص ٢٧٠ / ٢٧١ .

عن الأسود بن سريع قال : أتيت النبي صلوات الله عليه وسلم قد حمدت ربي بمحامد ومدح وأياك ـ فقال : أن ربك يحب المدح وفي رواية ابن الجوزي الحمد فجعلت أنشده ، فاستأذن رجل طوال أصلع فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسكت فدخل فتكلم ساعة ثم خرج فأنشدته ثم جاء ، فسكتني النبي صلى الله عليه وسلم ثم خرج ، فعل ذلك مرتين أو ثلاثة ، فقلت يارسول الله من هذا الذي اسكتني له ؟ فقال هذا عمر هذا رجل لايحب الباطل [1] .

ويفند ويحلل ابن الجوزي سماع الرسول صلى الله عليه وسلم مايقال عنه أنه باطل مع أنه يتحاشى عن الباطل في هذه القصة السابقة .

أنه لما كان الشعراء كما وصفهم الله عز وجل (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون) [2] . ويجيء منهم مايصلح ومالا يصلح وقال هذا الشاعر للنبي صلى الله عليه وسلم أني قد حمدت الله ربي لمحامد سمع منه ولو قد ذكر في قصيدته مالا يصلح لأنكره عليه كما أنكر على نسائه ، قلنا وفينا نبي يعلم مافي غد ـ فقال : لاتقلن هذا فخاف أن سمع من ذلك عمر أن يقابله بفاحش الأنكاره وكان النبي صلى الله عليه وسلم أرفق منه في باب الأنكار باللطف [3] .

ويحلل الأستاذ العقاد موقف الرسول صلى الله عليه وسلم وموقف عمر رضى الله عنه ازاء الباطل فيقول عن القصة السابقة بوجه خاص وغيرها بوجه عام :

وتلك قصة تكبر عمر مرة وتكبر النبي صلى الله عليه وسلم مرات فلا يسمعها السامع فيخطر له أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقبس الباطل الذي يأباه عمر أو كان يهوى اللغو الذي يعرض عمر عن سماعه وأنما يسمعها فيعلم أي الرجلين يهدي صاحبه في مناهج الحق ويدربه على كراهية الباطل ويعلم أن الأمام يطيق مالا يطيقه المريد ويتسع صدره

---

(١) المرجعان السابقان .

(٢) الشعراء آية ٢٢٤ .

(٣) تاريخ عمر بن الخطاب (ابن الجوزي) ٢٢

لما تضيق به صدور تابعيه ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يعود الناس مهابة عمر وأن يستبقى ثورته فى محاربة الضلال والأيام كفيلة بترويض تلك السورة فيما ينبغى أن تتراضى عليه ، وهناك يتجلى مذهبان فى كراهية الباطل ويتجلى فارق واضح بين مذهب المعلم ومذهب المريد ، فعمر كان ينكر الباطل انكار المحارب ويرفع له سلاحه حيثما رآه والرسول صلى الله عليه وسلم كان ينكره ولا يرفع له سلاحه حيثما رآه لأنه يعلم ضروبا من الباطل وضروبا من الأنكار ، ومن الأنكار أحيانا ما يتجاوز عنه وأن يشفق عليه اشفاق الرجل على شخص الطفل الصغير ، وأن يتربص به الأيام حتى يزول وأن يعالجه بسلاح المحارب وهو بذلك قد أعد له ضروبا من الانكار وكان أكمل عدة له من الراصدين له فى ميدان واحد[1]

(١) عبقرية عمر (العقاد) ١٤٧

عمر واعتزازه برأيه وسداد ه فيه بين يد ى رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهور الطابع العمرى فيه

كان عمر ثانى الصحابة وكان شيخ المسلمين بعد الصديق رضى الله عنه وفى صحبته للرسول صلى الله عليه وسلم ،مثال التلميذ القوى الجرىء المطيع وكان قد أمر رسول الله أن يشاور أصحابه فى الأمر فكان عمر يمثل جانب الصراحة فى اقامة الحق والحزم فى تدبير الأمور وكان قد أحس ارتياحا لرأيه فكان يعرضه عليه [1] اذ بدا له وجهة نظر فى الموضوع المطروح وتارة كان هو يقترح على رسول الله صلى الله عليه وسلم مايراه صالحا مطمئنا الى مرجع الرأى ومقطع القول بين يديه شاعرا بواجبه الا ُول أحسن شعور فى هذا المقام لأنه شعور الرجل الكريم الذى لايضن بشىء من عونه فهو يعرض أقصى ما عنده من البأس ويدع لصاحب الأمر أن يكتفى باليسير منه اذا شاء ولكن ليس عليه هو أن يعرض اليسير ، ويترك لصاحب الأمر أن يطلب الكثير [2] ، وكان القرآن الكريم يوافقه فيما ذهب اليه أحيانا وذلك لأن الله سبحانه وتعالى منحه سعة فى التفكير وصفاء فى القلب والسريرة .

---

(١) أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر (للطنطاويين) ٣٦/

(٢) عبقرية عمر (العقاد) ص١٥٠

عمر وصلح الحديبية

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس أنه انما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له وكان ذلك فى أواخر سنة ستة من الهجرة (١) ولكن قريشا منعت الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من دخول مكة وجرى بينهم اتفاق على أن يرجع المسلمون فى عامهم هذا على أن يدخلوها فى العام القادم ، ولم يعجب هذا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن شروط الصلح كانت تبدو لغير صالح الرسول صلى الله عليه وسلم مجحفة بالمسلمين ووجدوا أن من الذلة والصغار قبول مثل هذا وحمل سلاح المعارضة سيدنا عمر رضى الله عنه وأخذ يسأل النبى وكانت أجابته وأجابة الصديق عند سؤاله واحدة وهى طمأنينة عمر رضى الله عنه وأنها فى صالحهم والأيام كفيلة باظهار ما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قام سهل بن حنيف فقال : أيها الناس اتهموا أنفسكم ، لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ، ولو نرى قتالا لقاتلنا وذلك فى الصلح الذى كان بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين المشركين فجاء عمر بن الخطاب فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ألسنا على حق وهم على باطل ؟؟ .

قال بلى .. قال أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار ؟
قال بلى .. قال ففيم نعطى الدنية فى ديننا ، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟؟
قال يا ابن الخطاب أنى رسول الله ولن يضيعنى الله أبدا ، قال فانطلق عمر فلم يصبر متغيظا فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل ؟ قال بلى قال اليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار ؟ قال بلى — قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا ونرجع ولما يحكم الله وبيننا وبينهم ..... فقال يا ابن الخطاب أنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا — قال فنزل القرآن على رسول الله بالفتح ، فأرسل الى عمر

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٣/٧٧٤ .

فأقرأه أياه فقال رسول الله أو فتح هو ـ قال نعم فطابت نفسه ورجع[1] .

فى الواقع أن هذا الموقف كان اختبارا للمسلمين ومحنة شديدة عليهم ولا سيما وأن الشروط كما قلت فى ظاهر الأمر أنها مجحفة بالمسلمين ثم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لزم الصمت ولم يشرح وجهة النظر فى قبولها واكتفى بقوله لعمر أنى رسول الله ولن يضيعنى الله وعمر هو الآخر يتردد فى أسئلته بين الصاحبين ، عما يختلج فى أفكاره يريد هو الآخر ايضاح هذه المسألة فلما نزلت آيات البشارة بالفتح رضى عمر واطمأنت نفسه ، أن هذا نمط من اعتزاز عمر برأية اذا مابدا له رأى .

وكان القرآن الكريم ينزل أحيانا موافقا لرأى عمر رضى الله عنه ونضرب الأمثلة على هذا النوع لما طاف النبى صلى الله عليه وسلم ، قال له عمر هذا مقام أبينا ؟ قال نعم ـ قال أفلا نتخذه مصلى ؟ فأنزل الله عز وجل (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى)[2] .

واستشار النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة رضوان الله عليهم فى أسرى بدر عملا بقول القرآن الكريم (وشاورهم فى الأمر)[3] .

وقوله سبحانه (وأمرهم شورى بينهم)[4] وكان رأى عمر يتفق مع طبعه وهو الشدة معهم وكان رأى الصديق يمثل جانب اللين معهم فمال الرسول صلى الله عليه وسلم الى هذا الجانب فنزل القرآن يعاتب الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم الذين مالوا الى هذا الرأى ووفقا لما ذهب اليه عمر من رأى عن أبى عبيدة عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ماتقولون فى هؤلاء الأسرى) ؟ فقال أبو بكر يارسول الله قومك وأهلك استبقهم واستتبهم لعل الله

---

(١) صحيح البخارى بشرح الكرمانى جـ ١٣/١٤٤، صحيح مسلم كتاب (٣٢) عن الجهاد والسير سيرة ابن هشام جـ ٣/٧٨١/٧٨٢ ، الكامل فى التاريخ لان الأثير جـ ٢/١٣٩

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١٦٩/١ ، آية ١٢٥ من سورة البقرة ، الدر المستطاب فى موافقات عمر بن الخطاب (مخطوط) ص٦١ .

(٣) سورة آل عمران / ١٥٩

(٤) سورة الشورى آية ٣٨

أن يتوب عليهم ، وقال عمر يارسول الله كذبوك وأخرجوك فقدمهم فاضرب أعناقهـــــم ، وقال عبد الله بن رواحــة يارسول الله أنت فى واد كثير الحطب ، فأضرم الوادى عليهم نارا ثم ألقهم فيه قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال (ان الله ليلـــين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللـبن وأن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد مــن الحجارة وأن مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم عليه السلام قال (فمن تبعنى فانه منى ومــن عصانى فانك غفور رحـــيم) [1] .

وأن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى عليه السلام ـ قال (أن تعذبهم فانهم عبــادك وأن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكـــيم) [2] .

وأن مثلك ياعمر كمثل موسى عليه السلام (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الألـــيم) [3] .

وأن مثلك ياعمر كمثل نوح عليه السلام ـ قال (رب لاتذر على الأرض من الكافريـــن ديـــــارا) [4] .

فانزل الله عز وجل (ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريــدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيمـــــا أخذتم عذاب عظيم) [5] .

من آراء عمر الذى وافقه فيها القــرآن الكريـــم :

منع الرسول صلى الله عليه وسلـــم الصـــلاة ، على عبد الله بن أبى بن سلول .

وعبد الله بـــن أبى بن سلول من أبرز المنافقين فى المدينة ، ومن أشهر الحاقدين

---

(١) سورة ابراهيم آيــة ٣٦
(٢) سورة المائدة آيــة ١١٨
(٣) سورة يونس آية ٨٨ ، سورة نوح آية ٢٦
(٤) أسباب النزول (النيسابورى) الطبعة الثانية ١٣٦ ، تفسير ابن كثير جـ ٢ / ٣٢٥ ، سورة الانفال آية ٦٧ الدر المستطاب فى موافقات عمر بن الخطاب مخطوط/٦٧ .

على الدعوة ورسولها وكان يظهر بين الحين والحين اذا رأى ان الفرصة سانحة للتشهير برسول الله صلى الله عليه وسلم وتجريحه وظن الرجل الغبى أنه سيعيش مستور الحال يكيد فى الخفاء ويدبر فى الظلام من غير أن ينكشف أمره ويظهر معدنه وسرعان ماكانت رائحة نفاقة تظهر للناس وتملأ فجاج المدينة بالرائحة الكريهة ، ولقد بلغ به الحقد أن وصف الرسول صلوات الله عليه بالذلة ووصف نفسه بالعزة ، وكان هذا فى غزوة بنى المصطلق وأراد هذا الرجل الخبيث أن يشعل نار الفتنة بين الأنصار والمهاجرين اللذين هداهما الله بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فآخا بينهم وأخذ يذكرهم فى هذا الأمر ليبيث فيهم الأحقاد .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل اتهم زوجة النبى صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها فى شرفها وأخذ يذيع هذا ولكن الله سبحانه برأ السيدة عائشة رضى الله عنها من التهمة التى هى بريئة منها كبراءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب وتوعد هذا الخبيث بالعذاب العظيم ـ يقول الله سبحانه وتعالى (أن الذين جاؤا بالأفك عصبة منكم لاتحسبوه شرلكم ، بل هو خير لكم ، لكل أمرئ منهم ما اكتسب من الأثم والذى تولى كبرة منهم لهم عذاب عظيم) [1] .

ومع هذا كله أرسل له قميصه ليكفنه فيه ووقف يستمطر له الرحمة من الله سبحانة وتعالى وعمر يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ماضية الأسود فى النفاق ويحاول بذلك منعه ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم مضى فى الصلاة عليه ، فنزل القرآن الكريم موافقا لرأى عمر رضى الله عنه .

وانزل الله عز وجل (ولا تصلى على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) [2]

---

(١) ينظر ابن هشام ج ٣ / ٧٥٨ ، ٧٦٧ ، ٧٧٠ ، النور آية ١١

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٥ / ١٧٦ ، أسباب النزول النيسابورى / ١٤٧ ، ابن كثير ج ٢ / ٣٧٨ ، سورة التوبة آية ٨٤ .

ومن موافقات القرآن الكريم لعمر :

لقد كان عمر رضى الله عنه .. يغار على أمهات المؤمنين ويرى أن أمهات المؤمنين يجب أن يوضعن فى المكان اللائق بهن فلا ينكشفن على المسلمين والذين يأتون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن منهم من يحفظ الرسول فى أهل بيته فلا يعلق نظره بهن ومنهم من ليس على هذه الشاكلة فلا يؤمن منهم أن ينظر اليهن واقترح على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأمر نساءه بالحجاب ونزل القرآن الكريم موافقا له .

عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب (وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) (١) .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٣ ، ابن كثير جـ ٣ / ٥٠٣ ، اسباب النزول للنيسابورى / ٢٠٦ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى جـ ٩ / ٦٧ بتحرير العراقى وابن حجر .

عمر والرسول صلى الله عليه وسلم فى مرضه الأخير
ومحاولة الطعن فى تمسك عمر بطاعة صاحب الدعوة
صلوات الله عليه

وأنما أردت ببيان هذا توضيح للحقيقة وبيان أن عمر رضى الله عنه ظل محافظا على تقديس الصحبة للنبى صلى الله عليه وسلم حتى آخر لحظة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم — وأنما صدر عنه من كلام أنما يدل على عمق فهمه للدعوة وحبه لصالح المسلمين والحرص عليهم .

وأذكر فى هذا الصدد حديثا للبخارى بسندين مختلفين وينتهيان الى معمر ومعمر عن الزهرى — حدثنا ابراهيم بن موسى — حدثنا هشام بن معمر وحدثنى عبد الله بن محمد — حدثنا عبد الرزاق — أخبرنا معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب — قال النبى صلى الله عليه وسلم (هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده) فقال عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول : قربوا يكتب لكم النبى صلى الله عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ماقال عمر ، فلما أكثروا اللغو والأختلاف عند النبى صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا — قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول — أن الرزية كل الرزية ماحال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم [1] .

وفى مسلم وعند بعض المؤرخين القدامى :

حدثنا سعيد بن منصور وكتيبه بن سعد وأبى بكر بن أبى شيبة وعمرو الناقد الاحول ، قالوا حدثنا سفيان عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير قال : قال ابن

(١) صحيح البخارى بشرح الكرمانى ج ٢٠ / ١٩٦ / ١٩٧ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ / ٣٧ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٥ / ٢٢٧ .

عباس يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بـل دمعه الحصى ، فقلت يا ابن عباس وما يوم الخميس .. قال اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ــ فقال ائتونى أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدى ، فتنازعوا ، وما ينبغى عند نبى تنازع وقالوا ماشأنه ــ أهجر استفهموه ــ قال دعونى فالذى أنا فيه خير أوصيكم بثلاث أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجزيهم ــ قال وسكت عن الثالثة أو قالها فانسيتها (١)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتونى بالكتف والدواة أو اللوح والدواة ــ أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا ، فقالوا أن رسول الله يهجر (٢) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١١ الطبعة الأولى ص ٨٩ الى ص ٩٤ ، الطبقات الكبرى جـ ٢ / ٣٦ والطبرى جـ ١٩٢/٣ / ١٩٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير جـ ٥ / ٢٢٧ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد . جـ ٢ / ٣٧ ، الطبرى جـ ٣ / ١٩٣ ، الكامل لابن الأثير جـ ٢١٧/٢ .

آراء العلماء والمؤرخين في هذه القضية

نفى بعضهم هذه القضية بالكلية ، ولم يبين ما اعتمد عليه من الأسباب في نفسي القضية الثابت صحتها في بعض الروايات سندا ومتنا مما يجعلنا نرفض رأيه يقول أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب لأصحابه كتابا لن يضلوا بعده ، فاختلف من كان عنده في ذلك الوقت من أصحابه أراد بعضهم أن يكتب وأبى بعضهم وقال وهو عمر فيما يروى — أن الوجع اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا كتاب الله ثم يقول بعد هذا ، وأنا أشك كل الشك وأكاد أقطع بأنه مما تكلفته الفرق السياسية بآخره ولو قد عزم الله لرسوله على أن يوصى لأبي بكر أو لغيره لما صرفه عن ذلك أحد (١)

ورأى البعض الآخر اثبات هذا الحديث .

وهم يقولون ان كل القرائن تدل من أول نظرة على ان الرسول صلى الله عليه وسلم خرج من كونه قضاءا والزاما الى أنه للتعليم والتوجيه الى الاستمساك بكتاب الله والقرائن تهد ذلك الفهم ثم يأخذ في بيان القرائن أن الصحابة جميعا لم يسارعوا الى تلبية الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم جميعا فهموا أن الأمر للتعليم وليس للقضاء والالزام .

ثم أن ابن عباس نفسه لم يحضر ما طلبه الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة خصوصا وأنه حريص على كل ما يلفظ به النبي صلى الله عليه وسلم اللهم الا أن يكون نفسه قد فهم هذا الفهم الذي نقرره .

---

(١) الشيخان — طه حسين ٢٤/٢٥

وعمر نفسه يدل رده على النبي صلى الله عليه وسلم على أنه فهم هذا الفهم وإلا لأسرع الى التلبية لو لم يعلم الحكمة في هذا ولم يتباطأ كما قبل الحجر الأسود عندما علم أن الأمر للقضاء وقال ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك) .

وقول عمر انه صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع انما هو تقرير القواعد الخلقية الأيمانية وأنه لايصح ذلك بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ولتوجيه المسلمين شأن عمر الى التمسك بآداب الاسلام وخلق القرآن [٢] .

ويبدو أن كون ابن عباس فهم الفهم الذى فهمه عمر غير صحيح وإلا لما قال (أن كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب) فتبين أن ابن عباس كان يفهم المسألة على أنها للألزام .

وينقد البعض ماصدر عن سيدنا عمر رضى الله عنه ويكيل له التهم :

وسأنقل هذا النقد بنصه حرصا على الأمانة العلمية ثم ننقده ، ولا داعى لأعادة الروايات ونذكر التعليق :

يقول بعد ما استعرض الأحاديث الواردة فى هذه القضية فى مصادرها الدينية لم يذكر غير عمر فيمن تكلم ومنع الرسول صلى الله عليه وسلم من كتابه الوصية ، وقال لما رأى كفة الموافقين رجحت أن النبى قد غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله ، وهو الذى قال أن الرجل ليهجر وبهذا القول جعل الرسول صلى الله عليه وسلم أمام أمر واقع ، فأنه لو كان قد كتب بعد هذا القول لنسب اليه الهذيان وقيل فيه أنه كان يهذى ويهجر عندما أملى الكتاب [٣] .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٩ / ١٧ ، والمسند (الأمام أحمد بن حنبل)ج١ / ١٧٦ ــ الطبعة الثانية ــ تحقيق أحمد شاكر .

(٢) الفلسفة الحديثة فى الميزان وتأسيس القواعد من القرآن المغفور له الدكتور بدران ١٧٢ / ١٧٣ / ١٧٧ .

(٣) عبد الله ابن سبأ (بحث فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن سبأ) مرتضى العسكرى ٣٨

١ ـ يبدو أن كل الروايات التى وردت فيها كلمة يهجر أو هجر غير صحيحة حيث أنها لا تتفق وأيمان الصحابة وأجلالهم للنبى صلى الله عليه وسلم •

٢ ـ أن نسبة الهذيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو فى آخر لحظة فى حياته خروج من الأيمان ومن يضع الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الموضع ليقال عنه هذا القول متجرد هو الآخر عن الأيمان •

٣ ـ أن قول عمر يدل دلالة واضحة على فقه عمر ، يقول الله عز وجل ، (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الأسلام دينا) وقوله سبحانه (وقوله : مافرطنا فى الكتاب من شىء) •

وقال النووى : اتفق العلماء على قول عمر حسبنا كتاب الله من قوة فقهه ودقيق نظره وفى تركه صلى الله عليه وسلم الأنكار على عمر اشارة الى تصويب رأيه ولا يعارض هذا قول ابن عباس أن الرزية كل الرزية •• الخ لأن عمر كان أفقه منه قطعا •

٤ ـ لو أن الأمر للألزام وأن المسلمين فى حاجة الى وصية أو غيرها ما تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم خصوصا وأنه المسئول الأول عن قضايا الأسلام وكل مايسعد الأنسانية فى دنياها وآخرتها والا كان مقصرا فى التبليغ مع أن الله يقول له (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وأن لم تفعل فما بلغت رسالته) (١) •

٥ ـ لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم رأى حتما الوصية وامتنع الصحابة عن احضار القرطاس والدواة كان يكفى فى ذلك القول مادام لم يستطيع الأملاء ثم ينقل الصحابة هذه الوصية مشافهة •

يقول صاحب النقد ـ فلما رأى رجحان كفة الموافقين قال عمر هذا القول ولم يقل لنا ماهى أدلة الرجحان التى زعمها ـ فهذه كتب السنة والتاريخ فليستبطنها ليخرج منها بأدلة الرجحان ، فحجتهم داحضة عند ربهم •

---

(١) المائدة آية ٦٧

تابع: عمر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم والصديق رضى الله عنهما

ثم قوله لما رأى كفة الموافقين - قال عمر (ان النبى قد غلب عليه الوجع يوحى بأن قول عمر هذا يدل على تنفير الناس على عدم الأصغاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم كتابة ما يمليه ثم لمن هذا القول العمرى للصحابة الذين يعرفون أن طاعة الرسول هى طاعة الله ، يقول الله عز وجل (من يطع الرسول فقد أطاع الله)[1] فهل يستطيع عمر أن يمنع الصحابة من كتابة مايمليه الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ .. خصوصا اذا كان الأمر للالزام والله سبحانة يقول - (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون له الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)[2] ثم ينسب الى سيدنا عمر أنه قال أن الرجل يهجر وهذه فرية أخرى استوحاها ضميره من خياله المعكرى ولم يبين لنا ذلك الغاية من أين أتى بتلك النسبة مع أن الأدلة من السنة والتاريخ التى ذكرها فى معرض الدلالة لم تصرح بنسبة ذلك الى عمر رضى الله عنه اللهم الا يكون قد نسب عمل الجماعة التى كانت حاضرة هذا المشهد الى عمر بن الخطاب ، ولو كان عمر قال هذا القول المزعوم فلم لم تصرح الروايات بذكره رضى الله عنه ؟ ..... كما صرحت بذكره حينما قال (أن النبى صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع عندنا كتاب الله سبحانه ثم أننا ننكر هذا القول أصلا ونسبته الى غير عمر فضلا عنه رضى الله عنه .

ثم قوله أن عمر رضى الله عنه قد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم أمام أمر واقع كأن عمر تسلط على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخاف الرسول أن ينسب اليه التخريف : لو نسب هذا القول الى أصغر الصحابة لم تقبله العقول فضلا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمر الحريص على سماع كلمة من رسول الله صلى الله عليه

---

(١) النساء آية ٨٠

(٢) الأحزاب آية ٣٦

وسلم يتسلط على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضعه في موضع الأحراج ، عمر الـــذى يدور الحق معــه حيثمــا دار ويقول عنه النبى صلى الله عليه وسلم الذى يضعه عمر فـــى موضع الأحراج كما هو الزعم (أخرج الترمزى عن ابن عمر أن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ، وعن أبى ذر قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول .. أن الله وضـــع الحق على لسان عمر يقول به [١]

عمر يمنع الرسول صلى الله عليه وسلم عن تبليغ رسالة السماء مع أنه عمل بكل طاقاتـــه من يوم أسلم على ظهور الاسلام بعد أن كان مستخفيا قال عبد الله بن مسعود : كـــان اسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرا وكانت امارته رحمــة ، لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى بالبيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينــا [٢] .

فظهر من هذه الأدلــة بطــلان هذا الزعـــم .

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى / ١١٧

(٢) الطبقات الكـــبرى لابن سعد /ج ٣/ ١٩٣

عمر بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم
وتشويه ما ظهر منه على أنه أسلوب خـــــداع

يحاول بعض الموتورين من عمر رضى الله عنه الصاق التهم به وقلب الحقائـــق لاثبات رأيهـــم فوجدت من الانصاف ان ابين وجه الحـــق فى مثل هذه الافتراءات .

عن أبى هريرة ـــ قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بـــن الخطاب فقال أن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفـــى وأن رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران ـــ فقد غاب عـــن قومه أربعين ليلة ثم رجع اليهم بعد أن قيل قد مات ووالله ليرجعن رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم كما رجع موسى فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم مات .

قال وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغـه الخبر وعمر يكلـــم الناس فلم يلتفت الى شيء حتى دخل على على رسول الله صلى الله عليه وسلم فـــى بيت عائشة ورسول الله مسجى فى ناحيـــة البيت عليه بردة حبرة فأقبل حتى كشـف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم فأقبل عليه فقبله ثم قال ـــ بأبـــى أنـــت وأمى أما الموت الذى كتبه الله عليك فقد ذقتها ثم لم تصيبك بعدها موتة أبدا ـــ قـــال ثم رد البرد على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وعمر يكلم النـــــاس فقال على رسلك ياعمر أنصت فأبى الا أن يتكلم فلما رآه أبو بكر لاينصت أقبل على النـاس فلما سمع الناس كلامه أقبل عليه الناس وتركوا عمر ـــ فحمد الله وأثنى عليه ثم قـــال (أيها الناس ـــ أنه من كان يعبد محمدا فأن محمد قد مات ومن كان يعبد اللـــه فأن الله حى لايموت) ثم قال ثم تلى هذه الآية (وما محمد الا رسول قد خلـــت من قبله الرسل أفـأن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر اللـــه شيئا وسيجزى الله الشاكرين) (١)

---

(١) سورة آل عمران آيـة ١٤٤ .

قال فوالله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ، وقال وأخذها الناس عن أبى بكر فأنما هى فى أفواههم قال — فقال أبو هريرة — قال عمر : والله ما هو الا أن سمعت أن أبا بكر تلاها فعقرت حتى وقعت على الأرض ماتحملتنى رجلاى ، وعرفت أن رسول الله مات [1] .

وروى الزهرى عن سعيد بن المسيب أن عمر قال بعد ما سمع من أبى بكر والله ماهو الا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرفت أن الحق .. الى آخر ماروى أبو هريرة [2] وينقد سيدنا عمر فى موقفه هذا بثلاث شبه سنوردها نصا ثم نبين مافيها من ضعف وعدم حجيتها على مايزعم .

١ — عن عائشة رضى الله عنها قالت لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم استأذن عمر والمغيرة بن شعبة فدخلا عليه فكشفا الثوب عن وجهه فقال عمر وأغشيا ، ما أشد غشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قاما فلما انتهيا الى الباب قال المغيرة : ياعمر مات والله رسول الله فقال عمر كذبت .. ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك رجل تحوشك فتنة ولن يموت رسول الله حتى يفنى المنافقين [3] .

٢ — الشبهة الثانية : فقرأ عليه عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم فى المسجد (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين [4] ، ومن مراجعه فى هذه الشبهة ابن سعد فى الطبقات وابن كثير .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ / ١٠٧٠ ، الطبرى ج ٣ / ٢٠٠ / ٢٠١

(٢) سيرة ابن هشام ج ٤ / ١٠٦٩ / ١٠٧٠ ، الكامل لابن الأثير ج ٢ / ٢١٩ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٥٥ / ٥٦ القسم الثانى .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ / ٢٤١ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ / ٥٤ القسم الثانى ، والكامل لابن الأثير ج ٢ / ٩٩ .

(٤) آل عمران ١٤٤

٣ ـ الشبهة الثالثة : عن زيد بن أسلم قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج العباس بن عبد المطلب فقال هل عند أحد منكم عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفاته فيحدثنا ؟

فقالوا لا قال هل عندك يا عمر من ذلك ؟ قال لا ـ قال العباس أشهد أن أحدا لا يشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم بعهد عهده اليه بعد وفاته الا كذاب . والله الذي لا أله الا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت[1] .

(١) أما الشبهة الأولى فهي تحمل بين ثنايا الرد فعمر كان يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه الغشيان كما قال . (ما أشد غشي رسول الله صلى الله عليه وسلم) ولذا لم يصدق قول المغيرة بن شعبة أما عن عروة بن الزبير في ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم أن عمرو بن قيس في مؤخرة المسجد .

يقرأ (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين) والناس في المسجد يبكون ويموجون لا يسمعون)[2] .

بهذا نتبين المغالطة من أن عمرو بن قيس قرأ عليه القرآن مع أن عمر كان وقافا على القرآن الكريم . فكان اذا غضب وقرىء عليه القرآن سرى عنه[3] .

وقال ابن عمر ما رأيت عمر غضب قط فذكر الله عنده أو خوف أو قرأ عنده انسان آية من القرآن الا وقف عما كان يريد[4]

---

(١) عبد الله بن سبأ (مرتضى العسكري) ٣٩/٤٠/٤١

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٥/٢٤٣

(٣) الاعتصام للشاطبي ج ٢/٢١٠

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي / ١٣٠

فعمر لم يسمع من عمرو بن قيس والملة (والناس في المسجد يبكون ولا يسمعون) وإذا كانت حالة الناس هكذا في عدم السماع فهل تنكر على عمر أن تكون حالته كانت أكثر بكثير من هؤلاء . ؟؟؟

(٢) الشبهة الثالثة : أن ابن عباس أخذ يستدل له على موته بأن حالته كحالة بني عبد المطلب عند الموت مما جعل عمر باقيا على حالته في الشك ثم أن العباس لم يذكر له الآية التي سمعها بعد من الصديق فقال (أهذا في كتاب الله) التي ذكرها صاحب الشبهة نفسه [1] . فعمر لم يسمع هذه الآية الا من الصديق رضي الله عنه .

يقول الحصيف الناقد :

ليت شعري هل كان الباعث لعمر في اشهار السيف وتهديده من قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحزنه على فقده وهل صح ماقاله البعض بأن عمر قد جهل في ذلك اليوم ؟

ثم يقول :

أما نحن فلا نرى ذلك وأيد رأيه بما نقله عن أبي الحديد في قوله (أن عمر لما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات خاف على وقوع فتنة في الأمامة وتغلب أقوام عليها من الأنصار أو من غيرهم فاقتضت المصلحة عنده تسكين الناس فأظهر ما أظهر وأوقع تلك الشبهة في قلوبهم حراسة للدين والدولة الى أن جاء أبو بكر ، ثم يقول والحق أنه لو كان الباعث لأبي حفص على انكاره موت الرسول صلى الله عليه وسلم وحبه للرسول صلى الله عليه وسلم وحزنه عليه لما كان ينبغي له أن يترك جنازته بين أهله في بيته ويسارع الى شقيقه بني ساعدة ويجالد الأنصار في سبيل أخذ البيعة لأبي بكر) انتهى [2]

---

(١) عبد الله بن سبأ (العسكري) / ٤٣

(٢) عبد الله بن سبأ (مرتضى العسكري) / ٤٣/٤٤/٤٥

لقد تعمد مرتضى أن يقلب الحقائق والمحامد فيعدها من باب النقائض لتوافق رأيه فيعد حالة عمر النفسية والعضلية وقت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عملية تمثيل لينفذ مخططه في الأمامة وليصل اليها عاجلا أو آجلا .

عمر رضي الله عنه يريد أن يوقع الشبهة في قلوب الناس اذا كان الأمر كذلك فما باله يعترف على ملأ من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم — بل وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بأن القول الذي صدر منه ليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ يبين السبب في هذا القول .

عن الزهري عن أنس بن مالك (١) عن عكرمة عن ابن عباس .

فالرواية بالسند الأول كانت في المسجد عن الزهري عن أنس بن مالك قال : لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر فتكلم قبل ابي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أيها الناس — أني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ماكانت مما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهدا عهده الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني قد كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبر أمرنا يقول : يكون آخرنا وأن الله قد أبقى لكم فيكم كتابة الذي به هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والرواية الثانية هي نفس الرواية الا أن عمر استشهد على قوله بقول الله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (٢)

فاذا كانت المسألة تمثيل وشبهة وتمت البيعة الخاصة للصديق فعمر ليس في حاجة الى هذا القول الذي يبين فيه هذه العلة .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ / ١٠٥٧٥ ، الطبري ج ٣ / ٢١٠ ، البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ / ٢٤٧ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ القسم الثاني / ٥٦ ، العقد الفريد ج ٥ / ٢٦ (ابن عبد ربه) .

(٢) البقرة آية ١٤٣

وهل يكذب سيدنا عمر أمام الصحابة ثم وفي المسجد ولم يعهد في سيدنا عمر الكذب الذي هو آية على النفاق ومن ملامحه والرسول صلى الله عليه وسلم ينفر من الكذب (عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم (أربع من كن فيه كان منافقا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة النفاق حتى يدعها ، اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف واذا خاصم فجر واذا عاهد غدر) [1] .

بل شهد له الرسول بالأيمان الذي لم يبلغ شأوه أحد الصحابة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا على وعليهم قمص ، فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك ، وعرض على عمر وعليه قميص يجره ـ قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال الدين [2].

وهل يكون هناك وقع على سيدنا عمر أكثر من سماعه موت الرسول صلى الله عليه وسلم وقد هداه الله به من الضلالة وتتلمذ على يديه فترة طويلة وأحبه عمر الحب الكامل ، اللهم لا .

ثم وهل يريد أن يبقى عمر بجوار جسد الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون آية على الحزن ، والا فليس بحزين ؟ .. على هذا الزعم فليس من الضرورة أن من يسترك جسد الميت فليس بحزين وقد يكون الامر بالعكس .

أن عمر رضي الله عنه لما استقر في نفسه حقيقة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعد سماعها من الصديق رضي الله عنه وبلغهما خبر اجتماع الأنصار ليبايعوا سعد بن عبادة [3] فذهبا على الفور الى سقيفة بني ساعدة قبل أن يجتمعوا على أمر فلا يرضى عنه المهاجرون فتتفرق وحدة الصف والجماعة المسلمة وهما من أحرص الناس على المحافظة على مصلحة المسلمين ـ فعمر اذن أخذ يواجه الموقف بكل ايمان :

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي / ٣٥
(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي / ١١٦ ، تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوز / ٢٥
(٣) الطبري ـ جـ ٣ / ٢٠١

ثم ما الذى يريده من سيدنا عمر ازاء هذا الموقف ؟ .. فإذا كانت المسألة من أجل الخلافة فهو كان فى غنى عن هذا التمثيل وضياع الوقت فكان الأجدر به أن يرسل الى الصديق مباشرة عند علمه بموت الرسول صلى الله عليه وسلم فينفذ المخطط المزعوم بدلا من ضياع الوقت ثم أن سيدنا عمر والصديق لم يتركا جنازة الرسول صلى الله عليه وسلم وحدها بل كان فى جوارها أقرب الناس منه صهرا ودما [1].

(٢) المرجع السابق / ٢١٩

عمر بين يدى الصديق سقيفه بنى ساعــدة
والعمل على مضى الدعوة كديــن ودولــــــة

سنذكر احدى الروايات التاريخيــة التى تعرضت لهذا الموضوع على وجه التفصيــل وبنيت الأدلة والبراهين التى اعتمد عليها كلا الفريقين الانصار والمهاجرين وأبـــرز الرجال الذين لعبوا دورا كبيرا بأقوالهم وخصوصا سيدنا عمر رضى الله عنه الذى يحــق أن ينحنى لــه التاريخ اجلالا لما قام بــه فى هذا الشأن :

عن عبد الرحمن بن ابى عمرة الأنصارى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قبـــض اجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ، فقالوا نولى هذا الأمر سعد بن عبادة ، وأخرجوا سعدا اليهـم وهو مريض وبعد ما بحثوا هذا الموضوع وعقدوا العزم على مبايعة سعـــد بن عبادة أتى الخـبر عمر فأرسل الى أبى بكر وأبو بكر فى الدار وعلى بن أبى طالـــب دائب فى جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل الى أبى بكر أن أخرج اليـــه فأرسل اليه أنى مشتغل فأرسل اليه أنه قد حدث أمر لابد لك من حضوره فخرج اليـــه فأعلمه الخبر فمضيا مسرعين نحوهم فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فتماشوا اليهم ثلاثتهـــم فلما وصلوا أراد عمر أن يتكلم ولكن الصديق أشار عليه بالسكوت فسكت ثم أخذ الصديـــق يخطب ويبين بالحجة والدليل أفضلية المهاجرين على الأنصار : يقول لهم أول مــــن عبد الله فى الأرض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الامـــر من بعده ، ولا ينازعهم ذلك الا ظالم ، وأنتم يامعشر الأنصار من لاينكر فضلهم فـــى

الدين ولا سابقتهم العظيمة فى الأسلام رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله (١) وجعل اليكم هجرته (٢) وفيكم جلة أزواجه •

وأصحابه فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا أحد بمنزلتكم ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لاتفتاتون بمشورة ، ولا نقضى دونكم الأمور قال : فقام : الحباب بن المنذر بن الجموح (٣)

(١) فلما أراد الله عز وجل اظهار دينه وأعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعد ، له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقيه فيه نفر من الانصار وعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا فدعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فأجابوه ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم وقد أمنوا وصدقوا سيرة بن هشام ج ٢ / ٢٩٢ ، الطبرى ج ٢ / ٣٥٣ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ / ١٤٦ •

(٢) يقول الله سبحانه (والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة آية / ٩ / من سورة الحشر •

(٣) كان يقال له ذو الرأى ، وكان له رأى صائب فى الموقع الذى يجب أن يتخذه المسلمون فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم يعنى قريشا اليه ، يعنى الى الماء فلما جاء أدنى ماء من بدر نزل عليه • قال الحباب بن المنذر هذا يارسول الله منزل أنزلكم الله ليس لنا أن نتعداه ولا نتصرف عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة فقال بل هو الرأى والحرب فقال ليس هذا بمنزل ثم نزل المسلمون على رأيه •

فقال يامعشر الأنصار ، أملكوا عليكم أمركم ، فأن الناس في فيئكم وفي ظلكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ، ولكن يصدر الناس الا عن رأيكم أنتم ، أهل العز والثروة وأولوا العدد والمنعة والتجربة ، ذو البأس والنجدة وانما ينظر الناس الى ماتصنعون ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم ، وينتقض عليكم أمركم فأن أبى هؤلاء الا ماسمعتم فمنا أمير ومنهم أمير .

فقال عمر هيهات .. لا يجتمع اثنان في قرن ، والله لاترضى العرب أن يأمروكم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لاتمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منهم .

ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ينازعنا سلطان محمد وأمارته ونحن أولياءه وعشيرته الا مدل بباطل أو متجانف لأثم ومتورط في هلكة .

فقام الحباب بن المنذر ـ فقال يامعشر الأنصار أملكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فأن أبوا عليكم ماسألتموه فاجلوهم عن البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم فأنتم ، فأنتم بأسيافكم دان لهذا الدين من دان من لم يكن يدين ، أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة .

فقال عمر اذا ليقتلك الله ـ قال بل أياك يقتل ....

فقال أبو عبيدة : يامعشر الأنصار ، أنكم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدل وغير .

فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير[1] فقال يامعشر الأنصار أنا والله

---

(١) بشير بن سعد بن ثعلبه بن خلاص بن زيد بن مالك بن كعب بن الخزرج شهد العقبه الثانية وبدر وأحد والمشاهد بعدها وقتل يوم عين التمر مع خالد بن الوليد بعد انصرافه من اليمامة سنة اثنتى عشرة ،أسد الغابة في معرفة الصحابة ، جـ١ /٢٣١ ، الأصابة جـ ١٦٣/١ والطبقات الكبرى لابن سعد جـ٣ /٨٣ القسم الأول .

لكن كنا أولى فضيلة فى جهاد المشركين وسابقة هذا الدين ما أردنا به الا رضا ربنا وطاعة نبينا ، والكدح لأنفسنا ، فما ينبغى لنا أن نستطيل على الناس بذلك ولا نبغى به من الدنيا عرضا ، فأن الله ولى النعمة علينا بذلك الا أن محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش وقومه أحق به وأولى الله .

لا يرانى الله أنا زعهم هذا الأمر أبدا فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم فقال أبو بكر هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا ـ فقال لا والله لانتولى هذا الأمر عليك ، فأنك أفضل المهاجرين وثانى اثنين اذ هما فى الغار وخليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والصلاة أفضل دين للمسلمين ، فمن ذا الذى ينبغى له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك ، أبسط يدك نبايعك ، فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما اليه بشير بن سعد فبايعه [2] فناداه الحباب بن المنذر يابشير بن سعد عقك عقاق ما أحوجك الى ما صنعت ، أنفست على ابن عمك الأمارة فقال لا .. والله ولكنى كرهت أن أنازع قوما حقا جعله الله لهم .

ولما رأيت الأوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو اليه قريش وما تتطلب الخزرج .. من تأمير سعد بن عبادة [2] قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير [3] وكان أحد النقباء :

---

(١) المراجع السابقة .

(٢) ينتهى نسبة بكعب بن الخزرج الانصارى الساعدى ، كان نقيب بنى ساعدة وهو صاحب راية الأنصار فى المشاهد كلها وكان وجيها فى الانصار ذا رياسة وسيادة يعترف بها قومه له .
وكان جوادا غيورا شديد الغيرة ، مات سنة خمس عشرة وقيل سنة أربع عشرة .
* أسد الغابة فى معرفة الصحابة جـ ٢ / ٣٥٦ / ٣٥٧
* الأصابة فى تمييز الصحابة جـ ٣ / ٨٠
* الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ / ١٤٢ / ١٤٣ / ١٤٤ القسم الثانى .

(٣) ينتهى نسبة بالأوس الأنصارى الأشهلى أسلم بعد العقبة الأولى وقبل الثانية أحد النقباء ، روى عنه كعب بن مالك وأبو سعيد الخزرى شهد المشاهد كلها وآخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن حارثة وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن ، توفى فى شعبان سنة ٢٠) ينظر أسد الغابة فى معرفة الصحابة جـ ١ / ١١٢ / ١١٣ ، الأصابة فى تمييز الصحابة جـ ١ / ٤٨ لابن حجر .

" والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم فيها نصيبا أبدا ، فقوموا فبايعوا أبا بكر ، فقاموا اليه فبايعوه فأنكر على سعد بن عبادة ، وعلى الخزرج ماكانوا أجمعوا له من أمرهم [1] .

فهذا شيء طبيعي في مثل هذا الأجتماع من وجود بعض الخلاف في وجهات النظر ، فلما وضحت الفكرة لدى الأنصار فيما قاله المهاجرون خصوصا وقد أيدها ابرز المجتمعين منهم وهم بشير بن سعد وأسيد بن حضير رأى عمر أن الفرصة أصبحت سانحة في مثل هذا الى اعلان الرأى والمبايعة للصديق رضى الله عنه .

وقد نظر عمر الى ناحيتين هامتين أولهما شخصية الخليفة وما يحمل من مزايا يستطيع بها أن يحكم المسلمين . ثانيهما مصلحة المسلمين وكلا الأمرين ليس متوفرا الا في الصديق رضى الله عنه فلم يكن سيدنا عمر في اختياره للصديق مجاملة للصديق على حساب المسلمين .

وذكر في سبيل ذلك أمورا انفرد بها الصديق عن غيره ، من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فأنك أفضل المهاجرين . وثاني اثنين اذ هما في الغار خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة .

١ ــ عن أبى الدرداء (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ــ ماطلعت ، الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبى بكر الا أن يكون نبيا) .

وعن عبد الله بن شقيق ــ قال : قلت لعائشة أى أصحاب رسول الله كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : أبو بكر قلت ثم من ؟ قالت : ثم عمر ، قلت ثم من ؟ قالت أبو عبيدة بن الجراح [2]

---

(١) الطبرى جـ ٣ / ٢١٨ ، ٢٢٢

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى / ٤٦

هاجر أبو بكر الصديق رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه في الغار ، وآنسه فيه ، ووقاه بنفسه عن ابن اسحاق قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أمر الله عز وجل فجاءه جبريل عليه السلام وأمره أن يخرج من مكة بأذن الله عز وجل له في الهجرة الى المدينة فاجتمعت قريش فمكرت بالنبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل وأمره الا يبيت مكانه ، ففعل وخرج على القوم وهم على بابه ومعه حفنة من تراب فجعل ينثرها على رؤوسهم وأخذ الله أبصارهم[1] .

وقد كان أبو بكر يستأذنه في الخروج فيقول رسول الله صلى الله عليه سلم لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا ، فلما كانت الهجرة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم فأيقظه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أذن لي بالخروج ــ قالت عائشة ــ فلقد رأيت أبا بكر يبكى من الفرح ثم خرجا حتى دخلا الغار ، فأقاما فيه ثلاث[2] .

وأنزل الله سبحانه في القرآن الكريم يحكى حالة الصديق وحزنه .

(الا تنصروه فقد نصره الله أذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين أذ هما في الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن أن الله معنا)[3]

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٢ / ٣٣٠ / ٣٣١ / ٣٣٢ ، الطبرى جـ ٢ / ٣٦٩ / ٦٧٢ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٣ / ٣١٤ .

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٢ / ٣٣٤ / ٣٣٥ ، الطبرى جـ ٢ / ٣٧٧ / ٣٧٨ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٣ / ٣١٥

(٣) التوبة آية ٤٠

ورد في تفسير هذه الآية الشريفة :

" عن أنس أن أبا بكر حدثه ، قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار ، لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا تحت قدميه قال ، فقال (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) (١)

فأما الفضيلة الثالثة التي انفرد بها الصديق رضي الله عنه وهي الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة وهي أفضل العبادات على الأطلاق ، وقد دعى الفاروق للأمامة وصلى بالناس ولكن الرسول لم يقبل ذلك ، فيدل هذا دلالة قوية على أن الرسول صلى الله عليه وسلم انما أراد أن يعلم المسلمين بهذا الطريق على وجوب خلافة الصديق رضي الله عنه بعده ..

عن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد قال : لما استعز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده في نفر من المسلمين : قال دعاه بلال الى الصلاة فقال مرارا من يصلي بالناس .... قال فخرجت فاذا عمر في الناس وكان أبو بكر غائبا فقلت قم ياعمر فصلي بالناس قال فقام فلما كبر سمع رسول الله عليه الصلاة والسلام صوته وكان رجلا مجهرا — قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين أبو بكر ..... يأبى الله ذلك والمسلمون يأبى الله ذلك — قال فبعث الى أبي بكر فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس — قال فقال عبد الله بن زمعة والله ماظننت حين أمرتني الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ولولا ذلك ماصليت بالناس قال قلت والله ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولكني حينما لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر في الصلاة بالناس (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ / ٣٥٨

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٤ / ١٠٦٦ ، الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ / ١٢٦ القسم الاول ، تاريخ الطبري جـ ٣ / ١٩٧ .

فهذا من الجهة الأولى : وأخرج ابن عساكر عن على أنه قال لقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس وأنى شاهد ما أنا بغائب ومابى مرض فرضينا بدنيانا ما رضى به النبى صلى الله عليه وسلم لدينا [1] وبازاء هذه الأدلة التى ساقها عمر رضى الله عنه رضيت الأنصار بالخلافة لسيدنا أبى بكر رضى الله عنه .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير ـ فأتاهم عمر فقال يامعشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس فأيكم يطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر فقال الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر [2] وفى هذا الرد على ماقيل ـ فقالت الأنصار لانبايع الا عليا [3] .

فأما الثانية وهى مصلحة المسلمين : فعمر رضى الله عنه قد أبقى على المسلمين وحدتهم حتى لاتتفرق شيعا وأحزابا يضرب بعضهم رقاب بعض ، يقول الله سبحانه وتعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا [4] ويقول سبحانه ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم [5] ونستطيع أن نضع هذا العمل العمرى فى موضعه اذا تصورنا ما كان يحدث فى المسلمين لو تمت بيعة الأنصار لسعد بن عبادة ورأينا بسواد ر هذا فى هذا الأجتماع بين الانصار أوسهم وخزرجهم (ولما رأيت الأوس ماصنع بشير بن سعد وما تدعوا اليه وما تتطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة ، قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة ، لزالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولاجعلوا لكم معهم نصيبا أبدا .

---

(١) أشهر مشاهير الاسلام ـ المجلد الأول / ٢٣ رفيق بك العظم .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٥ / ٢٤٧ أنساب الأشراف للبلاذرى جـ ٢ / ٢٧٩ مخطوط (الكامل لابن الأثير) جـ ٢ / ٢٢٠
(٣) تاريخ الطبرى جـ ٣/٢٠٢
(٤) آل عمران آية ١٠٣
(٥) الأنفال آية ٤٦ .

الخلاف
وتشتعل فيه نار الخلافة من جديد بعد أن أخذ الاسلام بالتأليف بين قلوبهم (واذكروا اذ ا كنتم اعداءا فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته أخوانا) •

ثانيا : أن قريشا لم تتمرس على أن تكون قيادها بيد غيرها وهذا مما كان يحمل على الخروج عما ارتآه الأنصار وهذا ما أوضحه سيدنا عمر رضى الله عنه والله لا ترضى العرب أن يأمروكم ونبيها من غيركم) [1] •

ولا يستبعد أن يطمع فيها غير القرشيين والأنصار وفى هذا الجو يجد الحاقدون والحاسدون للاسلام من المنافقين الجو المناسب لأيجاد الهوة بين المتنافسين والعمل على بث سمومهم وأحقادهم فيكون بذلك الطامة الكبرى •

---

(١) الطبرى جـ ٣ / ٢٢٠

سيدنا على وبيعة الصديق وماقيل عن سيدنا عمر رضى الله عنه

أن مسألة بيعة الأمام على للصديق شيء مقطوع به ومتفق عليه من الجميع ولكن السياسة وتأثيرها على بعض الفرق السياسية جعلتهم يصورون هذا الموضوع فى غير صورته الحقيقية ارضاءا لمذاهبهم وطلبا للتشكيك فى موقف بعض كبار المسلمين وأظهارهم بمظاهر لايحمدون طيبها كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذبا .

عن زياد بن كليب قال : أتى عمر بن الخطاب منزل على وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال : والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن الى البيعة فخرج عليه الزبير مسلطا بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه (١) .

فليس من المعقول أن يذهب عمر الى بيت على وهناك كبار الصحابة الذين توفى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وهم رجال أشداء فرسان تمارسوا على الوقوف فى ميادين الحرب والقتال . فهلا يستطيع هؤلاء فى جمعهم أن يمنعوا عن أنفسهم ماكاد يقع بهم من المكاره وهل خفى على عمر وهو الفارس منهم على شاكلته فى الفروسية حتى يخيرهم بين أمرين اما حرق البيت الذى هم فيه وأما الخروج الى البيعه ؟

ثم لماذا خرج الزبير وحده بسيفه فى وجه عمر وهو قد أنذر الجميع هل كان الجميع تعوزهم الشجاعة ليقفوا فى وجه عمر وهل كان بنوا هاشم يتركون عمر ليفعل هذا مع أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أشارة فتحملهم على الدفاع عنه .

فثبت بهذا ضعف الرواية فى كل ماصورته . أما أنه ضرب فاطمة على بطنها يوم البيعة حتى لقت محسنا وكان يصيح احرقوها بمن فيها (٢) ، فهذا من باب مهاترات الشيعة . وما ذنب فاطمة رضى الله عنها حتى يضربها عمر على بطنها أن الرجل

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٣/٢٠٢

(٢) عبد الله بن سبأ (مرتضى العسكرى) ٧١ نقلا عن النظام جـ ١/٢٦

الضعيف الخلق ، لو ضرب امرأة فى زمننا هذا لأسف الناس على ضربها لأن الرجل لايتصدى لامرأة ولكنه يتصدى لرجل مثله ،فهلا رحم عمر ضعف فاطمة خصوصا وانهما حامل فهلا كان ذلك من باب المجاملة من الصديق للصديق وهو أبوها صلوات الله عليه ، فهذا لايتفق والسجايا التى تحلى بها عمر رضى الله عنه فكان يحن على الضعفاء من الأرامل والأطفال بل وكان يقوم بنفسه على خدمتهم [1] والله يقول (قل لا أسألكم عليه أجرا _ ألا المودة فى القربى) [2]

فهلا سمع عمر هذه الآية وقرأها وحفظها مما يدل على كذب هذه الرواية قال عمرو بن حريث لسعيد بن زيد ردا على سؤاله عن بيعة الناس للصديق فهل قعد أحد المهاجرين : قال لا : تتابع المهاجرون على بيعته من غير أن يدعوهم [3] .

وروايات أخرى تذكر عليا على أنه بايعه مختارا ولكن منها مايصوره بانه أسرع الى البيعة بصورة لايصدقها الخيال : " عن حبيب بن أبى ثابت قال كان على فى بيته ، اذ أتى فقيل له قد جلس أبو بكر للبيعة ، فخرج فى قميص ماعليه أزرار ولا رداء عجلا ، كراهية أن يبطىء عنها حتى بايعه . ثم جلس اليه وبعث الى ثوبه فأتاه فتجلله ولزم مجلسه) .

واستبعد ذهاب على على هذا النحو من العجلة حتى أنه نسى ملابسه أو تركها عمدا ملقى علىّ ماذا لو كان قد تجلل ملابسه ثم أتى للبيعة هل فى هذا تأخير ؟ ... لا .. انما هذه تحكمات من المؤرخين .

وأخرى على أنه تأخر فى البيعة مدة ستة أشهر عن عائشة أن فاطمة والعباس آتيا أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك ، وسهمه من خيبر فقال لهما أبو بكر _ أنى سمعت رسول الله يقول ... لانورث ما تركنا فهو صدقة ، ولم يعطها رضوان عنه)فمكثت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفيت .

---

(١) تاريخ عمر بن الخطاب بن الجوزى ينظر ٦٥/ ٦٦

(٢) الشورى آية ٢٣

(٣) الطبرى ج ٣/ ٢٠٧

قال معمر أحد رواة الحديث ـ فقال رجل للزهري أفلم يبايعه على ستة أشهر ـ قال لا .. ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه علي [١] .

وهذا لايتفق وعلم علي رضوان عنه فأن الدعوة تحذر من الخروج على الجماعة الأسلامية ، والأنشقاق عليها يؤدي الى تصدع بنيانها ، يقول الله سبحانه (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوليه ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) [٢] .

كما أنه لو تأخر الى هذه المدة الطويلة لوجد المؤيدين له والمعارضين لسياسة الصديق ، وخصوصا وأن الدعوة الى حب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم (قل : لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) [٣] .

والثابت أنه لم توجد تلك الشيع والأحزاب في ذلك الزمن فدل ذلك على أن عليا لم يتأخر هذه المدة ويبدو لنا أن عليا تأخر عن البيعة أياما وهذا شيء طبيعي من رجل كان يرى أنه صاحب الحق فلايمكن والأمر كذلك أن يحضر البيعة العامة ـ فلما رأى أن المسلمين أجمعوا على الصديق كان لامفر من مبايعته ، ويعضد ماذهبنا اليه .

عن أبي سعيد الخدري من بعد روايته صعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير ـ قال فدعا الزبير فجاءه ـ قال قلت ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أردت أن أشق عصا المسلمين ، قال لاتثريب ياخليفة رسول الله ـ فقام فبايعه ثم نظر في وجوه القوم فلم ير عليا فدعا بعلي بن أبي طالب ـ قال قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين قال لاتثريب ياخليفة رسول الله فبايعه [٤] .

وأتى بعض رجال بني أمية يحالون الوقيعة بن المسلمين ولكن عليا نهرهم وزجرهم .

---

(١) الطبري جـ ٢ / ٢٠٧ / ٢٠٨
(٢) النساء آية ١١٥
(٣) الشورى آية ٢٣
(٤) البداية والنهاية جـ ٦ / ٣٠٢

عن ابن الحرقال : قال أبو سفيان لعلى .. مابال هذا الأمر فى أقـــل حى من قريش والله لئن شئت لاملأنها عليه خيلا ورجالا قال فقال على يا أباسفيان طالما عاديت الأسلام وأهله فلم تضره بذلك شيئا ـ أنا وجدنا أبا بكر لها أهلا ..[1].

ما يدل على أن عليا بايع الصديق بعد أيام من البيعة العامة .

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٣ / ٢٠٩

حرب الردة ومانسب انفيها الى عمر رضى الله عنه
ومن مخالفتــه ماطبع عليه من الشدّة ازاء الخارجين عن الدعوة

لما مات النبى صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر ارتدت طوائف من العـــرب عن الاسلام ومنعت طوائف منهم الزكاة وقالوا نقيم الصلاة ولانؤدى الزكاة وزعم مانعـــوا الزكاة أنما كانوا يدفعونها الى النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنها كما تحكى الآيـــة أنه صلى الله عليه وسلم كان يطهرهم بها ثم هو كان مأمورا بالصلاة عليهم لأن فى ذلــك السكن لهم — يقول الله عز وجل (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بـها وصل عليهم أن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم) [1] .

وقد بعثت القبائل التى منعت الزكاة وفودها الى المدينة لتعرض قضيتها على أبى بكر فنزلوا على وجوه الناس بها فتحملوا بهم على أبى بكر فعرضوا طاعتهم عليه علـــى أن يقيموا الصلاة ولا يؤدون الزكاة ، وكانت حركة العصيان من المتمردين ومانعى الزكـاة قد انتشرت بـين القبائل حتى تزعزع أمر الأسلام بين العرب وانكمشت أطرافه الـــى المدينة ومكة والطائــف وعبد القيس فتأثر بذلك أصحاب النبى صلى الله عليه وسلــــم وأدركهم من الخوف ما أدركهـــم [2] .

ويصور المؤرخون ماعليه حـال الناس بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم وبيعــة الصديق رضى الله عنه ، عن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما بويع أبو بكر رضى اللـــه عنه وقد ارتدت العرب — أما عامة وأما خاصة فى كل قبيلة ونجم النفاق ، واشــرأبــت اليهود والنصارى والمسلمون كالغنم فى الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم صلى الله عليـــه وسلم وقلتهم وكثرة عددهم [1] وردت رواية بأسانيد ومختلفة ، قيل أن عمر احتج بهـــا على الصديق ليمنعه بذلك من محاربة المرتدين والمعطلين لبعض أركان الاسلام .

---

(١) سورة التوبة آيــة ١٠٣

(٢) الطبرى جـ ٣ / ٢٤٤ ، القضايا الكبرى فى الاسلام (عبد المتعال الصعيدى) ٧٣/ ، البداية والنهاية لابن كثير .

(٣) الطـــبرى جـ ٣/٢٢٥

عن الزهري قال أخبرنا عبيد الله بن عتبة بن مسعود : عن أبي هريرة .
عن ابن شهاب قال حدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة .
عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة .
عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أبي هريرة .
عن أبي مالك عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

ونقتصر على ايراد نص الأولى لأن في هذه الرواية التي قيل أن عمر احتج بها وما صدر من الصديق رضي الله عنه .

عن أبي هريرة قال :

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب ــ قال عمر بن الخطاب لأبي بكر ــ كيف تقاتل الناس ؟؟ . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله) فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله ، وقال أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فأن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ، فقال عمر بن الخطاب فوالله ماهو الا رأيت أن الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق (٢) .

صحيح أن سيدنا عمر رضي الله عنه كان يبدي رأيه ــ فأذا بدا له رأي كان يمتز به الى أبعد الحدود ويسأل اذا خفي عليه أي امر من الامور لينطوي على العلم ، فتطمئن نفسه ويرتاح ضميره ، وهذا الحديث الذي ذكرناه ينطوي على معارضته وهو لايتفق ومنهج عمر بعد اسلامه حيث أنه عرف الشدة على المخالفين للدعوة ، عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أرحم امتي بأمتي أبوبكر واشدهم في دين الله عمر (٣)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ورقم هذه الرواية بأسانيدها ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ / ١٧٠ الى ١٧٧ البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ / ١١٣
(٣) مسند أحمد بن حنبل ج ٣ / ٢٨١ ، الطبقات الكبرى ج ٣ / ٢٠٩

فهل يقبل بعد ذلك أن يعطل ركن من أركان الاسلام مع أن الزكاة وركنيتها من الأمور البديهية بعد توضيح القرآن والسنة ، يقول الله عز وجل فى آية عنها من آيات الوجوب العديدة (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)[1].

ورواية من روايات السنة فى هذا الصدد عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (بنى الاسلام على خمس ، على أن يعبد الله ويكفر بما دونه ، وأقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت)[2] ولا يخفى هذا كله على ذوى البضاعة القليلة فى العلم بل أصبح هذا من الأمور الضرورية البديهية فضلا عن سيدنا عمر رضى الله عنه الذى شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالعلم الواسع.

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينما أنا نائم شربت يعنى اللبن حتى أرى الرى يجرى فى أظفارى ثم ناولته عمر ، قالوا فما أولته يارسول الله ، قال العلم[3] .

وشهد له أيضا الصحابة رضوان الله عنهم ـ قال ابن مسعود رضى الله عنه ـ لو أن علم عمر وضع فى كفة ميزان ووضع علم أحياء الأرض فى كفة لرجح علم عمر بعلمهم ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم[4] .

والدكتور طه حسين يحلل هذا الموقف الذى نسب الى عمر رضى الله عنه ويبينه فيقول :

" والذين يرون هذا الرأى أى تلك المعارضة يسيئون الى أولئك الشيوخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يصورونهم خائفين مشفقين أن يتخطفهم العرب من أنهم قد صحبوا النبى صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة فى مكة ، وشهدوا مع النبى صلى الله عليه وسلم مواطن البأس ومواقف عمر من يوم أن أسلم تدل على هذا .

---

(١) البقرة آية ٣
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ رقم ٢٠
(٣) المسند لأحمد بن حنبل ج ٩/١١ وصحيح مسلم بشرح النووى ج ١٥/١٦٢ وتاريخ الخلفاء للسيوطى /١١٦ .
(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٢٠

فقوله فى صلح الحديبية للنبى صلى الله عليه وسلم وللصديق رضى الله عنه (لم نعطى الدنية فى ديننا ؟ • فليس من المعقول ولا من المقبول أن ينسى عمر مواقفه كلها ليشفق من حرب العرب وأن كثرت مع أبى بكر كما حاربهم مع النبى صلى الله عليه وسلم •

ويذهب أيضا فى التبرير على صحة رأيه فيقول :

ان نفرا من المسلمين شربوا الخمر فى دمشق بعد فتحها فكتب فيهم أبو عبيدة الى عمر فكتب اليه : أن سلهم على رؤس الناس عن الخمر فان استحلوها فاضرب اعناقهم ، وان عرفوا أنها محرمة فأقم عليهم الحد • فعمر يريد أن يسأل ابوعبيدة هؤلاء النفر عن رأيهم فى الخمر أحلال هى أم حرام ؟ فان استحلوها ضربت أعناقهم لأنهم جحدوا نصا من نصوص القرآن ، وأمرا من أوامر الله ، وأن اعترفوا أنها محرمة أقيم عليهم الحد لأنهم قارفوا اثما فاستحقوا العقوبة ، فعمر الذى يهم بضرب أعناق نفر من المسلمين المجاهدين ، ان استحلوا الخمر ، لايمكن أن يجادل أبا بكر فى حرب العرب على جحود الزكاة (1) .

---

(1) الشيخان طه حسين ص ٦٢/٦١/٦٠/٥٩

عمر يشير على الصديق بجمع القرآن الكريم
حفاظا على مصدر الدعوة الاسلامية

أن القرآن كان مكتوبا كله فى العصر النبوى ، ولكنه لم يكن مجموعا فى مصحف واحد ، ولا مرتب السور بل كان مفرقا فى العسب والرقاع وكان محفوظا فى صدور الرجال من الصحابة رضوان الله عنهم الا أن منهم من كان يحفظ القرآن كله لكثرة ملازمته للنبى صلى الله عليه وسلم كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وسالم مولى أبى حذيفة وزيد بن ثابت وكثير غيرهم .

ومنهم من كان يحفظ معظمه ومنهم من كان يحفظ بعضه (١) .

فلما جاء عهد الصديق وارتد الناس جرد اليهم الصديق الألوية لمحاربتهم واشتد القتل وكثر فى قراء القرآن يوم اليمامة يوم قتال مسيلمة الكذاب وأصحابه فى بنى حنيفة ، بأرض اليمامة فى حديقة الموت .

وكان جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد ، وكان السبب فى كثرة استشهاد المسلمين مافى جيش الأسلام من الأعراب وأبلى فيه قراء القرآن بلاء حسنا وانفردوا برايتهم وكانوا قرابة ثلاثة آلاف ثم صدقوا الحملة وقاتلوا قتالا شديدا وجعلوا يذكرون بعضهم بعضا بالقرآن لترتفع معنوياتهم ، فكانوا يقولون يا أصحاب سورة البقرة — فلم يزل ذلك رأيهم حتى فتح الله عليهم وولى جيش الكفر فارا واتبعتهم السيوف المسلمة فى أقفيتهم قتلا وأسرا وقاتل الله مسيلمة وفرق شمل أصحابه ، ثم رجعوا الى الاسلام وقتل من القراء كثير مايقرب من خمسمائة فرضى الله عنهم (٢) .

وهال سيدنا عمر وأفزعه كثرة موت القراء وخشى ضياع القرآن الكريم وذهب الى الصديق وأشار على الصديق ، بجمع القرآن ولكنه لم يقبل فى بادىء الأمر خصوصا

---

(١) المصحف الشريف أبحاث فى تاريخه وأحكامه (عبد الفتاح القاضى) / ٥٥
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ / ٨ فى ذيله .

وأن هذا العمل لم يعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل شيء . وظل عمر يناقشه في الأمر شأن عمر عند اقتناعه حتى اقتنع الصديق بوجهة نظر عمر ووقع الاختيار على أحد البارزين من كتبة الوحي الآلهي ذلك هو زيد بن ثابت[1] وانما آثر الصديق وعمر زيدا بهذه المنقبة مع أن الصحابة فيهم من هو أكبر سنا وأقدم اسلاما لانه اكثر الصحابة وأشهرهم اتقانا لحفظ القرآن الكريم ، وواعيا لحروفه وأداءا لقراءته ، وكان كامل الدين والعدالة مأمونا على القرآن غير متهم فاجتمع له من المزايا والخصائص مالم يجتمع لغيره ، من أكابر الصحابة ، فلما حضر عرض عليه أبو بكر ما رآياه هو وعمر من جمع القرآن تردد هو الآخر في الأمر وما زالا به حتى اقتنع برأيهما ولكنه كان يرى أن هذا التكليف الذي كلف به من أشد الأمور اليه واصعبها واستعان بالله وأخذ يجمعه من العسب واللخاف ، وصدور الرجال وانما كان زيد يتتبع المكتوب في هذه الأشياء مع حفظه القرآن كله مبالغة في الضبط وزيادة في الاحتياط ، حتى تكون الكتابة معاضدة للحفظ وموازرة له .

عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت قال : أرسل الى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر ان عمر بن الخطاب أتاني فقال أن القتل قد استحر بقراء القرآن وأني أخشى أن يستمر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن وأني أرى أن تامر بجمع القرآن ، فقلت لعمر كيف شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمر هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر ، قال زيد قال أبو بكر انك رجل شاب عاقل لن نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه ، والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ماكان على أثقل مما أمرني به من جمع القرآن . قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرحه له صدر أبي بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ووجدت

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٢ / ٢٧٨ / ٢٧٩ .

آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره . (لقد جاءكم رسول من أنفسكم .... حتى خاتمه) براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها [1] .

---

(١) البخاري بشرح الكرماني جـ ١٩/٦/٧ ، المسند لأحمد بن حنبل (ص٧٦/٧٧) جـ ١

البـــــاب الأول

الفصل الثالـث

سياسة الحكومة والادارة فى عصر عمر وصلة ذلك بالدعوة الاسلامية

ويشمل النقاط التاليـة :

١ ـ بيان القواعد التى لابد منهـا لاقامة حكومـة اسلاميـة •

٢ ـ اختيار عمر للخلافـة كان فى اطـار الدعوة الاسلاميـة •

٣ ـ حكومة عمر وادارتـه كانت صورة تطبيقية عملية لقواعد الحكومة الاسلاميـة •

٤ ـ منهج عمر فى سياسـة الدولة الاسلامية وعلاقة ذلك بالدعوة الاسـلاميـة •

٥ ـ نماذج عمليـة يظهر فيها أسلوب الشدة للحفـاظ على الدعوة الاسلامية •

الحكومة والادارة فى عهد عمر وصلة ذلك بالدعوة الاسلامية

الأسلام دين ودولة لأصلاح الفرد والمجتمع فى كل زمام ومكان ولأجل هذا ففيه القوانين التى تنظم حياة الانسان بها فى جميع المجالات فى المجال السياسى والاقتصادى والأجتماعى ، فبذلك يعيش الأنسان عيشة طيبة لها موازينها وضوابطها ومقاييسها .

ففى المجال السياسى :

فقد أمرت الدعوة بأن تقوم فى كل مجتمع هيئة تتولى زمام تنظيمه السياسى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف ينهون عن المنكر) (١) والأمر بالمعروف هو كل هذه الأصول الحكومية الكلية التى فرضها الاسلام لصالح المجتمع الاسلامى وكل ماينبغى عليها ، والمنكر هو كل مانهت عنه هذه الأصول الكلية ، وكل مايقاس عليها فى الحاق الأذى بالمجتمع وأما كيفية تكوين هذه الهيئة التى تتولى الأمر وزمام الحكم فقد اكتفى بأصل كلى واحد هو الشورى (وأمرهم شورى بينهم (٢) .

فالمجتمع يجب أن يستشار فى تكوين هذه الهيئة فى كل مايتصل ببنيانها ونظامها ووظائفها وأهدافها (٣) .

وهذه الهيئة بينت الدعوة كيفية العلاقة بينها وبين المحكومين وهى أن تكون على أساس قانونى يلتزم به الحاكم والمحكوم على السواء ، مستمد من كتاب الله وسنة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذه الحكومة الملتزمة بهذا تسمى فى عرف القانون بالحكومة الدستورية .

---

(١) آل عمران آية ١٠٤

(٢) سورة الشورى آية ٣٨

(٣) النظم الاسلامية ـ الجزء الثانى (محمد عبد الله العربى) ص٣٦

وأمر الاسلام المسلمين المحكومين أن يراقبوا الحكام فى كل تصرفاتهم ويلتزموا لهم بالطاعة ، يقول الله عز وجل (وأطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم)[١] ما داموا ملتزمين بمنهج القرآن والسنة فان خرجوا عليها وانحرفوا عن القصد فلا طاعة لهم ، بل يجب على المحكومين المسلمين أن يقوموا المعوج منهم ، ويرشدوه الى الطريق الصحيح وبهذا تستقيم الامور وينتظم دولاب العمل[٢] .

يقول النبى صلى الله عليه وسلم (ان الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه وحده ، ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه أمركم) .

ويقول صلوات الله عليه (ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك ان يعمهم الله بعقاب من عنده)[٣] .

ويبين الاسلام الاسس التى تقوم عليها تلك الحكومات .

١ ـ العدل : يقول الله عز وجل (أن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل[٤] ، وقوله سبحانه (يأيها الذين آمنوا لا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، واعدلوا هو أقرب للتقوى[٥] .

هاتان الآيتان هما أساس الحكومة الاسلامية ولو لم ينزل فى القرآن غيرهما لكفتا[٦] .

---

(١) النساء آية ٥٩

(٢) السياسة الشرعية (عبد الوهاب خلاف) ٢٨/٢٧/٢٥/

(٣) الدولة الاسلامية فى فقهها وتشريعها (عبد الله حسين) ٢٨/

(٤) سورة النساء آية ٥٨

(٥) المائدة آية ٨

(٦) تفسير المنار رشيد رضا جـ ٥/١٦٨/١٦٩ ، نظام الحكم فى الاسلام محمد يوسف موسى ١٧٧/ .

والمعنى ليس خاصا وانما هو عام فيشمل الوالى والقاضى والشخص الذى يسند اليه قضية من القضايا لعموم قوله تعالى (أن الله يأمركم بالعدل والأحسان)[١] وقوله تعالى (أعدلوا هو أقرب للتقوى) [٢] وقوله سبحانه (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) [٣] ، ثم أخذ يبين المعنى المتبادر من العدل الذى طالب به الأسلام والعدل وقف على أمرين :

أحدهما أن يعلم الحاكم الحكم الذى شرعه الله وكذلك ماورد فى السنة من أحكامه وقضائه صلى الله عليه وسلم ، فيجب على الحاكم تطبيق احكامه على ماعلم من حكم الله ورسوله وقد يكون التطبيق ظاهرا وقد يحتاج فيه الى قياس واستنباط واجتهاد للفكر .

الركن الثانى للعدل ويتألف من أمرين أحدهما فهم الدعوى من المدعى والجواب من المدعى عليه ليعرف ما به موضوع التنازع والتخاصم بأدلة من الخصمين .

ثانيهما : استقامة الحاكم وخلوه من الميل الى أحد الخصمين ومن الهوى بان يكره أحد الخصمين وأن كان لايميل الى الآخر [٤] .

والأساس الثانى التى تقوم عليها الحكومة الأسلامية الشورى فيما يجب المشورة فيه من شئون الامة العامة لهذا نجد أن القرآن الكريم يطالب بهذا المبدأ فى أكثر من آية ، يقول الله عز وجل (وأمرهم شورى بينهم) [٥] ، يأمر الله عز وجل النبى صلى الله عليه وسلم بهذا فيقول ، وشاورهم فى الأمر[٦] ويقول عز وجل (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) [٧] .

---

(١) سورة النمل آية ٩٠
(٢) سورة المائدة آية ٨
(٣) سورة المائدة آية ١٣٥ (٤) تفسير المنار جـ ١٧٢/١٧١/٥
(٥) سورة الشورى آية ٣٨
(٦) آل عمران آية ١٥٩
(٧) ال عمران آية ١٠٤

يفسر هذه الآيات الأستاذ محمد عبده ويرجح دلالة الآية الثالثة فيما نحن بصدده فيقول عن الآية الاولى فهذا وصف خبرى لحال طائفة مخصوصة أكثر مايدل عليه أن هذا الشيء ممدوح فى نفسه محمود عند الله تعالى ، يقول فى بيان معنى الآية الثانية فأن أمر الرئيس بالمشاورة يقتضى وجوبه عليه ولكن اذا لم يكن هناك ضامن يضمن امتثاله للأمر فما يكون اذا هو تركه ؟

أما الآية الثالثة فانها توضح تلك القاعدة فانها تفرض أن يكون فى الناس جماعة متحدة قوية تتولى الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو عام فى الحكام والمحكومين ولا معروف أعرف من العدل ولا منكر أنكر من الظلم [١] .

والأمور التى يشاور فيها الحاكم المحكومين الأمور الدنيوية التى تحتاج الى الرأى ، أما اذا كانت مما فصل فيها الوحى فلا جدال ولا نقاش ولا رأى يقول الله عز وجل (وما كان لمؤمن ولا لمؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) ثم حذر العصاة وبين أن مسلكهم فى البعد عن قضاء الله ورسوله انما هو ضلال ظاهر (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) [٢] .

ومما فصل الله فى ذلك : العقائد فى العبادات والحلال والحرام اذ لو تدخل البشر فى هذه الامور لكان الدين من وضع البشر وليس الامر كذلك ، انما هو من وضع الله عز وجل ، ليس لاحد فيه رأى لا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولا بعده ، وقد روى أن الصحابة عليهم رضوان الله كانوا لايعرضون رأيهم أمام النبى صلى الله عليه وسلم الا بعد العلم بأنه قال عن رأى لا عن وحى [٣] ومثال ذلك :

ان الحباب بن المنذر بن الجموح سأل النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر عن المنزل الذى نزلوا فيه امنزلا انزلكم الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟؟ قال بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، فقال يارسول الله

---

(١) تفسير المنار جـ ٤ / ٤٤ ، نظام الحكم فى الاسلام (محمد يوسف موسى) / ١٧٧ .
(٢) الاحزاب آية ٣٦
(٣) تفسير المنار جـ ٤ : ٢٠٢

فأن هذا ليس بمنزل .. فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزل ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماءا ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون وأخذ النبى صلى الله عليه وسلم بمشورته (١)

من هم أهل الشورى ؟؟؟

الناس خلقهم الله عز وجل وفضل بعضهم على بعض من الناحية الجسدية والمواهب والقدرات ـ ولأجل هذا اذا تعرض المجتمع لمشكلة من المشاكل فى اى ناحية من النواحى فى السلم أو فى الحرب ، فيجب أن تعرض على اصحاب المواهب والقادرين لايجاد الحلول لها وهؤلاء يسمون فى عرف الشرع بأولى الحل والعقد (ويقول الله عز وجل (وأذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) (٢) . زعم بعضهم أن أولى الامر فى هذه الآية هم الأمراء والسلاطين مع أنها نزلت فى أولى الأمر الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن هناك اميرا ولا سلطان وما كان هناك الا أهل الرأى من كبار الصحابة عليهم الرضوان الذين يعرفون وجوه المصلحة مع فهم القرآن وهكذا يجب أن يكون فى الأمة أهل بصيرة ورأى فى سياستها ومصالحها الأجتماعية عندها القدرة على الاستنباط وهؤلاء يسمون أهل الشورى (٣) .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤٥٢/٢

(٢) سورة النساء آية ٨٣

(٣) تفسير المنار ج ١١/٣

هل طبقت هذه المبادئ في اختيار عمر رضى الله عنه

استشار أبو بكر رضى الله عنه كبار الصحابة فى العهد الى عمر فلما علم رضاهم عهد اليه حتى لا يكون للتفرق والخلاف مجال ولو كان الصديق رضى الله عنه يعتقد أن الأمة استعدت لأقامة الشورى على وجهها مع الأمن من الفرق والخلاف لترك لها الأمر ولم يحاول جمع كلمة أولى الأمر منها فى حياته على ما يراه وهو الأصلح حتى يموت آمنا عليها من التفرق يقول قوم أن بيعة عمر كانت بالعهد لا بالشورى التى هى أساس الحكومة الأسلامية بنص القرآن ، وهذا العهد رأى صحابى لا يصح أن يكون ناسخا للقرآن ولا مخصصا ولا مقيدا فكيف عمل بـه جمهور الصحابة ، واتخذه الفقهاء قاعدة شرعيـة .

أنه رأى قلـة الصحابة وأجمعوا عليه والأجماع حجة مستقلة يجب العمل بها والشيعة لا يقنعهـم هذا الجواب فهم ينازعون فى حصول الاجماع وفى جواز مثله مع النص وكونه فى مسألة قطعية لا تقوم المصلحة بدونها ويقولون على فرض التسليم كيف أقدم أبو بكر على هذا الأمر المخالف ولم يكن مجمعا عليه يومئذ انما أجمع عليه بعد ذلك ؟

فأبو بكر لم يخالف النص وانما منهجه فى ذلك النص ولم يقع الاختيار على عمر ويتفق عليه الا بعد أن استشار كبار الصحابة رضى الله عنهم والذين مات الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وغيرهم من الصحابة وكان رضى الله عنه ، لدقته فى هذا الأمر كان يستشير الواحد بعد الآخر ويطلب منه أن يكتم الخبر حتى يستطلع الخبر من غير تأثير بعضهم على بعض فى الرأى .

روى أن أبا بكر رضى الله عنه لما استعز به دعى عبد الرحمن بن عوف فقال أخبرنى عن عمر بن الخطاب ـ فقال عبد الرحمن بن عوف ما تسألنى عن أمر الا وانت أعلم به منى ، فقال أبو بكر وان ، فقال عبد الرحمن هو والله أفضل من رأيك فيه ، ثم دعا عثمان بن عفان فقال .. اخبرنى عن عمر ـ فقال انت اخبرنا به ، فقال على ذلك

يا أبا عبد الله .. فقال عثمان .. اللهم أن علمى به أن سريرتـــه خير من علانيتــه ، وأنه ليس فينا مثله ، فقال أبو بكر يرحمك اللـه والله لو تركته ماعدوتك ، وشاور معهمـــا سعيد بن زيـد واسيد بن الحضـير وغيرهما من المهاجرين والأنصار فقال أسيد اللهـم أعلمه الخيرة بعدك ، يرضى للرضـا ويسخط للسخط الذى يسر خير من الذى يعلـن ولم يلى هذا الأمر أحد أقوى عليه منه ، ولما أثنى عليه الصحابة ، ذلك الثناء علـــم الصديق آراءهم فى سيدنا عمر وبناء على هذا أملى على عثمان وثيقة الاستخلاف ثـم ماهو السبب الذى دفع الصديق الى اختيار عمر بالذات من بين كبار الصحابة ؟؟؟[1] .

يعلل ذلك أحد الباحثين فيقـــول ..

انما نظر ابو بكر فيما يختاره لذلك المنصب الرفيع فرأى أنه يحتاج الى رجل فيـــه شدة من غير عنف ولين من غير ضعف ، ومن توفرت فيهم هذه الصفة من الصحابـــــة الكرام ... عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب الا أن الأول كان مما يريد الأمر فسوى فى طريقه عقبة فيدور اليه ، والثانى يريد الاستقامة فلا يبالى بالعقبة تقوم بين يديـــه فهو بهذا الى الشدة أميل منه الى اللـين[2] .

ويبدو لنا أن هذا ليس العلة الوحيدة فى ذلك .. فأبوبكر صاحب عمر قبـــل الخلافة فدرس شخصية عمر عن قرب وكان يرى منه سعة الأدراك وصفاء البصيرة ولأجـــل هذا كان يوافـــق القرآن فى مواضع متعددة[3] . وكونه رضى الله عنه يوافق القـرآن

(١) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) جـ ٣ ص ٤٢٨

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣/١٤١/١٤٢ ، الطبرى جـ ٣ /٤٢٨/ ٤٢٩ مـع اختلاف الرواية ـ تاريخ الخلفاء للسيوطى ٨٢ ، تفسير المنار جـ ٤/٢٠٢/٢٠٣ أشهر مشاهير الأسلام رفيق العظـــم المجلد الأول ١٣٤ .

(٣) يراجع تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٢٢/١٢٣/١٢٤ تحقيق محيى الديـــــن عبد الحميـــد .

الكريم يعطى عن عمر صورة كاملة الشخصيته فى المواقف المختلفة كما كانت تبرز فى عمر ملامح القيادة والزعامة وفن الادارة ، والسياسة الأمر الذى لابد لمن يقود الأمة المسلمة من الاتصاف به .

ولم يتوافر هذا كله الا فى شخصية واحدة هى شخصية عمر رضى الله عنه .

وأما ترك أبى بكر مبدأ الشورى المطلقة فى اختيار الخليفة من بعده ، فذلك راجع الى انشغال الغالبية من المسلمين حينئذ بحروب كبيرين أمام دولتى الفرس والروم .

وعلى هذا النهج الاسلامى فى الحكم والادارة سار عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يروى أنه كان يشير الأفراد والجماعات فى كل مايعن له فى السلم والحروب على حد سواء .

يروى عن يعقوب بن يزيد قال .. كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستشير عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى الأمر اذا أهمه ويقول غص غواص :

عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال ..

ما رأيت أحدا أحضر فهما ولا أكثر علما ولا أوسع حلما من ابن عباس ، لقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات بل كان يستعين بآراء وافكار الصغار اذا نزل به امر من الامور .

عن ابن شهاب قال .. كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا نزل الأمر المفضل دعى الفتيان فاستشارهم .. يقتضى حدة عقولهم .. بل كان رضى الله عنه يستشير النساء :

عن ابن سعيد قال (ان كان عمر بن الخطاب يستشير حتى ان كان ليستشير المرأة فربما أبصر فى قولها الشىء يستحسنه فيأخذ به) .

وأخرج ابن جرير بسنده : أن عمر خرج حتى نزل على ماء يدعى صرارا فعسكر به ، ولا يدرى الناس مايريد أيسير أم يقيم ؟ وكانوا اذا أرادوا أن يسألوه عن شيء رموه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما فقال عثمان لعمر رضى الله عنهما : مابلغك ماالذى تريد ؟ فنادى الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس اليه فأخبرهم الخبر ثم نظر مايقول الناس . فقال العامة ، سر وسرينا معك ، فدخل معهم فى رأيهم وكره ان يدعهم حتى يخرجهم منه فى رفق ، فقال استعدوا واغدوا فانى سائر الا أن يجيء رأى هو أمثل من ذلك ثم بعث الى أهل الرأى فاجتمع اليه وجوه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ويقيم ويرمى بالجنود ثم استشار فى ذلك عليا وطلحة بن الزبير وقال لهم يحق على المسلمين ان يكونوا وأمرهم شورى بينهم وبين ذوى الرأى منهم فالناس تبعا لمن قال بهذا الأمر اجمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعا لهم (1) .

من هذا يظهر لنا أن عمر رضى الله عنه كان يطبق تطبيقا عمليا أسس الحكم الاسلامى الذى سبق الحديث عنها من الشورى والعدل .

وأما العدالة التى هى الأساس الثانى فأن هذا سيظهر عند حديثنا عن منهجه فى الحكم ومعاملته للولاة .

أن سيدنا عمر رضى الله عنه لما تقلد منصب الخلافة بعد الصديق كان يخطب فى المسلمين ويبين لهم المنهج الذى يسير عليه وكل كلمة كان يقولها كان يعنيها ، كما كانت نابعة من الكتاب والسنة وكان يخرج هذا الكلام الى حيز التنفيذ والتطبيق بالنص تارة وروح التشريع تارة أخرى وبالجملة فهو كان صورة متحركة للدعوة الاسلامية .

ونقتطف من خطبه وأقواله مانستطيع أن نفهم منه المنهج العمرى .

فيقول بعد الديباجة : فلا يقولن أحد منكم ، أن عمر تغير منذ ولى ، أعقل

---

(1) حياة الصحابة (محمد يوسف الكاندهلوى) جـ ٢ / ٤٩ / ٥٠ / ٥١

الحق من نفسى وأتقدم ، وأبين لكم أمرى ، فأيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة ، أو عتب علينا فى خلق ، فليؤذنى فأنا رجل منكم ، ثم يقول ولا يحمل بعضكم بعضا على ان تحاكموا الى ، فأنه ليس بينى وبين أحد من الناس هوادة .. وأنا مسئول عن أمانتى وما أنا فيه ومطلع على مايحضرتى بنفسى ان شاء الله ، لا أكله الى أحد ولا أستطيع ما بعد منه الا بالامناء ، وأهل النصح منكم للعامة . ولست اجعل أمانتى الى احد سواهم أن شاء الله .

ويقول فى خطبة أخرى :

فأظهروا لنا احسن اخلاقكم ، والله اعلم بالسرائر ، فانه من أظهر شيئا وزعم ان سريرته حسنة لم نصدقه ومن اظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنا [١] .

وقوله رضى الله عنه :

ولا يبقى احد من المسلمين وأن كان فى بيته الا أتاه حقه ونصيبه من مال الله ولا يعمل اليه نفسه ولم ينصب اليه يوما [٢] .

انما مثل العرب كمثل جمل انف اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده ، وأما أنا ورب الكعبة لاحملنكم على الطريق [٣] .

يتبين لنا من هذا انه اخذ يبين ويوضح الواجب عليه نحو المسلمين ، وصلته بهم والأسلوب الذى سيعاملهم به فالخلافة ليس معناه ترفع عن المسلمين وادعاء أمور لا يقرها الله ورسوله ، بل هى أمانة ومسئولية القيت على كتفه يسأل عن الصغير والكبير فيها ، مقتديا فى ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الطبرى ج ٤ / ٢١٥/ ٢١٦

(٢) الطبرى ج ٤ / ٢١٦

(٣) الطبرى ج ٣ / ٤٣٣

عن ابن عمر رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته ، والأمير راع ومسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته [١] .

بهذا أعلن عمر فى سياسته ما أعلنته الدعوة مخالفة بذلك ماكان عليه ساسة الشعوب التى كانت تدعى المدنية والتقدم والازدهار كالشعوب التى كانت خاضعة للحكم الفارسى ، فلقد كان ملوك فارس يدينون بنظرية الحق المقدس ولأجل هذا قسموا الرعية الى طبقات وحكموها حكما استبداديا لايعنى بشيء من أمر الرعية .

ولم يكن حال رجال الدين بأحسن من الحكام فقد استبدوا بأمور الدين واحتكروا لأنفسهم العلم .

بل لقد ادعى الحكام الالوهية ، وهذا يعنى منتهى الاستبداد بالشعوب ويعنى ايضا الهوة الواسعة بين الحكام والمحكومين فليس أمامهم الا طريق واحد هو الذلة والخضوع والانكسار فى ساحتهم ، وهذه رسالة من أعجب الرسائل بن ملك فارس وملك الروم ، من كسرى عظيم الآلهة وسيد العالم كله الى هرقل عبده ، ألم أقض على الاغريق ؟

انك تقول انك تثق فى الهك ، فلماذا لم يخلص من يدى قيصرية وبيت المقدس والاسكندرية ؟ ؟ على أنى سأغفر لك جميع ذنوبك اذا قدمت الى معك زوجتك وأطفالك ، وسأمنحك الأراضى والكروم ، وعروش الزيتون وسأنظر اليك نظرة رحيمة لاتغشن نفسك بأملك الخائب فى ذلك المسيح الذى لم يستطع ان ينقذ نفسه من اليهود الذين قتلوه وصلبوه [٢] .

---

(١) رياض الصالحين (النووى) ١٤٢ ، الترغيب والترهيب (المنذرى) جـ٣ / ٤٣٧ / ٤٣٨

(٢) المجددون فى الاسلام . الشيخ عبد المتعال الصعيدى ٢٠

وبهذا ظهرت عظمة السياسة العمرية في النقطة التي أوردنا ذكرها وسنتبعها بأخرى :

وطالب أصحاب الحاجيات والمظلومين أن يرفعوا حاجياتهم وشكواهم اليه لبحثها وايجاد الحلول الفورية لها من غير تراخ ولا تكاسل ولا أهمال ولا روتينيات ، قد لايصل بسببها الى حقه المهضوم ، فهو بذلك قد أيقظ الشعور السلبي وخلق فيهم روح المطالبة بالحقوق .

كما أعلن رضي الله عنه أن الناس متساوون أمامه في الحكم ففي هذا انذار للمسلمين حتى لايعتمد انسان منهم على أي صلة تربطه به كصلة القربى والصهر وغير ذلك من الصلات .

فليت حكام المسلمين تقف من الشعوب هذا الموقف فيقضون على المظاهر المنحرفة فيقطعون الطريق أمام المتزلفين والمتملقين والمستغلين للأموال والأقوات والمناصب واضعين نصب أعينهم مصلحة المسلمين فوق كل اعتبار كما أعلن عمر ووضح للمسلمين أنه المسئول الأول والأخير عن هذه الأمانة التي تحملها فلا يلقي التبعة على غيره وأن المعاونين له في هذا الشأن يشترط أن يتوافر فيهم الأمانة الكاملة ومن يستطيعون توجيه المسلمين وأرشادهم ونصحهم الى الطريق الذي رسمه الله عز وجل .

عن أبي رقيه تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (الدين النصيحة) (ثلاث قلنا لمن يارسول الله ؟ قال لله عز وجل ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم [1] .

وطالبهم بالسلوك الطيب ولا يكون ذلك الا حسب مارسم الله سبحانه ، وأعلن أنه المظهر الذي يحكم على صاحبه من خلاله حتى لاينحرف أحد عن سواء السبيل ثم يحتج باسم النية الحسنة لأن النية الحسنة والقصد الشريف مستقرها القلب ولا يعلم

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي / ٦٧

مافيه سوى الله عز وجل ، يقول الله عز وجل (يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور[١] (أن الله عليم بذات الصدور)[٢] وقوله (فانه يعلم السر وأخفى)[٣] .

عن عتبة بن مسعود قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول ، أن ناسا كانوا يؤخذون بالوحى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الوحى قد انقطع وانما نأخذكم الآن بماظهر من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيرا آمناه وقربناه ، وليس لنا من سريرته شيء الله يحاسبه فى سريرته ، ومن أظهر لنا شرا لم نأمنه ولم نصدقه وأن قال أن سريرته حسنة وانما يعرض بهذا بالمنافقين تنبيها لهم الى أنه مراقب لهم[٤] .

ووضح أنه كان يأخذ الناس بهذه الطريقة ويحملهم على الاستقامة فى الاعمال فانه كان يحذرهم من خيانة السرائر ، وينهاهم عن التردد فى الأمور ، ويرشدهم الى الجمع بين العزيمة والنية ، سوقا لهم الى الاستقامة فى العمل والحزم فى الرأى .

عن عمر بن مجشع قال : قال عمر بن الخطاب القوة فى العمل أن لاتؤخر عمل اليوم لغد ، والأمانة ألا تخالف سريرة علانية ، واتقوا الله عز وجل فانما التقوى بالتوقى ، ومن يتق الله يقه[٥] .

وأوضح لهم السياسة المالية التى يحترمها ، توزيع المال توزيعا عادلا ووصوله اليهم جميعا من غير تعب ولا تكلف فى سبيل الحصول عليه .

ووجد أنه لامناص من أن يحذو فى معاملتهم بالشدة عند الحاجة حذو أبى بكر خوف النزوع الى الثورة والخروج عن حدود الاسلام وقيود الأخوة والرجوع الى الفرقة والشقاق والعصبية المضرة ،وقد كان رضى الله عنه شديدا بطبعه فساس أولئك الأقوام بمزيد من الشدة والأرهاب لما كان يتوقعه من حصول الفتن والدسائس[٦] وذلك هو ما أخذه على نفسه فى سياسته معهم[٧] .

---

(١) سورة غافر آية ١٩
(٢) آل عمران آية ١١٩
(٣) سورة طه آيه ٧
(٤) أشهر مشاهير الاسلام (رفيق العظم) نقل عن كنز العمال ٣٨٥
(٥) أشهر مشاهير الاسلام نقلا عن ابن جرير الطبرى / ٣٨٥
(٦) أشهر مشاهير الاسلام المجلدة الأولى / ٣٧٩
(٧) الطبرى جـ ٣/ ٤٣٣

منهج عمر فى اختيار الـــولاة

لما اتسعت الدولة فى عصر عمر رضى الله عنــه ،قسم البلاد أقساما اداريـــــة يسهـــل حكمها والاشراف على موارد ها ، وعين على هذه الولايات عمالا يستمدون سلطتهم منـــه .(١)

وكان يختار الرجل المناسب للمكان المناسب ، ويرى أنه لو ترك الرجـــل الذى يصلح وصرفها عنه الى غيره يعتبر ذلــك خيانة للأمة ، التى ألقت مقاليد ها فى عنقـــــه، والخيانة ليست خيانة للأمة وانما هى خيانة للــــه ورسوله قبل كل شيئ ، قال عمر رضـــى الله عنه (ومن ولى من أمر المسلمين شيئا ،فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خـــان الله ورسوله والمسلمين (٢) .

وهذا القول العمرى تأسى فيه منهج النبى صلى الله عليه وسلم قال النبى صلـــى الله عليه وسلم " من ولى من أمور المسلمين شيئا فولـــى رجلا وهو يجد من هو أصلــــح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين .

وفى رواية من قلد رجـــلا عملا على عصابة ، وهو يجد فى تلك العصابة من هــــو أرضى منه فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين (٣) .

يختار الفاضل ويترك الأفضل مثل عمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان والمغـــيرة بن شعبـــة مع وجود الذين سبقت لهم من الله الحسنى فبشرهم النبى صلى الله عليـــه وسلم بالجنــة ، ومات وهو عنهم راض مثل عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وقوة أولئــك على العمل والبصـــر به ولأشراف عمر عليهم وهيبتهم له ويد و وأن هــــــذا

---

(١) زعماء الاسلام (حسن ابراهيم حسن) ٣٨

(٢) تاريخ عمر بن الجوزى ص ٧٦

(٣) السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية ٢٨ / ١٩

التعليل غير مقبول ،فعثمان وعلى رضى الله عنهما قادا الأمة فترة غير قصيرة من الزمن ، ونجح كل منهما فى خلافته لولا وجود الفتن والمؤامرات فى خلافتهما ،وقبل هـــذا كان من العدد الذى رشحه عمر لاختيار الخليفة من بعده من بينهم .. فاذا كـــان الأمر كذلك فهلا يستطيع واحدا منهم أن يقود ولايته ويقول ولهيبتهم له فالمسلمون جميعا وعلى رأسهم المبشرين بالجنة ، كانوا لا يقلون عن صغار الصحابة فى الهيبة منه .

عن قبيصة بن جابر قال :

والله ما رأيت أحدا أرأف برعيته ولا أخير من أبى بكر ولا أرى أحدا أقرأ لكتـاب الله ولا أفقه فى دين الله ولا أقوم لحدود الله ولا أهيب فى صدور الرجال من عمـــر بن الخطاب (١) .

عن سالم بن عبد الله قال : لما ولى عمر رضى الله عنه .. قعد على رزق أبـى بكر الذى كان فرضه لـه أبو بكر ،فاشتدت حاجته فاجتمع نفر من المهاجرين فيهم عثمان وطلحة والزبير ، فقال الزبير ، لـو قلنا لعمر فى زيادة يزيدها اياه فى رزقه ؟؟ فقال على وددنـا أنه فعل ذلك فانطلقوا بنا فقال عثمان أنه عمر فهلموا ـ فلنسبر ماعنده من وراء وراء نأتى حفصة فنكلمها ونستكتمها أسماءنا ،فدخلوا عليها وسألوهـا أن تخبر الخبر عن نفر ولا تسمى لـه أحدا بعينه الا أن يقبل (٢) .

فهؤلاء هم شيوخ الصحابة يستكتمون أسماءهم من عمر رضى الله عنه ثم أنهــم يريدون أن يحدثوه فى أمر يمسه هو نفسه ، ولكن مع ذلك منعتهم شديه وهيبته رضـى الله عنه ، فى مشافهته بالأمر ، فما هى العلة فى تنحيتهم عن الولايات فى ذلـك الوقت ؟؟ أجاب عمر نفسه عنها فقال أكره أن أدنسهم بالعمل) .

---

(١) الطبقات الكبرى لابـن سعد جـ ٣/٢٠٣

(٢) أسد الغابة فى معرفة الصحابة جـ ٤/١٥٥

(٣) تاريخ عمر بن الخطاب (ابن الجوزى) ١٤٤

ولعل هـذا من أبـرز الأسباب وقد يكون منها أنه كان فى حاجة ملحـة اليهم يشاورهم فى الأمر سيما وأن الدولة فى عصره كثرت فتوحاتها مما يستتبع ذلـك كثرة المشكلات الأمر الذى يحتاج الى أعمال الفكر ومجهود مثل هذه الجماعة فى حـل القضايا التى تهم الأمـة (أن يكون متواضعا مع الهيبـة) •

فالرجل المتواضع سيصغى الى شكايات الضعيف والأرملة والمسكين وذوى الحاجات على اختلافهم ، كما أنه يشعر بشعور الناس فيشاركهم فى أفراحهم وأحزانهم ، ويرحـم الصغير ويشفق عليه ، ويجـل الكبير ويوقـره •

أما الرجل المتكبر فسيكون دون هذا كله ، فتضيع حقوق البشر وبالتالى ستنفصل عرى المودة بينـه وبين الشعب الذى يحكمـه •

كما أنه يلزمه أن يكون مهيبا ــ لأن ذلك سيحمل أتباعه على احترام أوامـره ثم التواضع فى ضعف سيحملهم على الاستهانة به ، وعدم الاكتراث بما يقوله ، مما يترتب عليه شيوع الفوضى بين الناس فتضيع الواجبات المفروضة عليهم •

ولذا كان عمر يبحث عمن تجتمع فيـه الشرطـان •

قال عمر بن الخطاب : دلونى على رجل أستعملـه على أمر قد أهمـنى مـن أمور المسلمين ــ قالوا عبد الرحمن بن عوف ، قالوا فلان •• قال لاحاجة لى فيه ••• قالوا ماتريد ؟؟ قال رجل اذا كان أميرهم فانه رجل منهم ، واذا لم يكن أميرهـم كأنه أميرهـم ••

قالوا لانعلمـه الا وبيـع بن زيد الحارثى ــ قال صدقتم ••[1]

---

(١) السياسة الشرعية فى حقوق الراعى والرعية ٢١/٢٢ (السيد عبد الله جمال الدين) ، عمر بن الخطاب (اصول السياسة والادارة الحديثة) الطماوى ٢٧٦

ويعلق أحد الباحثين عما يريده عمر فيقول .. أمراء فى أخلاقهم وتواضعهم وليس فى تبذخهم وعلوهم .. أمراء لا يفسح لهم الناس الطريق ، ولا يتخطون الرقاب بل يمشون على الأرض هونا ، أمراء يشاركون الناس ولا يتميزون عليهم فى غير العمل الصالح والجهد المبذول ، ولقد تعلم هذا من خير المعلمين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكان يرى أصحابه فى عمل الا شاركهم وأخذ أكثر العمل مشقة ، يجمع يوما الحطب لأصحابه وهم سفر — فاذا قالوا نحن نكفيك يارسول الله ذلك — قال لهم انى أكره أن أتميز عليهم .

استبعاد كل راغب فى المنصب طامح اليه ، لأن الرجل الذى يسعى للوصول الى الحكم انما هو رجل تدفعه شهوة السلطان ، والملك الأمر الذى يجعله يتحكم فى رقاب البشر ، ويعمل على ذيوع شهرته مهما كلفه ذلك من حرمان الشعوب من حقوقها وأكل أقوالها بالباطل ابتغاء مرضاة الناس والوصول الى الثناء والحمد .

جاء صحابى الى عمر رضى الله عنه يطلب الأمارة ، وقد كان عمر عزم توليته قبل مجيئه ، ولكن طلبه هذا جعل عمر يعدل عما عزم عليه من توليته — وقال له (قد كنا أردناك لذلك) ، ولكن من يطلب هذا الأمر لايعان عليه ولا يجاب اليه) ثم صرفه وولى غيره (١) .

وفرق كبير بين طلب هذا وطلب سيدنا يوسف الصديق فهما كخطين متوازيين لايلتقيان أبدا ، ودلالة الحال أصدق شاهد على ذلك .

صحيح أن كليهما طالب منصب : وقد بينا غرض الأول :

ولكن طلب يوسف فيه المخاطر المحققة ، تفوق كثيرا مباهجه المحتملة كان هناك افلاس وخراب ومجاعة ، ثم يتقدم رجل لينقذ أزمة تستعصى على الأنقاذ ، فهذا ليس طالب منصب بل عاشق خطر وراكب الصعب ويصور هذا الرؤية الى أولها يوسف

---

(١) بين يدى عمر (خالد محمد خالد) ٨٠ /٨١/ ٨٢

لملك مصر يقول رب العزة (يوسف أيها الصديق افتنا فى سبع بقرات سمان ، يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون ، قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) (١) .

أى مهما استغللتم فى هذه السبع السنين الخصب فادخروه فى سنبله ليكون أبقى له وأبعد عن اسراع الفساد اليه الا المقدار الذى تأكلونه وليكن قليلا ، لاتسرفوا فيه ، لتنتفعوا فى السبع الشداد وهن السبع سنين التى تعقب هذه السبع المتواليات وهن البقرات العجاف اللائى تأكلن السمان لأن سنى الجدب يؤكل فيها ماجمعوه فى سنى الخصب وهن السنبلات اليابسات ثم يأتى بعد ذلك فى العام الذى بعد هذا كله المطر ومايستتبعه من انبات النبات وستأخذ الحياة سيرتها الطبيعية ، فظهر الفرق بين طلب الرجل وطلب يوسف عليه السلام (٢) .

لقد هرب عمر مما هو أكبر من الولاية ، هرب من الخلافة أثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فى سقيفة بنى ساعدة فى اجتماع الأنصار والمهاجرين ولم يسع اليها هذا الصديق ، ولكن الصديق هو الذى طوقه بها ، فسعت اليه سعيا فى لحظة لم تسمح له بالتردد ولاترك كما قال أن يضرب عنقه ولا يرى نفسه أميرا للمؤمنين (٣) . وفى بعض خطبه أنه قال (انى قد وليت عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم وأقواكم عليكم وأشدكم استضلاعا بما ينوب من مهم أموركم ما توليت ذلك منكم ولكفى عمر انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها ووضعها أين أضعها ، وبالسير فيكم كيف أسير (٤) .

---

(١) يوسف آية ٤٦، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ / ٤٨٠
(٣) الطبرى جـ ٣/ ٢٢١/ ٤٢٩ ، تاريخ عمر لابن الجوزى / ٥٥
(٤) الطبرى جـ ٤/ ٢١٤

أن من يطلب الأمارة أذن ، يكون سيىء التقدير لتبعاتها وعقباها ، ومن ثـــم لايراه عمر جديرا بها وهذا هو اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم .

عن النبى صلى الله عليه وسلم (أن قوما دخلوا عليه فسألوه ولاية ، فقال النــبى صلى الله عليه وسلم (أنا لاتولى أمرنا هذا من طلبــه) .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة (ياعبد الرحمــــن ، لاتسأل الأمارة فانك أن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها وأن أعطيتها عن مسالــــة وكلت اليها) .

كما أن الله سبحانه بين أن العدول عن الأصلح الى غيره خيانة للــــه ورسولــــه والمؤمنين [1] .

" يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرســـول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)[2]

(١) السياسة الشرعية فى أصلاح الراعى والرعية (ابن تيمية) ص ١٩/٢٠/٢١ ، رياض الصالحين (النووى) /٢٨٨ .

(٢) الأنفال آية ٢٧ .

عمر يحدد السلوك الذاتي للوالي

كان سيدنا عمر رضي الله عنه اذا وقع اختياره على فرد من الأفراد ليعمل له يبين له مايجب عليه في سلوكه الخاص، في مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه .

عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : كان عمر بن الخطاب اذا استعمل عاملا كتب عليه كتابا وأشهد عليه رهطا من الأنصار ، الا يركب برذونا ، ولا يأكل نقيا ، ولايلبس رقيقا ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين ، ثم يقول اللهم فاشهد [١] .

أنه كان لايريد لولاته أن يفتنوا ، أو يترفوا ، أو ينالوا باسم الحكم أى امتياز ، يجب أن تكون هذه الدابة للعمل ، لا للخيلاء ، للخدمة ، لا للزهو ، للضرورة لا للصلف ولا للترف .

أنه لايريد لولاته أن يفقدوا وجاهتهم ، ولكنه يريد لهم الوجاهة المشروعة التي لابغى فيها ولا غرور .

يريد أن يتفوقوا على الناس بأناقة النفس لا بأناقة اللبس ، ومحامد الأفعال لا بالمظاهر الكاذبة ، والغبار الباطل [٢] .

فهل معنى ذلك أن عمر رضي الله عنه يحرم ما أحل الله عز وجل من الطيبات ـ يقول سبحانه (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة [٣] .

---

(١) الطبرى جـ ٤ / ٢٠٧ / ٢٠٨ ، تاريخ عمر لابن الجوزى جـ ١١٦

(٢) بين يدى عمر (خالد محمد خالد) / ٨٢

(٣) الأعراف ـ آية ٣٢

ويقول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل لكم) [١]

أن عمر رضى الله عنه الذى بلغ من العلم مبلغا كبيرا وعظيما عن سالم عن أبيه قال (كان النبى صلى الله عليه وسلم يحدث) قال : بينما أنا نائم رأيتنى أوتيت بقدح فشربت منه حتى أنى أرى اللبن يخرج فى أطرافى ثم أعطيت فضلى عمر ، قالوا فما أولت ذلك يارسول الله قال العلم [٢] .

اذا كان الأمر كذلك — فعمر لم يغب عن ذهنه هذه الآيات ، فلم يقصد أن يحرموا أنفسهم من متع الحياة الطيبة لأنه بذلك يحارب الطبائع البشرية التى فطر الله الناس عليها .

ولكنه يريد أن يقتصدوا فيما أحل الله عز وجل ويعيشوا فى مستوى الشعب الكادح الفقير وليظلوا فى مكانتهم المحمود خداما للناس لاسادة لهم ، وهذه الحقيقة كان يوجه بها أنظار الولاه ويبين بها مكانتهم من المحكومين (أنه من ولى من أمر المسلمين فهو عبد المسلمين يجب عليه لهم مايجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة) [٣] . وليكونوا عنوانا طيبا للعامة ولأن بهم يقتدى الناس والناس على دين ملوكهم .

وإذا وقع اختياره على فرد من الأفراد ، كان عمر يشيعه ويوجه نظره الى المهمة التى أرسل من أجلها ، ويرسم له بها الطريق والسياسة التى يسير عليها نحو المسلمين المحكومين .

---

(١) المائدة / ٨٧

(٢) تاريخ عمر (لابن الجوزى) / ٢٥ ، تاريخ الخلفاء (السيوطى) / ١١٦

(٣) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى / ٧٠

عن أبى حصين قال : (كان عمر اذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم — فيقول : (أنى لم أستعملكم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، على أشعارهم ولا على أبشارهم ، انما استعملتكم عليها لتقيموا بهم الصلاة ، وتقضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل ولا تجلدوا العرب فتذلوها ، ولا تجمروها فتفتنوها ، ولا تغفلوا عنها فتحرموها ، جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم) (١) .

ويتبين لنا منها أمور :

١ — أن عمر رضى الله عنه سبق العصر الحديث فى المجالات السياسية وليس معنى ذلك أن العصر الحديث قد لحق بعمر أو على الأقل يقترب لا هذا ولا ذاك ، أن عمر نسيج وحده فى السياسة ، يخرج بنفسه وهو أمير المؤمنين أكبر مسئول بل هو وحده المسئول ، يشيع عماله ، أن هذا تكريم للعمال مابعده تكريم .

٢ — أن العامل فى نظر عمر ليس للأمور الدنيوية فحسب وأنما هو داعية أولا وقبل كل شيء ، داعية بالقول والفعل ، أمام للمسلمين فى الصلاة والصلاة هى العمود الفقرى للدعوة الاسلامية .

عن أبى سفيان — قال : سمعت جابرا يقول : يقول النبى صلى الله عليه وسلم : أن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة (٢)

٣ — يطالبهم ويأمرهم بالمبدأ الأصيل الذى يقوم عليه سياسة القضاء فى الاسلام وهو العدل فى الحكم : يقول رب العزة (وأذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) (٣) ، ومع عموم هذه الآية الشريفة فهى تشمل الأتباع والخصوم على

---

(١) الطبرى ج ٤/٢٠٤ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١/٢٦٦
(٣) سورة النساء آية ٥٨

حد سواء ،فى تطبيق هذا المبدأ ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة بذلك ، يقول سبحانه (وأمرت لأعدل بينكم) [١] .

ومع ذلك جاءت آية أخرى تبين موقف الحكام المسلمين من خصوم الدعوة وتطالب بتطبيق هذا المبدأ عليهم ، يقول رب العزة (أنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما) [٢] .

وليس فى القضاء فحسب وأنما فى كل أمر من الأمور ويظهر هذا من قول الله عز وجل (أن الله يأمر بالعدل والأحسان) [٣] .

٤ ـ ويبين عمر رضى الله عنه لعماله أن علاقتهم بالمحكومين ليست علاقة العنف والتسلط ، على الرعية ، لتزل فى ساحتهم وتخضع لاوامرهم ، ويستتبع ذلك كبت الحريات واهدار القيم الانسانية ويعيش الانسان ازاء هذا كله فى سجن رهيب مغلول اليدين مشلول التفكير ، وهذا يخالف ما جاءت به الدعوة ، فهى تدعو الى الحرية حرية العقيدة ، وحرية العمل ، حرية التفكير ، ولكن فى اطار القوانين والنظم .

يقول رب العزة عن حرية العقيدة : (لا أكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) [٤] ويقول سبحانه (لكم دينكم ولى دين [٥]) .

---

(١) سورة الشورى / ١٥
(٢) سورة النساء آية ١٠٥
(٣) سورة النحل آية / ٩٠
(٤) سورة البقرة آية ٢٥٦
(٥) سورة الكافرون آية ٦

ومعنى هذا : لاتكرهوا أحدا على الدخول فيه ، بل من هداه الله للأسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فأنه لايفيده الدخول فى الدين مكروها مكسورا ، ولقد روى فى سبب نزول هذه الآية :

عن ابن عباس قال — نزلت فى رجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف يقال له الحسين ، كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلا مسلما فقال للنبى صلى الله عليه وسلم (الا أستكرههما فأنهما قد أبيا الا النصرانية ، فأنزل فيه ذلك [١] .

وأما حرية التفكير — فالاسلام يحث المسلم على الفكير والتدبير ، يقول الله سبحانه (أن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) [٢] ويقول سبحانه (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) [٣] ويوجه الله سبحانه وتعالى الفكر الأنسانى الى ذات الأنسان ، وما فيه من بديع الصنع ما يدل على عظمة الخالق (وفى انفسكم أفلا تبصرون) [٤] .

وأما فى حرية العمل فيقول سبحانه (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) [٥] .

ومن أجل هذا أمر عمر رضى الله عنه عماله أن لايكتموا فى المسلمين هذه النزعة بضربهم لهم ، ولم يكتف سيدنا عمر بالقاء الأوامر على سمع عماله فحسب ، وأنما كان يجمع بينهم وبين المسلمين ويملى لهم تلك الأوامر لتكون سياسته واضحة وليقيم رقابة من المسلمين على الحكام فأذا انحرفوا وخرجوا عنها فليس أمامهم الا الخليفة نفسه .

عن أبى فراس — قال : خطب عمر رضى الله عنه ، فقال : يا أيها الناس انى والله ما أرسل عمالا ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ولكنى أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه الى فوالذى نفس عمر بيده

(١) تفسير ابن كثير ج ١ / ٣١٠ / ٣١١
(٢) آل عمران آية ١٩٠
(٣) سورة يونس ١٠١
(٤) الذاريات ٢١
(٥) ... ١٠٥

لأقصنه منه ، فوثب عمرو بن العاص ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أرايتك أن كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته ، أئنك لتقصه منه ، قال أى والذى نفس عمر بيده ، اذا لأقصنه منه وكيف لا أقصه منه ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه) (١) .

وهذا مثل على ذلك لمن كان يظن أن له حقا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفى يده قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية وهو مستنتل عن الصف ، فطعنه فى بطنه بالقدح وقال استو ياسواد ، فقال يارسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدنى (قال) فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، وقال : استقد (٢)

فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك ، فعمر الذى أعلن أنه على طريق الصاحبين سائر ليصل الى رضا المولى عز وجل : أعلن أمام عماله أنه لابد من القصاص من العامل اذا ظلم أحد أفراد الرعية ، حتى ولو ضربه على سبيل التأديب ، وهذا ما أفزع عمرو بن العاص .

---

(١) الطبرى جـ ٤ / ٢٠٤ ، الطبقات الكبرى جـ ٣ القسم الاول / ٢٠١ ، أشهر مشاهير الاسلام (رفيق العظم) المجلدة الاولى / ٣٩٥

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٢/ ٤٥٦ / ٤٥٧ ، أسد الغابة فى معرفة الصحابة جـ ٢ / ٤٨٤ .

عمر يراقب الولاة ويتقصى أخبارهم وسياستهم

فاذا تم اختيار أحد العمال وأشهد عليه وشيعه وأوصاه ، لم يكن يكتفى بهذا بل يتتبعه بالسؤال عنه ليرى هل ينفذ الوالى التعليمات بدقة أم أنه تهاون فيها .

فيسأل الوفود القادمة عن الولاة بصفة عامة فاذا تبين منهم الرضا أخذ يسألهم عن العلاقة بينهم وبين الضعفاء والعبيد والمرضى ، كل ذلك ليطمئن على أن الوالى هو خادم للشعب ، ويعمل على راحة الناس على حد سواء .

عن الأسود بن يزيد – قال : كان اذا جاء الوفد على عمر رضى الله عنه سالهم عن أميرهم ، فيقولون خيرا ، فيقول : هل يعود مرضاكم ؟ فيقولون نعم فيقول : هل يعود العبد ؟ فيقولون نعم فيقول : كيف صنيعه بالضعيف ؟ هل يجلس على بابه فأن قالوا لخصلة منها : لا عزله (١) .

وبهذا المنهج العمرى يكون قد ربط بين المجتمع برباط قوى ، بين الحاكم والمحكوم . وصهر الجميع فى بوتقه الحب والرحمة والمودة عملا بقوله عز وجل (أنما المؤمنون أخوة) (٢) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ،ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) (٣)

---

(١) الطبرى ج ٤/٢٢٦

(٢) الحجرات آية ١٠

(٣) رياض الصالحين (النووى) /١٢٤

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهـــــــر) ويقول صلوات الله عليه (المؤمن للمؤمن) كالبنيان يشد بعضه بعضا) [1] .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ / ٢٠٩ ، صحيح مسلم ج ٨ / ٢٠

ماذا يفعل عمر فى شكاوى الشعب ؟؟

واذا اشتكى له أحد عماله لم يكن عمر ليغض عينه دونها ويضعها فى سلة المهملات ويكتفى بالوعود الممسولة والأمانى الخادعة يلقيها على سمع الشاكى ، فاذا انصرف من أمامه نسى كل شيء ، وأصبح قوله كالسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ولم يكن عمر من هذا الطراز الميت الضحل ، وانما من طراز خاص حمل الأمانة بأخلاص وادائها تأدية من استقر فى سويداء قلبه الوقوف أمام الله عز وجل للحساب على الذرة من الخير أو الشر .

ولأجل هذا كان يجر الوالى للحساب أمام الشعب مهما كان منزلته وتقواه ، وورعه وزهده . ويترك له حرية الدفاع عن نفسه ، ليثبت براءته مما نسب اليه أن كان بريئا .

كان من عماله سعيد بن عامر [1] ـ فشكاه أهل حمص وسألوه عزله ، فقال : عمر : اللهم لاتفل فراستى فيهم ماذا تشكون منه ، قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار ولا يجيب أحدا بليل ، وله يوم فى الشهر لايخرج الينا ، فقال عمر علىّ به ، فلما جمع بينهم وبينه فقال ماتنقمون منه ؟ .

---

(١) سعيد بن عامر بن حذيم ، أسلم قبل خيبر ، وهاجر الى المدينة وشهد خيبر وما بعدها من المشاهد ، وكان من زهاد الصحابة وفضلائهم قدم عمر حمص فأمرهم أن يكتبوا له فقراءهم فرفع الكتاب فاذا فيه سعيد بن عامر ، فسأل عمر من سعيد بن عامر ؟ فقالوا يا أمير المؤمنين أميرنا واختلف فى مكان وفاته فقيل توفى بقيسارية من الشام ، وقال أبو نعيم توفى بالرقة ، وقيل توفى بحمص ، " اسد الغابة فى معرفة الصحابة جـ ٢ / ٣٩٣ ، الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر جـ ٣ / ٩٩ / ١٠٠ "

قالوا لايخرج الينا حتى يرتفع النهار ، فقال ماتقول ياسعد ؟؟ قال يا أمير المؤمنين أنه ليس لأهلى خادم فأعجن عجينى ، ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ، ثم أتوضأ وأخرج اليهم ، قال : وماذا تنقمون منه ؟؟ قالوا لايجيب بليل ... ، قال قد كنت أكره أن أذكر هذا ..

أنى جعلت الليل كله لربى وجعلت النهار لهم ، قال وماذا تنقمون منه :؟ قالوا لنا يوم فى الشهر لايخرج الينا ، قال نعم ليس لى خادم فاغسل ثوبى ثم أجففه فلبس ، فقال عمر الحمد لله الذى لم يفل فراستى فيكم يا أهل حمص(١) .

وليزيد فى اطمئنانه رضى الله عنه ، كان يذهب بنفسه ليرى على الطبيعة الوالى فى بيته — هل غيرت منه الولاية شيئ ؟؟ فى مأكله ومشربه ومسكنه ، أم هو كما عهد فيه قبل الولاية حتى ولو كان الوالى ممن أثنى عليه النبى صلى الله عليه وسلم .

قدم عمر بن الخطاب الشام فتلقاه أمراء الأخبار ، فقال عمر : أين أخى ؟؟ . قال أبو عبيدة ، قالوا يأتيك الآن ..

فجاء على ناقة مخطومة بحبل ، فسلم عليه وسألهم .. أن ينصرفوا عنهما ، فسار معه حتى أتى منزله ، فلم ير فى بيته الا سيفه وترسه ، ورحله ، فقال له عمر ، لو اتخذت متاعا ؟ ... فقال له أن هذا سيبلغنا المقيل * .

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر (المسعودى) جـ ٢ / ١٩٩ ، أشهر مشاهير الاسلام (رفيق العظم) المجلدة الأولى ص ٣٩٧

ورغم هذا أجرى له عمر امتحانا فأرسل له بأربعة آلاف درهم وأمر بمراقبته في تصرفه ازاء هذا المال وتبليغه نتيجة ذلك .... فقام رضى الله عنه بتوزيعها فلما علم عمر ذلك وكانت النتيجة كما هو المعهود فيه ،أعلن اغتباطه وسروره فقال الحمد لله الذى جعل فى الاسلام من يصنع هذا (١) .

واذا نسى الأمير الوصايا العمرية فشتم أحد الرعية أو ضربه أو حابى أحدا فى العطاء أو صانع أحدا فى القضاء أو احتجب عن الناس وتهاون فى خدمتهم كان لعمر موقف ينتهى دائما الى الاقتصاص للرعية من الأمير أو مصادرته أو عزله والواقع أن أكثر العمال الذين عزلهم عمر لخيانتهم فى الأموال العامة أو لاستطالتهم على الرعية ، أو لعجزهم عن خدمة الشعب ، ولكنه لم يعزل عاملا لمجرد أن اجتهاده فى الأمور مخالف لاجتهاد عمر . (٢)

ولأجل هذا سأتعرض لبعض قضايا العزل حتى نتبين منها أن عمر رضى الله عنه لم يعزل واليا الا بعد ما أثبت عليه من الأخذ بما لا يمكن بقاؤه مع وجوده وأنه قد يرى فى ذلك خدمة للدعوة الاسلامية ، ولصالح الجماعة المسلمة .

عامر بن عبد الله بن الجراح : اشتهر بكنيته ونسبه الى جده ، فيقال أبو عبيدة بن الجراح ،وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وشهد بدرا وأحد والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر الى الحبشة والى المدينة ، وكان أحد الأمراء المسيرين الى الشام ولما ولى عمر بن الخطاب عزل خالد بن الوليد واستعمل أبا عبيدة .

وهو أمين الأمة " عن أنس أنه قال : (لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح " .

ومات رضى الله عنه بالطاعون ، أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ج ٣/١٢٨/ ١٢٩ ، والاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ج ٤/ ١١ .

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر تهذيب ابن بدران ج ١٦٣/٧ ، تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى /٧٢ .

(٢) الاسلام انطلاق لا جمود (مصطفى الرافعى) /٧٧

((عمر وقضايا العزل))

(عزل خالد بن الوليد)

فالروايات التي أدت بسيدنا عمر الى عزل خالد بن الوليد بعضها مقبول والبعض الآخر يسقط عند التحقيق ، ولا يتفق وأهداف عمر رضي الله عنه .

عن الأصمعي عن سلمة عن بلال عن مجالد عن الشعبي (اصطرع عمر وخالد وهما غلامان فكسر خالد ساق عمر فعولجت وجبرت وكان ذلك سبب العداوة بينهما) [1]

فهذه الرواية تصور عمر رضي الله عنه وتصرفاته مع خالد بعد أن أصبح أميرا للمؤمنين ، بأن الدافع له الى عزله انما هو شيء قديم ، لأجل مسألة شخصية بينهما ترجع الى بدء حياتهما وهما غلامان ، فما كان لعمر أن يسلك هذا المسلك فيعزل قائدا كبيرا لمجرد أنه كسر ساقه وهو صغير ، ويكون هذا سببا في الخلافات التي بقيت آثارها بعد الخلافة .

ويرجع بعضهم السبب الى انتهاج سيدنا عمر سياسة الأعتدال في الحكم .

أن المتولي الكبير اذا كان خلقه يميل الى الشدة ولهذا كان أبو بكر يؤثر استنابة خالد وكان عمر بن الخطاب يؤثر استنابة أبي عبيدة وعزل خالدا كان شديدا كعمر وأبو عبيدة لينا كأبي بكر وكان من ولاه ليكون أمر معتدلا [2] .

وهذه العلة تبدو غير قوية ، وذلك لأن ميدان الحرب لايحتاج الى رجل لين والا مانجحت الحروب في يوم من الأيام وفتحت الفتوح وخضعت الشعوب لحكم المسلمين .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٧/١١٥/١١٦ .

(٢) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية لابن تيمية / ٣٠

ولكن ميدان الحرب غير ميدان السلم ، يحتاج الى قائد يتصف بالشدة علـى المخالفين للدعوة ، مسموع الكلمة بين أتباعه ، مرهوب الجانب فى أعينهم .

يقول الله عز وجل مخاطبا الأمة فى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) [١] . وخاطب الله سبحانه الأمـــة فى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ليعلم الأمة أيضا أن قائدها يجب أن يتصـف بهذا قبل جنوده .

ويقول سبحانه (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجـدوا فيكم غلظـة) [٢] .

والحقيقة من التاريخ للتاريخ : أن عزل سيدنا عمر رضى الله عنه لخالد بـن الوليد يرجع الى أسباب بعضها الى زمـن الصديق ، والبعض الآخر يرجع الـى تصرفات خالد بعد تولى عمر رضى الله عنه الخلافة ، فخالد رجل حرب قبل الاسلام وكان اليه أعنة الخيل فى الجاهلية ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلـم فتح مكة وأبلى فيها بلاءا حسنا ، وشهـد حنينـا والطائف وأرسله الصديـق رضى الله عنه الى قتال أهل الردة فأبلى فى قتالهم بلاءا عظيما ثم ولاه حـرب فارس ، والروم ، فأثر فيهم تأثيرا شديدا [٣] .

---

(١) سـورة التحريـم آيـة / ٩

(٢) سورة التوبـة آيـة آية ١٢٣

(٣) الاصابة فى معرفة الصحابة جـ ٢/ ٩٨ ، أسد الغابة فى معرفة الصحابة جـ٢ / ١٠٩ / ١١٠ / ١١١ .

وكتب الله له النصر فى جميع معاركه مما جعل خالد يعتز برأيه الى أبعد الحدود ويتصرف تصرفا شخصيا من غير أن يرجع الى الصديق ، ويعلمه بالأمر وربما كان الصديق لا يوافقه فى بعض ماذهب اليه .

ومن هذا قتله لمالك بن نويرة وزواج امرأته فى ميدان الحرب .

وشهد فى تلك القضية أحد الصحابة الأجلاء بأن الرجل وأتباعه قد حصنوا أنفسهم من القتل وأنه قد شاهدهم وقد أذنوا وصلوا وتكلم أبو قتادة مع خالد وذهب الى الصديق وأخبره بما شاهده فطلب عمر من الصديق عزل خالد وقال أن فى سيفه رهقا ، فقال أبو بكر لا أشيم سيفا سله الله على الكفار ، فمازال عمر بالصديق حتى أحضره ولكنه عفا عنه . وقال أنه تأول فأخطأ .

ويؤيد ماذهبنا اليه من عودة الرجل الى الأسلام .

أن المسلمين لما غشوا مالكا وأصحابه ليلا ، قال فأخذ القوم السلاح قال فقلنا أنا المسلمون فقالوا ونحن المسلمون - قلنا فما بال السلاح معكم قالوا لنا فما بال السلاح معكم ، قلنا فأن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح ، قال : فوضعوها ثم صلينا وصلوا ، وكان خالد يعتذر فى قتله أنه قال وهو يراجعه ما أخال صاحبكم الا وقد كان يقول كذا وكذا قال : أو ماتعده لك صاحبا ؟ ثم قدمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه (٢)

---

(١) الطبرى جـ ٣ / ٢٧٨ / ٢٧٩ والبداية والنهاية لابن كثير جـ ٦ / ٣٢٢ ، الكامل فى التاريخ لابن كثير جـ ٢ / ٢٤٤ .

(٢) الطبرى جـ ٣ / ٢٨٠ ، الكامل فى التاريخ لابن الأثير جـ ٢ / ٢٤٢ / ٢٤٣ .

فالرجل أعلن عودته الى الاسلام بصلاته وبشهادة أبى قتادة وغيره ، ولو لم يكن مشاهدا للأمر لما كان له أن يراجع أكبر قائد من قواد المسلمين فى ميدان الحرب ثم ذهابه للصديق لأعلان براءة ذمته بالشهادة على ما رأى وماوقع تحت حسه ولكن الصديق لم يكن بقيد من عماله ولا وزعته وعذر خالدا وقال تأول فأخطأ وودى مالكا (١) .

فكون الصديق يدفع الدية دليل على أن الرجل قتل مسلما وبطريق الخطأ ، وقد جعل الله عز وجل فيمن قتل خطأ الدية ، يقول عز وجل (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا) (٢) .

وقول سيدنا عمر بناء على مابلغه : قتلت امرأ مسلما (٣) .

ثم قتله هذا الرجل وهو زعيم قومه ، فما كان لخالد وهو القائد الذى يقتدى به جنوده فى حركاته وسكناته أن يتزوج فى ميدان الحرب وهذا مايخالف تقاليد العرب وما تعارفوا عليه .. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ربما يظن أنه قتله ليتزوج امرأته ، وترتسلم التساؤلات على وجوه الجنود ، والمسلمين والصحابة بوجه خاص ، عوان للأمة ، فالأفضل أن يبتعدوا عن مواطن الشبهة ، وكان سيدنا عمر ينكر هذا على خالد ، مما جعله يواجهه بقوله : قتلت امرءا مسلما ،

---

(٢) الطبرى جـ ٣ / ٢٧٨

(٣) الطبرى جـ ٣ / ٢٨٠

ثم نزوت على امرأته والله لأرجمنك بأحجارك [1]

ثانيا : كان فى زمن الصديق رضى الله عنه مستقلا فى السياسة المالية من غير الرجوع الى الخليفة ، فيتصرف حسب مايريد ، وأرسل اليه الصديق بعد ما أشار عليه عمر بأنه لابد قبل أن يتصرف أن يرجع اليه ولكنه ركب رأسه وأرسل اليه بما يفيد اعتزامه على البقاء على تلك السياسة ، وهدد بترك العمل له ، فعزله فعلا وأمر عمر أن يتجهز ليخلفه ، فمشى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر فقالوا ما شأن عمر يخرج وأنت محتاج اليه ومابالك عزلت خالدا وقد كفاك ، قال فما أصنع ، قالوا تعزم على عمر فيقيم وتكتب الى خالد فيقيم على عمله ففعل .

وفى عصر عمر رضى الله عنه وأمارته ، أراد أن يستمر على نفس السياسة التى انتهجها فى عصر الصديق ، فأرسل له عمر أن لاتعطى شاة ولا بعيرا الا بأمرى فكتب اليه خالد بمثل ماكتب الى أبى بكر ، فقال عمر ماصدقت الله أن كنت أشرت على أبى بكر بأمر ، فلم أنفذه ، فعزله [2] .

وكان الولاة لايتصرفون الا بعد الرجوع الى سيدنا عمر وأخذ رأيه للسير عليه ، ولأجل هذا نجد عمرو بن العاص حينما افتتح الاسكندرية فى عصر عمر أخذ يفتتح القرى المجاورة حتى بلغ (تلسهيب) فأرسل صاحب الاسكندرية الى عمرو بن العاص .

---

(١) الطبرى جـ ٣ / ٢٨٠

(٢) الاصابة فى تمييز الصحابة (ابن حجر) جـ ٢ / ٩٩ / ١٠٠ ، من الفتوحات الاسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية زين دحلان / ٣٤

انى كنت آخذ الجزية الى من هو أبغض الى منكم معشر العرب لفارس والروم ، فأن أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد على ما أصبتم من سبايا أرضى فعلت .

قال : فبعث اليه عمرو بن العاص : أن ورائى أميرا لا أستطيع أن أصنع أمرا دونه ، فأن هو قبل ذلك منك قبلت ، وأن أمرنى بغير ذلك مضيت لأمره [1] .

ففى هذا نتبين أن هذا المأخذ الذى أخذه على خالد ليس بدعا فى سياسته وأد ارته ، بل كان هذا سياسة عامة للولاة ، وألا تعرضوا للحساب والعزل .

ثالثا : أن خالدا كان يعطى الكثير للمادحين له من الشعراء ، ويعطى المجاهد والفارس ، فوق مايستحق ، ولا يبقى لفقراء المسلمين ، ولا لضعفائهم شيئا وكان هذا يصل الى مسامع سيدنا عمر رضى الله عنه .

لما رجع خالد ومعه أموال جزيلة من الصائفة ، طلب رفده الأشعث بن قيس ، فأجازه بعشرة آلاف ، فلما بلغ ذلك عمر أمر أبا عبيدة بمحاكمته أمام الشعب ، كما أمره أن يكشف عمامته وينزع عنه قلنسوته ، ويقيده بعمامته ويسأل عن هذه العشرة آلاف أن كانت من أمواله الخاصة فهو اسراف وتبذير وأن كان من مال المسلمين فهو خيانة ، ونفذ أبو عبيدة بكل دقة هذه الأوامر العمرية ، فأحضر خالدا وصعد المنبر وأقام خالد بين يدى المنبر وأقام اليه بلال ففعل

(١) الطبرى جـ ٤ / ١٠٥

به ما أمر به عمر بن الخطاب ، وهذا وأبو عبيدة ساكت لا يتكلم ، فأجاب خالد بأنه من ماله ، فقال بلال نسمع ونطيع لولاتنا ونفخم ونخدم موالينا وقدم على عمر فعاجله سيدنا عمر بقوله من أين هذا الثراء الذى تجيز منه بعشرة آلاف ؟؟ فقال من الأنفال والسهمان — قال : فما زاد على الستين ألفا فهو لك — فقوم عمر عروضه ، فخرجت اليه عشرون ألفا فأدخلها بيت المال (١) .

فى الواقع أن هذا تصرف يؤخذ على خالد ، فخالد له الحق فى التصرف فى ماله فى الحدود التى رسمها رب العالمين وهو الاعتدال والوسيطة كما بين القرآن الكريم (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) (٢) .

ويقول سبحانه (ولا تبذر تبذيرا أن المبذرين كانوا أخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا) (٣) .

أما كان الأجدر بخالد أن يوجه هذا المال الكثير الى خدمة أكبر عدد ممكن من اليتامى والمساكين والأرامل بدلا من اعطاء فرد واحد عشرة آلاف فضلا عن اعطائه لتملقه ومدحه ثم أن هذا العمل مع مثل هذا يشجع الغير على بروز هذه الصفة فيهم فيأكلون من غير طريق مشروع ، ولأجل هذا يقول رضى الله عنه مبينا

---

(١) الطبرى جـ ٤ / ٦٧ / ٦٨ ، البداية والنهاية لابن كثير جـ ٧ / ٨٠ / ٨١

(٢) الاسراء آية ٢٩

(٣) الاسراء آية ٢٧

بعض العلل فى عزلـه : منها : ولست أنى كرهت ولايـة خالد على المسلمين ، الا أن فيه تهذير للمال ، يعطى للشاعر اذا مدحه ويعطى للمجد والفارس بين يديه فوق مايستحق من حقه ، ولا يبقى لفقراء المسلمين ، ولا لضعفائهم شيئا وانى أريد عزله [1] .

رابعا : ولعل من أسباب العزل ومن أبرزها : ليظهر على مسرح القيادة والزعامة غيره فى هذا المجال الحربى ، وليعلم الناس أن لا ارتباط للنصر بالأشخاص وانما التمسك بالدعوة الاسلامية والتعلق بأسباب النصر ، كل هذا هو الكفيل بالنصر فعمل عمر فى هذا يعتبر بمثابة ترسيخ عقيدة النصر بالله عز وجل فى قلوب الجند (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) [2] .

ويحلل هذه العلة أحد الباحثين فيقول : (أن ابن الخطاب لايـدوم ، والعواقب لا تتكشف وعزل خالد نقص يموته قادة آخرون من حقهم أن يعملوا كما عمل ومن أثرهم أن يثوب الناس الى العقيدة وحدها فلا يحسبوا أن النصر رهين برجل واحد ، لا يرتهن بغيره [3] .

ويبدو أن هذه الاسباب مجتمعة هى التى دفعت بسيدنا عمر الى عزله ولا يقوى واحد منها على انفراد أن يكون سببا للعزل .

---

(١) فتوح الشام للواقدى جـ ٦١/١

(٢) آل عمران آيـة ١٢٦ .

(٣) عبقرية عمر للعقاد /١٥٢

وعزل خالد عن الولاية والقيادة ليس بدعا في سياسة عمر رضي الله عنه مع الولاة والقواد الذين سبقت ادانتهم ، وكان هذا مما جعل خالدا يرضى عن تصرف عمر نحوه ، ويعلن أن عمر كان يتصرف بوحي من عقيدته الدينية لا لشهوة في نفس يعقوب ولا لمصلحة شخصية .

يقول خالد : قد كنت وجدت عليه في نفسي في أمور لما تدبرتها في مرضي هذا وحضرني من الله حاضر عرفت أن عمر كان يريد الله بكل مافعل ، كنت وجدت عليه في نفسي حين بعث الى من يقاسمني مالي حتى أخذ فرد نعل وأخذت فرد نعل فرأيته فعل ذلك بغيري من أهل السابقة ومن شهد بدرا ، وكان يغلظ عليّ ، وكانت غلظة على غيري نحوا من غلظته علي وكنت أدل عليه بقرابة ، فرأيته لايبالي قريبا ولا لوم لائم في غير الله فذلك الذي أذهب ماكنت أجد عليه ، وكان يكثر عليّ عنده ، وما كان ذلك الا على النظر ، كنت في حرب ومكابدة وكنت شاهدا ، وكان غائبا فكنت أعطي على ذلك فخالفه ذلك من أمري [1] .

ولم ينس عمر أن يكرم خالدا مهما أخذ عليه ، لأن خالدا ليس معصوما من الخطأ والزلل ، شأن البشر ، ولأن له أيادي بيضاء في خدمة الدعوة الأسلامية ، ومحاربة أعدائها ، فقال له : والله أنك عليّ لكريم ، وأنك اليّ لحبيب ولن تعمل لي بعد اليوم شيئا .

---

(١) عبقرية خالد (العقاد) /١٥٢/١٥٣ .

ووزع منشورا على الولايات يبرئه فيها من السخط والخيانة ويبين بعض العلل فى عزله :

" أنى لم أعزل خالدا عن سخطة ولا عن خيانة ولكن الناس فتنوا به فاحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع[1] .

---

(١) الطبرى جـ ٤ / ٦٨ ، البداية والنهاية لابن كثير / ٨١

عزل عمـار بـن ياسـر

عزل عمر عمار بن ياسـر (١) بسبب شكوى قدمت ضده عندما سأل عنه عمر رضى الله عنه فقيل له ، هو والله غير كاف ولا مجز ولا عالم بالسياسة : وشهد عليه وفد منهـم بذلك أمام سيدنا عمر ، فعزله عمر وتألم عمار لعزله ، وقال لعمر حين سأله .....
أساءك العـزل ؟؟

" قال والله ، ماسـرنى حين استعملت ، ولقد ساءنى حين عزلـت ، فقال لـه لقد علمت ما أنت بصاحب عمـل ولكنى تأولت بقـول الله عز وجـل ، (ونريد أن نمـن على الذين استضعفـوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ، ونجعلهـم هم الوارثين) " سورة القصص آية /٥

(الطبرى جـ٤ /١٦٤/ ١٦٥ ، البداية والنهاية لابن كثير جـ ٧/ ١٢٥ ، الكامل فى التاريخ لابن الأثير جـ ٣/ ١٥/ ١٦ ، وفتوح البلدان للبلاذرى ٣٩٣ .)

---

(١) وهو من السابقين الأولين الى الاسلام ، وهو حليف بنى مخزوم وعذب فى الله عذابا شديدا ، وهاجر الى المدينة وشهد المشاهد كلها وجاء يستأذن على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ائذنوا له ، مرحبا بالطيب المطيب " وشهد قتال اليمامة ، وكان يصيح ، يامعشر المسلمين أمن الجنة تفرون الىّ الىّ أنا عمـار بن ياسـر .

استعمله عمر بن الخطاب على الكوفة وعبد الله بن مسعود وزيرا ومعلمـا وهما من نجباء أصحاب محمد ، وطالب أهل الكوفة بالاقتداء بهما .

ولما عزله عمر قال له أساءك العزل ؟ قال والله لقد ساءتنى الولايـة وساءتنى العزل وقتل فى ربيع الأول سنة سبع و ثلاثين ودفنه على فى ثيابـه ولم يغسله .

(١) أسد الغابة فى معرفة الصحابة جـ ٤/ ١٣٠ الى ١٣٥
(٢) الاصابة فى تمييز الصحابة جـ ٤/ ٢٧٣/ ٢٧٤

وعمل عمر هذا أنما من صميم الدعوة ، فهى تدعو الى وحدة الصف يقـــول الله عـــــــــز وجل (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) [١] .

وفلا بد من وجود الروابط القوية بين الأفراد فى نطاق الأسرة والجماعـــة والمجتمع ، وليس هذا فحسب وأنما بين الحاكم والمحكومين لتسعد الأمة ، وتصـل الى الغرض المنشود ، وهو رضا الله عز وجـل ونفور الشعب من الحاكم وعدم الرضا به يولد المنازعات والخصومات التى تعيش فى جوها الفتن التى تضعف الروابـــط وتسبب الفشل الذريع ولأجل هذا يقول رب العزة (ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكـم) [٢] .

ولذلك عـزل عمـــار ......

واثر عنه أنه قال عن الحسن ((أن عمــر قال هان على شىء أصلـــــح به قومـا أبدلهم أميراً مكان أمير) [٣]

---

(١) سـورة آل عمران ١٠٣/

(٢) الأنفـــــال آية ٤٦

(٣) تأريخ عمر بن الخطاب (لبن الجوزى) /١٢١

عزل سعد بن أبى وقاص

وهذه الولاية نفسها اتهمت سعد بن أبى وقاص[1] بأنه لايحسن الصلاة بالناس ، ودافع عن نفسه سعد وأعلن أنه ينهج نهج النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاته ، فقال عمر كذا الظن بك ... يا أبا اسحق .

وبعث عمر رضى الله عنه من يسأل عنه أهل الكوفة وذلك هو محمد بن مسلمة فأثنوا عليه خيرا الا رجلا يقال له أبو سعدة قتادة بن اسامة هو الذى جرح سعدا واتهمه ، فقال أن سعدا لايقسم بالسوية واتهمه بالظلم فى الحكم بين الناس فدعا عليه سعد فقال : (اللهم أن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسمعة فعرضه للفتن وأطل عمره وأدم فقره واستجاب الله عز وجل دعوة سعد ـ فطال عمره حتى أصبح شيخا كبيرا يرفع حاجبيه عن عينيه ويتعرض للجوارى فى الطرق .

---

(١) واسمه سعد بن مالك . روى عنه أنه قال : أسلمت قبل أن تفرض الصلاة وهو أحد الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وأحد العشرة سادات الصحابة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين اخبر عنهم سيدنا عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وهو عنهم راض ، شهد بدرا وأحدا والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول من أراق دما فى سبيل الله ، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله ، وكان مستجاب الدعوة .

* توفى بالعقيق ، وكان آخر المهاجرين موتا : أسد الغابة فى معرفة الصحابة جـ ٢/٣٦٦/٣٦٧/٣٦٩ .

* الأصابة فى معرفة الصحابة لابن حجر جـ ٣/٨٣

فيغمزهــن فيقال فى ذلك : فيقول شيخ كبير أصابته دعوة سعد (١)

فماذا يفعل سيدنا عمر ازاء أناس يدعون قصور واليهم فى الصلاة ويتهمـــم بظلم الناس، فأراد عمر أن يخرس ألسنتهم ، فعزلـه ، وسعد هو سعد لــم ينقص منه عزلـه عن الولايــة ، وأهل الكوفة هم أهل الكوفـة لم يزدهم عـــزل واليهم الا صغـارا .

وسن عمر قانون من أين لك هذا ، ولذا كان اذا استعمل عاملا كتب مالــه وكتب رزقه حتى يستطيع أن يحاسبه اذا بـدر عليه بوادر الثراء فاذا وجد أن أموالـه الخاصة زادت على ذلك .. أما أن يصادرها لمصلحة الدولة وأما أن يقاسمه ، ولا يستطيع أى وال مهما كان سبقـه الى الاسلام وابتلاؤه فيه وخدمته له أن يفر مـــن الحساب العمرى بل لابد أن يخضع للحساب العمرى ، طائعا أو كارها ..

وممن صادر أمواله عتبة بن ابى سفيان فقد استعمله على كنانـة ، فقـــدم المدينة بمال ، فقال له ماهذا ياعتبـة ؟؟ قال مال خرجت به ، معى وتاجرت فيــه قال : ومالك تخرج المال معك فى هذا الوجه ؟؟ فصيره فى بيت المال (٢) .

(١) البداية والنهاية لابن كثـير ج ٧ / ١٠١

(٢) أشهر مشاهير الاسلام المجلدة الأولى / ٤٠٠ (رفيق العظم)

واستعمل رضى الله عنه اسلوب المشاطرة مع عماله :

استعمله عمر مع عمرو بن العاص ، فلم يغن ابن العاص سعة الحيلة والدهاء أن ينجو من حساب عمر ، كتب الى عمرو بن العاص : (أنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان حين وليت مصر فرد عليه عمرو : (أن أرضنا أرض مزروع ومتجر فنحن نصيب فضلا عما نحتاج اليه لنفقتنا) .

ولم تكن هذه الأدلة من القوة ليقتنع بها عمر ، ولأجل هذا رد على عمرو[1] فى هذه المرة ردا يحمل بين ثناياه الشدة والغلظة ، وأعلم أنه لابد من المقاسمة .

يقول له فى كتابه : وانى خبرت من عمال السوء ماكفى ، وكتابك الى كتاب من أقلقة الأخذ بالحق ، وقد سؤت بك ظنا وقد وجهت لك محمد بن مسلمة[2] ليقاسمك مالك فاطلعه طلعة وأخرج اليه مايطالبك وأعفه من الغلظة عليك ، فانه برح الخفاء فقاسمه ماله) .. لم يسعه الا الرضوخ والنزول على رأى عمر

(١) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى السهمى وأمه سلمى بن حرملة استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمان فلم يزل عليها الى أن توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فى مدحه (ان عمرو بن العاص من صالى قريش) .
وكان من شجعان العرب ودهاتهم وأبطالهم وكان موته بمصر ليلة عيد الفطر أسد الغابة فى معرفة الصحابة (ابن الأثير) ج ٤/٢٤٤/٢٤٥/٢٤٦ .

(٢) محمد بن مسلمة بن خالد الأنصارى الأوسى ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تبوك ، واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة فى بعض غزواته وهى غزوة تبوك ، وهو كان صاحب العمال أيام عمر ، وكان عمر اذا شكى اليه عامل أرسل محمدا يكشف الحال وهو الذى أرسله ليشاطر عماله أموالهم لثقته به ، وتوفى بالمدينة سنة ست وأربعين) .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣/١٨ القسم الثانى ، سيرة ابن هشام ج ٤/٩٤٦ ، أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٥/١١٢ (ابن الأثير) .

رضى الله عنه فلو لم يقاسمه راضيا لقاسمه مكرها [1] .

واستعمل رضى الله عنه هذا الأسلوب مع أبى هريرة (عبد الله بن صخر) .

سأله بعد أن نزعه عن الأمارة : كيف وجدت الأمارة يا أبا هريرة قال : بعثتنى وأنا كاره — ونزعتنى وقد أحببتها وأتاه بأربعمائة ألف من البحرين ، فقال أظلمت أحدا قال لا ، قال أأخذت شيئا بغير حق قال لا .. قال فما جئت به لنفسك ... قال عشرين ألفا من أين أصبتها قال كنت أتجر .. قال أنظر رأس مالك ورزقك فخذه واجعل الآخر فى بيت المال [2] .

فكان عمر يعرف من عماله من كان يستحق أن تقع به تلك العقوبة اذ ماذا يعمل برجل ولاه وهو يعرف مقدار عطائه ورزقه ثم يراه بعد ذلك قد أثرى ؟؟ لو جمعت أعطياته مابلغها ، لم ير عمر أمام ذلك الا هذه المصادرة [3] .

وأنما عامل عمر ولاته على هذا النحو لترويض نفوسهم على الطاعة وترك الأذلال بالفتح والتعجرف على الرعية أو على من دونهم من المسلمين بمالهم من السابقة والتفضل فى فتوح الممالك والبلدان [4] .

كما يريد منهم أن يتجردوا لله التجرد الكامل فى كل أعمالهم ويتوجهون به اليه وحده .

---

(١) أشهر مشاهير الاسلام (رفيق العظم) المجلدة الأولى /٦٢٤ ، العقد الفريد جـ ١ /٣٨ /٣٩ .

(٢) الطبقات الكبرى جـ ٤ / القسم الثانى / ٥٩ / ٦٠

(٣) محاضرات تاريخ الامم الاسلامية جـ ٢ / ٢٠ (الخضرى) .

(٤) أشهر مشاهير الاسلام المجلدة الأولى /٦٢٥ (رفيق العظم)

يتخفون منه الرضا والمثوبة ، يقول الله عز وجل .. (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) [1] . ويبين ثوابهم فيقول سبحانه (من يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما [2] ويقول سبحانه (الذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يدرأون بالحسنة السيئة ، أولئك لهم عقب الدار) [3] .

وكان رضى الله عنه لايكثر القول على ولاته من غير حاجة اليه ، بل كان يتحين فرص للتوصية والأرشاد ويعطى من ذلك بقدر حتى لايضيع هباءا وليس بالكلام فحسب ، بل بالقدوة فى مسلكه ، فهى تغنى عن كثرة القول وعن الألوف من الخطب التى تضيع من الرسم :

عن طارق بن شهاب قال : لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع موقيه فأمسكها بيده ، وخاض الماء ومعه بعيره ، فقال له أبو عبيدة قد صنعت اليوم صنيعا عظيما عند أهل الأرض ، صنعت كذا وكذا .. قال فصك فى صدره وقال لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة أنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس فأعزكم الله بالاسلام فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله [4] .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠٧

(٢) سورة النساء آية ١١٤

(٣) سورة الرعد آية ٢٢

(٤) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٧ / ٦٠ ، المستدرك جـ ٣ / ٨٢ (النيسابورى) .

فعمل عمر وقوله أبلغ درس في الأخلاق الكريمة التي يجب أن يكون عليها المسلم ففيها العزة الحقيقية ، يقول رب العزة (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)[١]

ويذكرهم بماضيهم السيء الذين كانوا عليه وما صاروا اليه ليشكروا الله عز وجل على ما أولاهم – يقول الله سبحانه (واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) [٢] .

ينبه تعالى عباده المؤمنين على نعمته عليهم وأحسانه اليهم حيث كانوا قليلين مستضعفين ، خائفين ، فقواهم بنصره ، ونصرهم ، وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات واستشكرهم فأطاعوه وامتثلوا جميع ما أمرهم [٣] .

---

(١) المنافقون آية ٨
(٢) سورة الانفال آية ٢٦
(٣) تفسير ابن كثير جـ ٢ / ٣٠٠

عمـــر والسلطــة

رأينا أن الدولة لما اتسعت فى عهد عمر ، قصر البـــلاد أقساما ادارية كبيرة ليسهل حكمها والاشراف على موارد ثروتها وعين على هذه الولايات ولاة يستمدون سلطتهم من الخليفة (١) .

فكان يسلك مسلك المركزية فى الحكم ولم يكن أمامه سوى تلك الوسيلة أنه لـــولا تركيز السلطة فى يد الخليفة ، وهيمنته التامة على جميع الأمور فى أطـراف الـــدول لما استطاع عمر ولا المسلمون أن يحققوا ماحققوا من معجزات فى هذا الزمن القصـــير وعمر ولى الحكم فواجه أول امتحان جدى أمام قيصر فى واقعةاليرموك ، والفـــرس يستجمعون قواهم بعد أن غيروا قيادتهم استعدادا لموقعة حاسمة والمسلمـــون لا تزال تسيطر عليهم رهبة الأكاسرة والقياصرة ، لذا كان عمر يرسم الخطة العسكرية التى يسير عليها القائد ويأخذ أوامره منه مباشرة ويستشيره فى كل تحركاتــه .

واذا كان الجهد العسكرى قد استأثر بالمقام الأول لدى عمر فأن المشروعـــات المدنية والعمرانية كانت تسير مع النشاط العسكرى جنبا الـى جنب ولكنهـــــا كانت متممة الجهـــاد فى سبيل الله ، ومن ثم فأن عمر أخضع النشاط المدنـــى لذات الأسلوب الذى فرضه بالنسبة للمشروعات العسكرية وهو الأسلوب المركزى ، لأن الحاكم المدنى كان فى معظم الحالات هو قائد الجيش فكيف يستقل بالتصـــرف فى الأمور المدنية وهى شديدة الصلة بالأمور العسكرية ؟

---

(١) زعماء الاسلام (حسن ابراهيم حسن) / ٢٤

وأن هذه المثالية فى الحكم والأسس التى قام عليها حكم عمر رضى اللـــه عنه ومهمته فى الادارة ليلفت النظر من غير شك الى الدعوة الأسلامية التـــى يستقون منها فى كل أمور حياتهم مايسعدهم فى الدنيا والآخرة •

الباب الأول : (الفصـــل الرابـــع)

اسباب انتهاج عمر وعثمان رضى الله عنهما سياسة الفـــــتح

وهو يشتمل على النقاط الآتيـــة :

١) موقف امبراطوريتى فارس والروم من الدعوة الاسلامية .

٢) حاجة البلاد المفتوحة الى الاصلاح الشامـــــل .

٣) عالمية الدعوة الاسلامية هى التى دفعت بعمر وعثمان الى انتهاج هذه السياسة .

٤) رد "زعم" المستشرقين بأن جل "هدف الفاتحين انما هو العامل الاقتصادى وليس الدعوة الى الاسلام .

موقف امبراطوريتى فارس والروم من الدولة الاسلامية والدعوة الاسلامية

كانت امبراطوريتى فارس والروم حين ظهور الدعوه الاسلامية أعظم امبراطوريتين فى العالم وكانتا تجاوران الدوله الاسلامية الجديدة بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت هذه الدولة الاسلامية تزداد قوه وصلابه يوما بعد الاخر بل ويزيد اتباعها وانصارها وكانا يرقبانها عن كثب ويتدارسان اخبارها وسيرتها .

فهالهما ما وجداه من أزالة الحواجز المصطنعه بين القبائل والعشائر . مما كان يسبب فى ايجاد الخلاف بل والحروب سنين طويله كما وقع بين الأوس والخزرج مما كان يسبب الفشل واذهاب الريح فصهرهم الاسلام فى بوتقة الحب والرحمه والموده والاخاء عملا بقول الله عز وجل (انما المؤمنون أخوة) (١) .

ووحد الهدف بينهم اذ أصبح ينحصر فى رضا الله عز وجل وابتغاء رضوانه وثوابه بقول الله سبحانه يصف الرسول وأصحابه وأهدافهم (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا) (٢) .

وفى اثناء هذه القوه المتزايدة كان غيرهم يقض على انيابه وحاولت بعض البلاد المتاخمة لهم فى بلاد الشام أن يغزوهم فى عقر دارهم . وكان هذا التحرك والتخطيط قد وصل الى مسامع النبى صلى الله عليه وسلم فعمل على مفاجأته قبل ان يتحرك حتى يضربه ضربه يفيق بعدها الى رشده وذلك بدومه الجندل فلما علموا أن جيش المسلمين الزاحف عليهم قد أوشك على النزول بساحتهم تفرقوا وهربوا من كل وجه ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومعهم غنائم الحرب وكان ذلك لعشر ليالى من شهر ربيع الآخر (٣) .

---

١) الحجرات آية ١٠
٢) الفتح آية ٢٩
٣) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٢ القسم الاول / ٤٤

وليس هذا فحسب وانما عمل الرومان المستعمرون على الاطمئنان على قواتهم وسياستهم بالمنطقه المحتله بجس نبض القوه الجديده فى بلاد الحجاز والتى تصلهم أنبائها الشيره كل يوم وأتخذوا الزريعه للوصول الى هذا الغرض وأن عملوا على اثارتها فأن لم تثر علموا فيها وأن أستثيرت فيهم سيتبينوا حقيقة الامر فدبروا جريمه قتل تكون بأيد عربيه . تأبى أن تفعل مثل هذا الفعل ولكنها فعلت . والحقد يعمى البصائر وقتلت سفيرا من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم داعية الى الله عز وجل . كل ذلك تملق لاسيادهم الرومان .

وما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك هذه الحادثه تمر من غير عمل ايجابى وذلك بأن يثار له ثأرا عاجلا مهما كان من صعاب وشدائد فى سبيل الوصول الى هذا الغرض وجرد النبى صلى الله عليه وسلم حمله عدتها ثلاث آلاف رجل جاعلا القياده بيد ثلاثه من خيرة المجاهدين وأمرهم على التوالى مراعيا بذلك كل الاحتمالات فقال أمير الناس زيد بن حارثه فأن قتل فجعفر بن أبى طالب فأن قتل فعبدالله بن رواحه فاستشهدوا فيها وهم من خيرة المجاهدين وذلك فى غزوه مؤته (١) .

وقد ذكر الدكتور احمد الحوفى هذه الوقائع وغيرها لبيان الموقف العدائى من النصارى للدعوه الاسلامية يقول : ففى سنة ٦ هـ (٦٢٧ ــ ٦٢٨) صلب البيزنطيون عاملهم على عمان وهو فروة بن عمرو الجذامى . لأنه اعتنق الاسلام وارسل الى النبى صلى الله عليه وسلم فرسا وبغلا وحمارا وعباءه وأقمصه . وحاول الروم أن يجبروه على الارتداد عن اسلامه فأبى فسجنوه ثم صلبوه .

وفى سنة ٨ هـ (٦٢٩م) بعث النبى صلى الله عليه وسلم كتيبة من خمسة عشر رجلا الى شرق الاردن ليدعوا الناس الى الاسلام فخرج عليهم جمع كثير من مكان يقال له (طلحه) وقتلوهم الا واحدا لاذ بالفرار .

---

(١) المرجع السابق ص٦٢ . محمد رسول الله (اتيين دينيه) سليمان ابراهيم ٦٦/م .

وفي السنه نفسها أرسل النبي كتابا الى الحارث بن أبي شمر الغساني يدعوه الـى الاسلام كما دعى غيره من الملوك والامراء فرد عليهم رد المغرور المتوعد بالعدوان •

ولما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمرو الازدي الى هرقل يدعـــوه الى الاسلام تصدى له شرحبيل بن عمرو الغساني في مؤته وقتله وكان ذلك سببا فـــي غزوه مؤته •

وفي السنه التاسعة أمر هرقل بعد انتصارهم على الفرس بجمع جيش لغزو بـــلاد العرب وقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم للقضاء عليه قبل أن يستفحل الامر وبلـــغ النبي صلى الله عليه وسلم أن هرقل ملك الروم ومن عنده من متنصرة العرب قد عزموا على قصدة (1) •

أما موقف امبراطورية فارس فـ... برويز ... امبراطورها على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاه الى الاسلام

---

(1) سماحه الاسلام نقلا عن بن الاثير وغيره (دكتور احمد الحوفي / ١٥٨

حالة الامبراطوريتين فارس والروم قبل الفتح الاسلامى

فى أواخر القرن الثالث المسيحى ظهر (مانى) فى فارس وكان ظهوره فى وقت سادت فيه الشهوه الجامحه فأراد الرجل أن يطفئ لهيبها فعمل على كبت الغرائز الجنسية ونادى بحياة العزوبه وعدم النكاح وهذا يعنى فناء الجنس البشرى وانقراضه ولكن هذه الدعوه قد أثارت بعض النفوس وكانت نتيجاتها قتله بيد بهرام سنة ٢٧٦م وقال وقتذاك ان هذا خرج لتخريب العالم فالواجب أن يبدأ بتخريب نفسه .

ولكن أثار هذه الدعوه الجنسيه بقى لها انصار الى ما بعد الفتح الاسلامى .

وظهر مزدك سنة ٤٨٧ م فنادى بالمساواة بين الناس وبنى هذه الدعوه على أساس أن الناس خلقوا سواء لا فرق بينهم وهذا يعنى أن يعيشوا سواء .

ودعا الى الاباحيه والفوضى الجنسية والماليه حتى تزول الفوارق والكراهيه [1] .

يقول الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل عن دعوه مزدك .

وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفه والمباغضه والقتال . ولما كان أكثر ذلك انما كان يقع بسبب النساء والاموال . أحل النساء وأباح الاموال وجعل الناس شركه فيها كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ [2]

وبالطبع وجدت لها من يؤيدها ويآزرها من الذين طغت غرائزهم وطغت عليهم من الشباب ومحترفى الفوضى والعاطلين والمترفين والفجره .

يقول صاحب كتاب تاريخ الرسول والملوك .

فافترض السفله ذلك واغتنموه وكاتفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم . فابتلى الناس بهم وقوى أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل فى داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله .

---

١) مقارن الاديان (الاسلام) (دكتور احمد شلبى) / ٤٠

٢) الملل والنحل (الشهرستانى) تخريج المرحوم (دكتور بدران) جـ١/ ٢٢٩

لا يستطيع الامتناع منهم ، والنتيجه الحتميه كما يرويها الطبرى • فلم يلبثـــو الا قليلا •

حتى صاروا لا يعرف الرجل منهم ولده ولا المولود أباه ، ولا يملك الرجل شيئـا مما يتسع به ولم يزل بقباد حتى اعتنق مذهبه (١) •

ولم يقف الامر عند اختلاف الاديان والاسس الفوضويه التى قامت عليها من أراء وأفكار وانما كان أتباع هذه الاديان فى نزاع مستمر وهؤلاء جميعا فى نزاع دائم مع النصـــارى واليهود من رعايا الامبراطورية الفارسية وكم من مذبحه حدثت بين الاديان الفارســـية الثلاثه وكم من مذبحه أقيمت للنصارى واليهود من رعاياهم (٢) •

هذا الى دعاء ملوك فارس أن مددا الهيا يجرى فى عروقهم وصدق الشعب الفارسى هذه الدعوى وعملوا على رضاهم فقدموا لهم القرابين ليتزلفوا لهم وأنشدوا لهم أناشـيد الطاعه وما يدل على الخضوع والعبودية وما دام الأمر كذلك فهم وحدهم الذين يجـــوز لهم أن يلبسوا التاج بصرف النظر عن سنهم وكفائتهم •

وكانوا يؤكدون هذا المعنى فى خطبهم أمام الشعب لتبقى لهم السياده ولغيرهم الذل والانكسار فى ساحتهم •

يروى التاريخ أنه لما مات أنوشروان ملك ابنه هرمز بن كسرى فخطب فى الشعـــب فقال أيها الناس ان الله خصنا بالملك وعمكم بالعبودية وأعزنا وأعزكم بعزنا ، وقلدنـــا الحكومه فيكم والزمكم الانقياد لأمرنا ثم قال :

فمن غمط نعمتنا وخالف أمرنا وحاول مانهيناه عنه ، فأنا لا نكاد نصلح رعايانـــا ونضبط أمورنا الا بتنكيل من خالف أمرنا وتعدى سيرتنا ، وسعى فى فساد سلطاننا • ثم جاء من بعده ابنه كسرى أبرويز فخطب بهذه النغمه وأخذ يردد ما قاله سلفه •

---

١) عصر الخلفاء الراشدين (الشيخ محمود على فياض) / ١١٤

٢) تاريخ الرسول والملوك (الطبرى) جـ ٢ / ٩٣

أيها الناس ثابروا على ما يقربكم منا من طاعتنا ومناصحتنا وترك مخالفتنا والمفسر علينا فأنا لكم بمنزلة العرى والاركان (١) .

ويبين الاستاذ العقاد تأثير مزدك على الملوك فيقول :

أنه بلغ من سلطانه على قباذ أنه أقنعه ببذل زوجته لمن يشتهيها ليعلم النـاس الصدق فى ايمانه ، ويقتدوا به فى ترك التباعيه والملاحاه على الاعراض فأوشك قباذ أن يفعل ما أوحاه اليه لولا أن علم ولى عهده كسرى فدخل عليه باكيا متضرعا يتوسل اليـه الا يزله هذا الازلال ويبتذل أمه أمام الناس (٢) .

وأخذوا يجبرون الناس على اعتناق نظريه الحق المقدس وكان ذلك بارزا فى عهـد الملوك الساسانيه (٣) .

ومن هذا يمكن ببساطه معرفه أحوالهم الاجتماعيه من العرض الموجز لتعـدد الاديان .

فأنه من المعروف أن تعدد الاديان والمذاهب مع تعصب كل لدينه ورأيه والفكره التى آمن بها يسبب التنازع بين أفراد المجتمع الواحد فتضعف قواه وتتفكك أواصـره وتظهر الاحقاد والكراهية والبغضاء بين الافراد .

وسرت روح الفوضى والاباحيه التى دعت اليها الاديان التى المحنا اليها الـى حكام فارس فاعتنقوها يدل على هذا ما دار من الحوار بين رجل من الاعاجم ومن المقربين من الملك وبين الملك كسرى أبرويز فى شأن أمرأته وكانت من أجمل النساء وكان الملـك يختلف اليها فلما علم الرجل بالامر تركها حفاظا على رضا سيده الملك : قال لـه : بلغنى أن لك عينا عذبه الماء وأنك لا تشرب منها فقال له الرجل " أيها الملك بلغنى أن الاسد ينتاب تلك العين فاجتنبتها مخافه الاسد " .

---

١) مطلع النور (عباس العقاد) طبع دار الهلال / ٣٢
٢) الاخبار الطوال (الدينورى) ص ٨٥ ، ٧٧ ، ٧٥
٣) فجر الاسلام (الدكتور احمد أمين) / ١١١

وكثرت عنده النساء حتى بلغ عددهن ثلاثة آلاف (١) .

كل هذه الفوضى الكسروية لابد وأن تلقي ظلالها على المجتمع ، مما يجعلنا نقول أن المجتمع الفارسي كان يشيع فيه روح الفوضى واللامبالاه بالقيم والفضيلة والمثل العليا ، وبالجملة مجتمع منحط الى اقصى درجات الانحطاط :

وكانت الهوة واسعة بين طبقات المجتمع الفارسي . وكان منهم المحظوظ كطبقة رجال الدين وأخرى وهي الرأسمالية التي تملك العقارات الضخمة وهي همزة الوصل بين الملك والشعب وكانت تسمى (الدهاقين) (٢) .

وشعب كادح من الزراع والتجار وغير ذلك مغلوب على أمره يعيش على هامش الحياة يستغل في سبيل سعادة كسرى وحاشيته والمقربين اليه .

وكان الصراع قائما على قدم وساق على الملك والسلطان وبلغ ذروته حتى قضى على الصفاء بين الاخوين وحل محله الحسد والكيد والعمل على الوصول الى الملك بأى وسيلة ولو كانت مما يتسبب عنها اراقة الدماء وقتل الحياه .

كما فعل شيرويه حينما اوصى اباه بالملك لاخيه مردزقاستعان ببعض الناس حتى قبض على من بقى من أولاد أبرويز البالغ عددهم ثمانية عشر ولدا فقتهلم جميعا ولم يترك أباه يهنأ بالحياه الحرة بل زج به في السجن حتى نهاية حياته ولم يدم الملك لشيروية الا مدة وجيزة تبلغ عدة أشهر وبعده تلقفته الأيدى سريعة ، تسعة ملوك في

١) الاخبار الطوال (الدينوري) / ١٣٨ .
٢) الخراج في الدولة الاسلامية حتى منتصف القرن الثالث الهجري (دكتور محمد ضياء الدين الريس) ص ٦٠ ، ٦١ بتصرف .

مدة وجيزة تبلغ أربع سنوات[١]

ويبرز من هذا وضوح الضعف النفسى واستفحال خطر الانانية المقوته والعبث السياسى بين أفراد الاسرة المالكة •

لم تكن حال الدولة الرومانية الشرقية فى القرن السادس بأحسن من حال منافستها الفارسية اذ غشيها الضعف والفساد من النواحى السياسية ، والادارية ، والاجتماعية والدينية ذلك أنه لما جاءت المسيحية وانبث دعاتها فى الافاق يبشرون بالدين السماوى اعتنقها بعض الرومانيين فبدأت حركة اضطهاد من الاباطرة للمسيحيين ولكن ذلك لم يردهم الا تمسكا بدينهم فاذا أتى بعض الاباطرة واعتنق المسيحية اضطهدت الوثنية والعكس بالعكس ، وكان الحكام لايثبتون على دين واحد ولم تقتصر الخلافات الدينية على هذا بل زادت بانقسام المسيحيين على انفسهم الى أريوسيين واسناسوسيين ثم الى ملكانيين ويعقوبيين ونسطوريين وطغت الفرق بعضها على بعض واضطهد الاباطرة الخارجين على المذهب الملكى الرسمى [٢] •

ويرجع هذا التفرق الى حدوث أمور سياسية تدخلت فى مسألة العقيدة ، والاباطرة يحاولون أن يربطوا الشعوب برباط واحد ليتجهوا وجهة واحدة • ولكن كيف يتسنى لهم ذلك وهناك وثنية متغلغلة فى اعماق النفوس • هذا الامر وضع فى الاعتبار • ومزجت المسيحية بالوثنية •

ولم يقف الاختلاف الى هذا الحد من التفرق والانقسام فى الفهم • بل زاد فى اختلافهم •

---

١) تاريخ التمدن الاسلامى (جرجى زيدان)/٥٣ ، ٥٤ / صـ ١ بتصرف •

٢) تاريخ العالم الاسلامى صـ ٢ / ٧٣ (دكتور محمود زيادة) •

محاولة الزعامة من كل على الاخرين باختيار المكان الذى يكون مركز القيادة •

وكل يؤيد دعواه بما يراه ناهضا فى اقامة الحجة على الاخرين •

فأساقفة القسطنطينية يرون بأنها الحق بتلك القيادة لانها مركز الملك وهو المهيمن على الشعوب الخاضعة لسلطانه كما أنه الحارث للدين •

وأما اسقف الاسكندرية فكان يقول ان السيادة الدينية • تعتمد على الديــــن وتقوم عليه والاسكندرية بلد تجارى نظرا لموقعها الممتاز وفى نفس الوقت مركزها العلمى •

فهى الجديرة فى نظره بهذا الامر •

وأما صاحب رومه • فيرى انها أحق بتلك القيادة نظرا لمآثرها وتاريخها • وكان لها سيادة من تديم من حيث الملك والدين •

وكان نتيجة ذلك الجدل وهذا الهوس الدينى حول تفسير العقيدة ومركز القيادة امران •

كما يقول الدكتور احمد زكى •

١ـ تداخل الفرس وهدمهم لكيان النصرانية فى آســــيا •

٢ـ تمهيد السبيل للاصلاح النهائى الذى قام به العرب وأعقبه تولد الحضـــارة الاسلامية (١) وزياده على التفرق داخل صفوف المسيحية • فقد وقف الملك من اليهود موقف العداء وظهر ذلك فى عطه الايجابى نحوهم اذ اضطهدهم حتى بلغ منتهــــاه وليس هذا فحسب بل اباده هم جميعا وشملت هذه الابادة لهم منطقة مصر والشام والامن فر واختفى فى بلاد العرب لما شاع من النبوءة التى تقول أن ضياع وسقوط الدولـــــة الرومانية على ايدى الامم المختونة (٢) •

---

١) الحضارة الاسلامية (دكتور أحمد زكى) صـ ١٥ ، ١٦

٢) الحضارة الاسلامية (احمد زكى) / ٢١ •

ويبين جورجى زيدان اثر الاضطهاد المسيحى لليهود فى زمن هرقل فيقول :

وقد بلغ الاضطهاد والتباغض منتهاه فى ايام هرقل • مما سبب فى ثورة اليهـــود كرد فعل لما اصابهم وقتلوا بطريق انطاكية وليشبعوا رغبة الانتقام عندهم مثلوا بجسته شر تمثيل ولعب التآمر دوره فى تلك الفترة ولا سيما وأن ذلك مغروس فى نفوسهم وطباعهم تآمر يهود فينيقيا وفلسطين على أن يدخلوا مدينة صور ليلا فلم ينجحوا فى خطتهـــم وباءت بالفشل [1] •

١ـ من هذا تبين وجود الانقسامات بين أهل الدين الواحد مما اثار الحفائظ والنفوس حتى حمل كل فريق السلاح للاخر •

٢ـ ضعف الوازع الدينى بين الملوك والشعب مما كان له اثاره الوخيمة علـــى السلوك فى جميع المجـالات •

٣ـ العداء السافر لاهل الاديان الاخرى واحلاله محل السلام الذى تدعــو اليه المسيحيه فى جوهرها الاصيل •

هذا الى جانب ما كان عليه نظام الاجتماع •

فالرومان كانوا يعتبرون أنفسهم أسيادا للبلاد المفتوحه والخاضعة لنفوذهـــم • يتصرفون بوحى من أنفسهم ولا معقب لهم ولا جدل ولا نقاش معهم • ويعتبرون أهــل البلاد من توابع العقار فينتقل العقار من ملك الى آخر وفلاحوه معه •

الا أصحاب المهن الذين يتقربون الى رجال الدوله بالاشتغال بالصناعـــــة أو التجاره أو الادب وهم قله •

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامى (جرجى زيدان) ص١ / ٥٥ بتصرف•

فكان الناس طبقتين متمايزتين تمام التمايز •

١ـ الملك وأعوانه ومن سار فى ركابه من رجال الدين • ومنهم رجال الدولة •

٢ـ أهل البلاد الاصليون وأكثرهم كان يحمل بالزراعه (١) •

من الواضح شيوع الظلم بين الناس فى هذه الاونه • وظهر المنكر بأجلى معانيه من غير نكير وارتكبت الكبائر وهم سيلها • من تعامل بالربا وشرب للخمر مع ارتكاب أقبح الجرائم الاخلاقيه وشيوعها وهى جريمه الزنا (٢) •

ويصف المقريزى أخلاق المجتمع المصرى قبل الفتح الاسلامى فيقول :

من أخلاق أهل مصر الاعراض عن النظر فى العواقب وانهماك فى الشهوات والامعان فى الملاذ وكثره الاستهتار • وعدم المبالاه •

ويستدل بقول بن خلدون : فى كلمة جامعة : لتذهب النفس كل مذهب • " أهل مصر كأنما فرغوا من الحساب " (٣) •

ويصف الدكتور غوستاف لوبون حالة مصر وأفريقية وهما خاضعتان للحكم الرومانى فيقول :

قد أثقل الحكم الرومانى كأهل أهل مصر وأفريقية وكانت القسطنطينية تستغل شعوبها من غير أن تحسن سياستها وكانت الاختلافات الدينية ومظالم الحكام تقوض دعائمها ولم تكن أوربه أحسن حالا فقد كان الحكم فى أسبانيه بيد القوط المسيحيين الذين لم يستطيعوا أن يتحدوا والذين أكلتهم الانقسامات الدينية فاستغاثوا بقيصر الروم وقد فقدت روما نفوذها القديم فأصبح الرومانى محتقرا فى كل مكان ثم أخذ يتحدث عن فقد الرومان المثل العليا وتوافرها فى العرب المسلمين • فقال :

---

١) تاريخ التمدن الاسلامى صـ ١ / ١٧ (جورجى زيدان)
٢) فتوح الشام (الواقدى) صـ ١ / ١٠٦
[٣) خطط] المقريزى صـ ٢ / ٩٠ •

وغاية القول أن الامم الاغريقية الرومانية والاسمية كانت وقت ظهور محمد صلى الله عليه وسلم قد فقدت مثلها العليا منذ زمن طويل فلم يبق لحب الوطن وعبادة الآلهة أثر فى نفوس أبنائها ، وأن الاثرة هى التى كانت كل ما فى قلوب هؤلاء الأبناء وأن الأثرة اذا كانت دليل قوم عجزوا عن مقاومة قوم آخرين مستعدين للتضحية بأنفسهم اظهارا لدينهم ، وقد استطاع محمد أن يبدع مثلا عاليا قويا تهتدى به الشعوب العربية التى لا عهد لها بالمثل العليا وفى ذلك الابداع تتجلى عظمة محمد وقد ضحى أتباعه بأنفسهم فى سبيل ذلك المثل الأعلى طامعين فى الجنة التى لا يعدلها شىء من متاع هذه الحياة الدنيا[1] .

ويبين الدكتور محمود زياده حال الامبراطوريه الرومانية سياسيا واقتصاديا نقلا عن ولز المؤرخ الانجليزى :

لقد حل الدمار بالامبراطورية الرومانية وساءت أحوالها السياسية والاقتصادية وكانت حضارتها قائمه على أكتاف الفقراء الذين يعملون لحساب الاغنياء فكانت فى ظاهرها عظيمة فخمه ولكنها كانت فى الباطن مليئة بالقوه والضعف والجهل والجمود .

ويمضى الدكتور زيادة نقلا عن سرهنك فيقول :

أن تاريخ هذه الدوله عباره عن أعمال فساد واختلال وهرج ومرج وفوضى عمت جميع فروع الحكومة وقد تخاطف أجزاؤها الامم الضعيفه الشريره .

وهذه الملامح البارزه كانت ايذانا بنهاية دولة الروم .

وقد زاد فى الاضراب السياسى والدينى فى الدولتين الفارسية والرومانية أنهما كانتا فى نزاع دائم والحرب بينهما لا تهدأ أوزارها ولا حدتها . وكانت سجالا فمره يتغلب الفرس على الرومان ومره أخرى فى صف الرومان[2] مع وجود الأشار

---

١) حضارة العرب (غوستاف لوبون) ص ١٥٠

٢) تاريخ العالم الاسلامى (الخلفاء الراشدين) ص ٧٢/٧٢/٧٣ (د . محمود زياده)

السيئة على كلتا الدولتين والعداوه بينهما قديمه ربما تجاوزت القرن الخامس قبل الميلاد وسببها التنازع على السيطره والسياده على العالم وأرادت كل منهما الاستئثار بالسلطان دون الاخرى ، واتصلت تلك العداوه الى زمن الاسكندر الكبير ثم اتصلت في عصر الرومان الى ايام الاسلام[1] وأشار القرآن الكريم الى تلك العلاقة .

قال الله عز وجل (غلبت الروم ، في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ، بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم[2] فأخبر الله عز وجل في هذه الايات عن هزيمة الروم أمام الجيوش الوثنية وأن العاقبة ستكون نصرا للرومان عليهم .

وفي نفس الوقت سينصر الله جنده المؤمنين على اعدائهم المشركين .

وكانت هذه بشاره لاصحاب العقائد وقد حدث هذا فعلا فأن هرقل حزم أمره سنة ٦٢٢ م وخرج بنفسه على رأس الجيش وحارب الفرس وهزمهم وانتصر عليهم في الوقت الذى كان المسلمون فرحين بانتصارهم في بدر مارس ٦٢٤ م[3] .

وفي الوقت نفسه كانتا متفقتين على أن لهما الحق في الوصايه على العالم وهذا الزعم يبرر ما يفعلانه مع شعوب الارض من سلب ونهب وكبت للحريات واهدار للقيم .

يقول جوستاف : كان الروم والفرس يعد بعضهما بعضا أنداد متكافئين على الرغم مما كان بينهما من عداوات مريره مستديمه ويستدل برساله من ملك فارس .

---

١) تاريخ التمدن الاسلامي جـ ١ / ٥٠ (جورجي زيدان) .

٢) سوره الروم آيه ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥

٣) تاريخ العالم الاسلامي (الخلفاء الراشدين) جـ ٢ / ٧٤ (دكتور محمود زياده) .

الى امبراطور الروم ان هناك عينين اثنين وكلتا اليهما القدره الالهيه أن يحصل العالم هما قيصريه الروم القويه • وأمبراطوريه الفرس ذات الحكومه الرشيده فعلى يد هاتين الامبراطوريتين العظيمتين يكبح جماح الشعوب المتبربره المحبه للحروب ويتسنى للبشريه حكم أفضل واشد أمنا فى كل مكان (١)

فهذا عرض موجز لاكبر دولتين فى العالم فى ذلك الزمن •

تبين منه كيف كانوا يستهينون بالدوله الاسلامية الجديدة ورجالها ودعوتها ويعتدون على حرماتها ثم وكيف كان حاله هاتين الدولتين الذى بلغ شوطا بعيدا فى الفساد الى حد بعيد فى العقيده والسلوك والآداب والسياسه والاقتصاد • وأرغمت الشعوب المغلوب على أمرها أن تسير حب هذه المناهج الفاسده • وزيادة على ذلك كانتا تشرعان القوانين والنظم لمحاربه الدعوه الاسلاميه حتى لا تتسرب الى قلوب الناس •

وهذه الشعوب المسكينه التى كادت تخرج أنفاسها الاخيره فى حاجه الى رعايه •

ورجال الدعوه الاسلاميه لا يقفون مكتوفى الايدى أمام هذا كله بل لابد من التدخل والتدخل السريع لتفيق هذه الشعوب الى رشدها فيحسم الداء وتعالج العله وينقذ المرضى •

فحارب المسلمون بكل الوسائل وشتى الاساليب •

الفتوحات الاسلاميه والدعوه الاسلاميـــــة :

وذلك لأن الدعوه الاسلاميه دعوة عالمية انسانية وهذا الوصف ملازم لها من أيامها الاولى وورد فى ذلك آيات مكيه وآخرى مدنيه • قوله تعالى (وما هو الا ذكر للعالمين)(٢) •

---

(١) حضاره الاسلام (جوستاف) ١٠ • فوجر ونيباوم) /٧٦ •
(٢) القلم آيــه ٥٢ •

وقوله تعالى (وما هو الا ذكر للعالمين)[١] .

وقوله تعالى (قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا)[٢]

قوله تعالى (أن هو الا ذكر وقرآن مبين . لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين)[٣] .

قوله تعالى (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)[٤] .

قوله تعالى (وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ)[٥] .

وقولهتعالى (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها)[٦]

قوله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)[٧] .

قوله تعالى (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا)[٨] .

قوله تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)[٩] .

فليس من المعقول اذا كانت دعوه عالميه : كما قرر رب العالمين .

أن يقف أهلها من غير ازاله هذا الجهل الفاضح وازاله الحواجز والسدود المصطنعه ليفتح الطريق أمام الدعوه الاسلاميه ليحيى من حى عن بينه ويهلك من هلك عن بينه .

هل رسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سياسه تبليغ الدين العالمى بفتح فارس والروم ؟ وهل سار أصحابه الراشدون حسب تلك السياسه ؟

---

١) التكوير ٢٧ ، يوسف ١٠٤ ، الانعام ٩٠
٢) الاعراف ١٥٨ ٣) يس ٦٩ ، ٧٠
٤) الفرقان ١ . ٥) الأنعام ١٩ . ٦) الشورى آيه ٧
٧) الانبياء ١٠٧ . ٨) سبأ آيه ٢٨ ٩) الفتح ٢٨ والصف ٩

يرى الدكتور هيكل :

ان جل غرض الرسول اتجه الى تأمين التخوم العربيه فى الشمال من جنود قيصر وأنه لم يدر بخواطر المسلمين ان يغيروا على الشام أو أن يتخذوا من دعوة هرقل الى الاسلام سببا فى الايغال فيه •

ثم يتساءل فيقول : ترى أيقيم ابو بكر على هذه السياسه لا يتعداها ولنا فى رسول الله أسوة حسنه ان يغامر بحروب قيصر والنصر بيد الله يؤتيه من يشاء ؟

ويرى أن هذا الخاطر كان يدور بنفس أبى بكر حينما كان النصر يحالف اعلامه فى حروب الرده وأن أبا بكر كان أحصف من أن يستنيم لهذا النصر فينسى ما تنطوى عليه صدور العرب من حفيظه قد تضرم فتضطرم الثوره كرة أخرى فان من الخير أن تتجه افكار العرب الى ما وراء الحدود من شبه الجزيره فتنسى بذلك حفائظها وأحقادها • وبادية الشام تنتشر فيها قبائل العرب فجدير بها أن تسمع الدعوة الى الدين الجديد كما سمعها العرب فى شبة الجزيره •

ثم يقول لكن غزو الروم مخاطره أن لم يحالف النصر فيها اعلام المسلمين تعرضت شبه الجزيره العربية لشر الثورة التى أخمدتها حروب الرده تعرضت للروم وحكمهم • وتعرضت بذلك لكارثه تجتث حكم المدينة ومنازلة الروم ليست هينه •

ويقول عن فارس ولم يدر التفكير فى محاربة الفرس بخاطر ابى بكر فالحجاز لا يتصل بفارس والبلاد العربيه التى تتاخم الفرس هى التى نشت فيها الرده ويتعذر لذلك أن يعتمد ابو بكر عليها أ(يأمن لها فى غزو دوله لا يزال لها مع ظفر الروم بها جيوش جراره وموارد كثيره افلا يجمل بالخليفه أن يوجه همه الى توطيد الامن فى مختلف الارجاء من شبه الجزيره لتنضم كلها فى وحده تزيدها قوة وتزيد سياستها اتساقاً وأن ابا بكر ليفكر فى هذا وفى مثله اذ ترامت اليه الانباء بان المثنى بن حارثة الشيبانى قد سار بقواته

شمالا فى البحرين حتى وضع يده على القطيف وهجر وحتى بلغ مصب دجلة والفرات وأن قضى فى مسيرته هذه على الفرس وعمالهم من عاونوا المرتدين بالبحرين ، وسأل أبو بكر عن المثنى من هو والى أى قبيلة ينتسب ، فعلم أنه رجل يمكن الاعتماد عليه وحينئذ فكر فى فتح العراق وفى هذا الوقت فقط فكر فى فتح فارس[1] والدكتور فليب حتى وهو غير مسلم ينفى هو الآخر أن هناك خطة مرسومة للفتح الاسلامى فيقول : وقد كانت هذه الفتوحات أشبه بالحروب المنظمة منها بالغارات الطارئة التى جرت على نمطها الفتوحات الاولى ، فالحملات الاولى على العراق وسورية لم تكن نتيجة لخطة مرسومة وتدبير سابق ، اذ لم يكن أبو بكر ولا عمر وقد أحرزت فى عهد ولايتهما جل هذه الانتصارات ليعقدا المجالس الحربية ويضعا خطط القتال بل لم يحلما أصلا فى الادوار البدائية على الاقل باقامة قاعدة دائمة فى المناطق المحتلة لكن الذى قادهم الى هذه النتيجة انما هو مجرى الحوادث وسير الامور[2]؛

وهذا الكلام شرود عن الحقيقة وبعد عن الصواب والواقع :

فالرسول صلى الله عليه وسلم قد أرسى دعائم الفتح بقوله وفعله وبشاراته

فعند حفر الخندق اعترض معاول المسلمين صخرة صلبه لم يستطع المسلمون تكسيرها وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول فضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة أضاء ما بين لابيتها فكبر الرسول صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها الثانية فصدعها وبرق منها برقة أضاء منها ما بين لابتيها فكبر وكبر المسلمون ثم ضربها ضربة ثالثة فكسرها وبرق منها برقة أضاء ما بين لابيتها وكبر تكبير فتح وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : ضربت ضربتى الأولى فبرق الذى رأيتم أضاء لى منها قصور الحيرة ومدائن

---

١) الصديق أبو بكر (دكتور محمد حسنين هيكل) ص ٢٤٤ ، ٢٤٧
٢) تاريخ سوريه ولبنان وفلسطين (دكتور فيلب حتى) جـ ٢ ص ١٦ .

كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها وفي المرة الثانية أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم وفي المرة الثالثة أضاءت لي منها قصور صنعاء وفي كليهما أخبره جبريل أن أمته ظاهرة عليهما ثم قال : فأبشروا يبلغهم النصر وأبشروا يبلغهم النصر وأبشروا يبلغهم النصر وأبشروا يبلغهم النصر[١] .

وقال ابن اسحاق في سيره ابن هشام وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول : حين فتحت هذه الامصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده ، افتتحوا ما بدا لكم فوالذي نفس أبي هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحو منها الى يوم القيامة الا وقد أعطى الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك[٢] .وكان المنافقون يرمون بكل ثقلهم ليشككوا المسلمين في بشارات النبي صلى الله عليه وسلم كما حكى ذلك في الرواية التي نقلها ابن جرير الطبري : قولهم :

الا تعجبون ، يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل ، يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا وأنزل الله في القرآن يبين ذلك الموقف يقول سبحانه :

(واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا)[٣]

وأخرج الامام مسلم قول النبي صلى الله عليه وسلم " انكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فاذا فتحتموها فأحسنوا الى أهلها فان لهم ذمة ورحما)[٤] ويعضد هذه السنه القوليه :

---

١) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبري) حـ ٢ صـ ٥٦٩ .
٢) سيره ابن هشام حـ ٣ صـ ٧٠٤
٣) الاحزاب آية ١٢ ، تاريخ الطبري حـ ٢ صـ ٥٧٠
٤) صحيح مسلم بشرح النودي حـ ٥ صـ ٤٠٤ ، ٤٠٥

عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ولا أقولهن فخرا بعثت الى الناس كافة الاحمر والاسود ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأعطيت الشفاعة فأجرتها لامتى فهى لمن لا يشرك بالله شيئا "[١] .

وأما السنة العملية فقد أرسل النبى صلى الله عليه وسلم رسلان قبله برسائل الى الملوك خارج البلاد الحجازية يدعوهم فيها الى الاسلام .

بعث حاطب بن ابى بلتعه الى الحارث بن ابى تمر الغسانى ، ودحيه بن خليفه الكلبي الى قيصر وسليط بن عمرو العامرى بن لؤى الى هوذه بن على الحنفى وعبد الله بن حذافه السهمى الى كسرى وعمرو بن اميه الضمرى الى النجاشى[٢] .

فبعضهم اعلن اسلامه عند قراءة الرساله التى أرسلت اليه كالنجاشى ملك الحبشه ، والاخر رد ردا رقيقا مع هدايا كالمقوقس عظيم القبط فى مصر ولكن امبراطور فارس رد ردا عنيفا واخذته العزه بالاثم وتكلم بما يدل على منتهى الغرور قال : يكتب الى وهو عبدى .

بل ذهب الى أبعد من ذلك : كتب الى عامله باليمن يطالبه بارسال رجلين من قبله ليقبضا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضراه بين يديه ونسى الرجل المجهول أن الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوة من اصحابه وعصبية من عشيرته .

---

١) صحيح مسلم بشرح افودى جـ ٢ صـ ١٥٤ ، المسند (الامام احمد بن حنبل) جـ ٢ صـ ٣٠١ .

٢) الطبرى جـ ٢ / ٦٤٤ .

ولعل الرجل تصرف هذا التصرف لما داوفى ذهنه من آل ساسان الملـــــوك الجبابره ذوى السلطان الواسع العريض ، على اليمن والحيره ، فكيف يستمع لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ويدخل فى الاسلام ويصير تابعا لعرب الحجاز الذين ليسوا فـــى نظره بأعلى منزله من عرب الحيره واليمن الخاضعين لسلطانه[١] .

أما هرقل فقد عرف الحقيقه وكاد يعلن اسلامه ولكن عندما رأى انكار الـــروم لرأيه عز عليه ملكه وسلطانه وبقى على كفره .

قال يا معشر الروم انى قد قلت لكم المقاله التى قلت لانظر كيف صلابتكـــم على دينكم لهذا الامر الذى قد حدث ، وقد رأيت منكم الذى أسر به[٢] .

من هذا تبين موقف أكبر رؤوس فى العالم فى ذلك الوقت من سير الدعـــوه العالمية وانهم يقفون حجر عثره فى سبيلها حتى لاتصل الى اذان الشعوب ولعلهـــم بعد هذه الرسائل فتحوا عيونهم أكثر ليراقبوا نمو هذه الدولة الفتيه الجديـــده وهذه السياسه التى أرسى دعائمها رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] سار علـــى نهجها الخلفاء الراشدون فتحملوا أمانتها وعملوا جاهدين على وصولها الغـــرض المنشود وما كان لهم خيار فى ذلك لان الله ورسوله كلفهم بذلك .

ويفصل هذا المعنى الشيخ عطيه صقر فى كتابة الدين العالمى فيقول :

وكان ولابد من هذا التبليغ العام لان الرسول ليس مخلدا والسنوات الـــتى عاشها لا تكفى لاداء هذه المهمه تفصيلا ، فحسبه ان رسم الطريق واقام المنـــارات

---

١) الاسلام ظهوره وانتشاره فى العالم (حامد عبد القادر) الطبعة الثانيـــة ٢١٩ .

٢) الطبرى جـ ٢ / ٦٥٠ .

٣) تاريخ العالم الاسلامى (الخلفاء الراشدون) دكتور محمود زياده / ٦٢

روجه وارشد وبين ، لقد غرس النبته وترك لاصحابه متابعة وعايتها بامدادها باسبـاب القوه وصد الاذى عنها وتكثيرها عن طريق الاخذ منها بأى طريقه ممكنه لتصبح أرض البشرية كلها خضراء تنعم بالظل الوارف والثمر الشهى وتستمد كل اسباب الحياه[١] .

ومن أوامر التبليغ قول الله عز وجل " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بـ ـ بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)[٢] .

قال بعض العلماء فى تفسيرها والمقصود من هذه الايه أن تكون فرقه من هـــذه الامه متصديه لهذا الشأن ، وأن كان ذلك واجبا على كل فرد من الامه بحسبه كمـــا ثبت فى صحيح مسلم عن ابى هريره قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مــــن رأى منكر فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان)[٣]

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم (والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعـــــــروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله ان يبعث عليكم عتابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم)[٤] .

فعندما أصبى الصديق رضى الله عنه هو المسئول الاول عن الدعوه الاسلاميــــه وتبليغها الى الناس .

ظهرت حركة ارتداد وكان هذا بمثابة امتحان شديد لايمان الصديـــــــق والصحابه رضوان الله عنهم ظهر فيها المعدن النفيس من المعدن الخسيس وخرج منهـا الصديق ومن على شاكلته اقوى ما يكونوا ايمانا وصدقا واخلاصا لله ولرسوله .

---

١) الدين العالمى (عطيه صقر) / ٥٩ .
٢) آل عمـــــران ١٠٤
٣) تفسير ابن كثير ج ١ / ٣٩٠ ، صحيح مسلم بشرح النووى حـ ١ص ٢٢٧
٤) تفسير ابن كثير حـ ١ ص ٣٩٠ .

يقول الدكتور محمود زياده عن تلك الحركـــه :

فانه لم يكن ينتشر خبر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى شملت حركة الـــرده الجزيره العربيه من اقصاها الى اقصاها وعمت حركة التمرد على الاسلام وتعاليمـــه ، ولم يثبت على اسلامه سوى مكه والمدينه والطائف وبعض القبائل كمزينه وغفار وخزاعه[1] .

وكانت نتائجها بعيده المدى ، اذ كانت فى صالح الدعوه الاسلاميه والقائـــم على أمرها .

يقول الاستاذ العقاد فى كتابة عبقرية الصديـــق :

امتحنت دعوة الاسلام وامتحنت جميع الدعوات التى نهضت لمنافسته بقوه الســلاح وقوة الدهاء وقوة العصبيه فقضت له بالبقاء وقضت عليها بالفناء ولو كان نجاح الدعـــوه الاسلاميه نجاح سلاح أو دهاء لكان اصغر متنبىء من أدعياء الرده خليقا أن يطمـــع فى مثل ذلك النجاح لانهم بدأوا دعوتهم ومعهم من جموع القبائل التى تعتز بعصبياتها مالم يتهيأ لصاحب الدعوه المحمديه قبل عدة سنين . وصدقهم اناس كانوا يقولـــون ان نبيا كاذبا منهم خير من نبى صادق من مضر أو قريش .

وأصدق من هذا كله فى امتحان الدعوه المحمديه أنها خرجت من فتنـــه الرده وهى بشهادة الواقع والحق بنية حية تسير على سنن الحياه الصحيحة الـــتى لا زيف فيها ولا اصطناع يعرض لها الخطر من اسبابه وتعرض لها السلامه من اسبابهـــا وتنجو كما تنجو البنيه الحيه القويه حيثما تجمعت فيها عناصر النجاه فليست هـــى جسما محجبا بالاوهام كما زعم طليحه الكذاب لجسمه أنه لا يعمل فيه السيف ولا تصيبـــه السهام ، ولكنها جسم صحيح يعمل فيه السيف وله مع ذلك ما يدفع الطعن ويـــبرىء من الجراح[2] .

---

١) تاريخ العالم الاسلامى (دكتور محمد زياده) ج ٢ / ٢٠

٢) عبقرية الصديق (عباس العقاد) ١٢٧ / ١٢٨

ويضيف الدكتور زياده الى هذه النتائج فيقول :

أمنت الاسلام فى عقر داره وكانت هذه هى المرحله الاولى وبها اطمأن المسلمون وهدأت النفوس ، وبعثت فيهم الثقة بالنفس ، وبدأوا يتطلعون الى الفتوح الخارجية لانهم ادركوا انهم ان ظلوا كذلك متحدين فلن تغلبهم قوة فى الارض مهما كان شأنها .

فما كاد ينتهى من حركة الرده حتى وجه نظره الى تأمين الاسلام فى حدوده وتخومه وتوسيع رقعته بارسال الجيوش الاسلاميه الى خارج بلاد العرب وبهذا فتح ميدانا لسائر قبائل العرب انصرفت اليهم جهودهم فاعتزوا بانتصاراتهم واعزوا بها الاسلام واعلوا كلمته ونشروها فى انحاء البلاد المجاوره(٢).

وكان من الطبيعى ان يكون للنزاع بين المسلمين والمرتدين على الشواطئ الغربيه للخليج الفارسى اثره فى القبائل المجاوره الخاضعة لسلطان الفرس وكانت الحملات من الشمال تتبعها حملات انتقاميه وبعد ان انتهت حروب الرده فى شبه جزيره العرب تولى خالد والمثنى اخضاع الغارات التى كانت تقوم بها القبائل القاطنه فى جانب الحيره بعد معارك شديده .

وأدى غزو الحيره الى ايقاظ عيون حكام فارس الى فداحه الخطر المحدق ببلادهم ، ذلك أنهم رأوا على حدودهم دولة فتيه ناشئه تتأجج بالحماسة الوطنية والحميه الدينيه وجهزت فارس جيشا عظيما وسيرته لاجلاء العرب عن كلده .

وأما بالنسبه للحروب فى بلاد الروم فى عهد الصديق رضى الله عنه فمن اسبابها .

---

(١) تاريخ العالم الاسلامى (الخلفاء الراشدون) جـ ٥٩/٥٨/٢ .

كانت جميع البلاد الواقعه الى الغرب من كلـده والجزيره العربيه خاضعة لسلطان الامبراطوريه الرومانية الشرقيه وكان سكان فلسطين وسوريه فكان العراق من الجنس العربى أما بادية الشام فقد كان البدو يهيمون فى ارجائها وهكذا لم يلبثوا أن أصبحوا ضمن المنطقة الشرعيه للدوله الاسلاميه وكانت الحملة التأديبيه التى قادها اسامة قد اثارت القبائل السوريه :

ولذلك كان من الطبيعى ان تنهض تلك القبائل الى الاخذ بالثأر واعتقد أن رابطة الجنس ليست كافيه فى الدفاع عنهم بل رابطة الدين واللغه والمصالح المشتركة مضافا اليها رابطة الجنس .

وفى نفس الوقت حشد الرومان جيشا كبيرا فى البلقاء ولذلك لم يكون للخليفة مفر من صد الرومان واخضاع القبائل فقد كان هذا التدبير ضرورة اقتضتها مصالح امبراطوريته[1] .

وكان المسلمون يعيشون فى فزع منها منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وكان عمر لا يستتر مخاوفه منها يدل على هذا قوله (وكنا نتحدث ان غسان تنتعل النعال لغزونا فنزل صاحبى يوم نوبته فرجع عشاء فضرب بابى ضربا شديدا وقال اثم هو ؟ ففزعت فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم : قلت ما هو ؟ اجاءت غسان ؟ قال لا : بل أعظم منه وأطول . طلق النبى صلى الله عليه وسلم نساءه[2] .

وواصل سياسة الفتح وتبليغ الدعوة الاسلامية من بعد الصديق عمر وعثمان رضى الله عنهما .

---

١) مختصر تاريخ العرب (سيد اميرعلى) (٣١ ، ٣٣ ، ٢ ، ٤٢ .

٢) عبقرية عمر (عباس العقاد) ١٢٠ ، تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ٣٨٨ .

فقد تمت معظم الفتوحات الاسلامية فى عهد عمر بن الخطاب ، ففتحت فارس وفلسطين والشام ومصر ، وزادت الدولة العربيه فى رقعه املاكها على حساب هاتين الدولتين العظيمتين : الفارسيه والرومانية الشرقيه أو البيزنطية[1] .

ولم يقطع استخلاف عثمان سلسلة الفتوح التى قام بها المسلمون فى عهد عمر ، فقد فتحت بلاد أرمينيه وافريقيه وقبرص ، وواصل المسلمون العمل على توطيد نفوذهم فى بلاد الفرس التى انتقض بعضها فلم يكن بد أذن من أن يعملوا على فتحها وتوطيد نفوذهم فيها من جديد[2] .

علاقة العامل الاقتصادى بالفتح الاسلامى :

شاع الكذب حول الاسباب الاصلية لزحف الجيوش الاسلامية وسيطرتها على أكبر امبراطوريات العالم المعاصرة لهم ، واذ علتهم السرعة فى الفتح الى حد انهم يكذبون حقائق التاريخ ويقولون أن العامل الاساسى فى الفتح هو النفع المادى .

يقول السير توماس :

وقد اجاد مؤرخ كبير ، عرض المشكلة التى تواجهنا هنا فى الكلمات الاتية ، هل كانت الحماسة الدينية الخالصة تلك القوة الجديدة لعقيدة كانت اذ ذاك ولاول مرة آخذه فى الازدهار ، صافية تمام الصفاء هى التى أمدت الجيوش العربية بالنصر فى كل موقعه من المواقع وقامت فى مثل هذا الزمن أعظم امبراطورية شهدها العالم ؟

لكن الدليل يعوزنا لتثبت ان الحالة كانت كذلك اذ كان عدد الذين بايعوا النبى وقبلوا تعاليمه عن حرية واقتناع صادق ضئيل جدا ، على حين نجد من ناحية اخرى أن الاكثرية كانت تتألف من هؤلاء الذين لم ينضووا تحت لواء الاسلام ، الا عن طريق الضغط عليهم أو طمعا فى نفع دنيوى .

---

١) تاريخ الاسلام السياسى ج ١ (دكتور حسن ابراهيم حسن الطبعه السابعه ص ٢١٥ ...

ثم ماذا ايها المؤرخ الكبـــــير ؟

وكان اقوى من ذلك جذبا لهم الى الاسلام أملهم الوطيد فى الحصول على مغانـم كثيرة فى جهادهم فى سبيل الدين الجديد ثم املهم فى أن يستبدلوا الصخريـــــة الجرداء التى لم تتح لهم الاحياء تقوم على البؤس تلك الاقطار ذات الترف والنعيم وهـى فارس والشام ومصر ويمضى السير توماس فيقول :

ومن المؤكد أن هذه الفتوح الهائلة التى وضعت اساس الامبراطورية العربية لـم تكن ثمرة حرب دينية قامت فى سبيل نشر الاسلام وانما تلتها حركة ارتداد واسعـــة عن الديانة المسيحية حتى لقد ظن دائما ان هذا الارتداد كان الغرض الذى يهـدف اليه العرب .

ومن هنا أخذ المؤرخون المسيحيون ينظرون الى السيف على انه اداء للدعـــوة الاسلامية وفى ضياء النصر الذى عزى اليه ، حجبت مظاهر النشاط الحقيقى للدعـــوة ولكن الروح التى دفعت جحافل العرب الغازيه التى تدفقت على حدود دولتى الروم ـ وفارس لم تكن روح تحمس وغيره ترمى الى تلقين الدعوة ابتغاء تحويل الناس الى الاسلام بل كان الامر على العكس من ذلك ، فان البواعث الدينية قد تسربت الا قليلا فى نفوس ابطال الجيوش العربية .

ويعتبر توسع الجنس العربى على اصح تقدير هجرة جماعة نشيطة قوية دفعهـــا الجوع والحرمان الى ان تهجر صحاريها المجدبة وتجتاح بلاد أكثر خصبا كانت ملكـــا لجيران اسعد منهم حظا[١] .

---

(١) تاريخ الدعوة الى الاسلام (السير توماس . و . أرنولد) ص ٦٢ ، ٦٤

ويدور الدكتور فليب حتى في نفس الفلك الا انه يفترى أكثر من السير توماس يقول :
ومن الخير ان نتذكر ان دفع الجزية كان في نظر الفاتحين اولى وأشهى .

فانه اذا اعتنق الذمي الاسلام سقطت عنه الجزية[1] .

وجر الكذب في اذياله (الدكتور عبد المنعم ماجد) فقال هو الاخر ليفترى على صحابه رسول الله ان العرب لم يكونوا مدفوعين بالحماس الديني وأن الحروب التي قاموا بها لا تعتبر حروبا دينية . ثم أخذ يعلل كما يصور له تفكيره وسطحيته .

فنحن لا نظن أن العرب ، ومعظمهم من البدو ـ كانت تسودهم الروح الدينية والرغبة في نشر الاسلام . فقد رأينا كيف ارتدت العرب وانها لم ترجع الى الاسلام الا بحد السيف ومهما تكن البواعث قوية عند الخلفاء وبعض اتقياء المسلمين في المدنية ومكة فانه من غير الممكن أن يخرج البدوى وهو الذى لا يهتم بالدين لنشر الاسلام[2] .

وهذا الكلام كذب من الفه الى يائه فليس له سند على يستند عليه فضلا عن أنه يجافى حقائق التاريخ التي رواها الثقات .

ومن ذلك فلا بأس من مناقشته وتفنيده ليظهر عوار الكذب .

ولعلهم بنوا اراءهم على ما يلي :

١ـ انهم لم يعهدوا في تاريخ الفتح في العالم أن جماعة من الجماعات تركت ... ديارها وأوطانها وخرجت والسيف في يدها ابتغاء مرضاه الله وتثبيتا من انفسهم وانما الفتح في العالم قديما وحديثا الباعث عليه التسلط على رقاب البشر وتوسيع الرقعة الارضية واستنزاف الثروات المادية والبشرية وقد رأينا ذلك في الاستعمار الفارسي والروماني . فلم يدر بخلدهم أن الاسباب الدافعة للفتح

---

١) تاريخ العرب (دكتور فليب حتى) جـ ٢ ص ١٧ .
٢) التاريخ السياسي للدولة العربية (دكتور عبد المنعم ماجد) ص ١٦٣ .

اسباب فريدة فى نوعها ، ولعل الحقيقة واضحة فى اذهانهم ولكن الكراهية والحقد والجهل اسباب تبعد كل البعد عن الاعتراف بسلامة اسباب الحروب الاسلامية •

وموقف البلاد المفتوحة اصدق دليل على رد هذه الفرية يقول الدكتور فليب حتى نفسه (وقد رحب سكان البلاد الساميون فى سوريا وفلسطين والحاميون فى مصر بالعرب واعتبروهم أقرب نسب اليهم من حكامهم الاغراب الطغاة وفضلا عن ذلك فالجزية التى فرضها القائمون كانت أقل من التى جباها سابقوهم فى حين سمح المسلمون للمغلوبين على أمرهم بممارسة دينهم بحرية أوسع وطمأنينة أكبر[1] •

٢) أو على ما رواه البلاذرى " فقد ذكر ان ابا بكر اذ اخذ فى اعداد الحملة على سورية كتب الى اهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفى غنائم الروم[2] •

وهذا دليل عليهم لا لهم اذ أن ابا بكر رضى الله عنه انما كان يدفعهم الى ميدان الجهاد لان كلمة جهاد فيها ايحاء الى انها ليست حرب قتل وغلب ولكنها دعوة للحق وحماية له من ان يعتدى عليه وفتح الطريق ليصل الى النفوس ، وازالة الحواجز المانعة له ولذا كان على القائد الذى يقود جيش الاسلام الى الجهاد ان يدعو الى الاسلام فان اسلم من يدعوهم فهم اخوان مسلمون لهم مالنا وعليهم ما علينا • هذا هو الباعث الذى يدعو اليه الصديق اما ذكر الغنائم فهى تابعة أو ثانوى فهى اثر ونتيجة من نتائج الحرب والفتح[3] وعلى كلام قائد الجيوش الفارسية المغيرة بن شعبة مندوب سعد بن ابى وقاص قائد الجيش الاسلامى فى غزو بلاد فارس •

قد علمت انه لم يحملكم على ما انتهى عليه الا ضيق المعاش وشدة الجهد ، ونحن نعطيكم ما تشبعون به ونصرفكم ببعض ما تحبون[3] •

---

١) العلاقة بين الدعوة والدولة رسالة دكتوراه (د • عبدالغفار عزيز) نقلا عن الدكتور فليب حتى / ٣٥٥ •

٢) فتوح البلدان (البلاذرى) / ١٠٧ • ٢) المرجع السابق / ٢٦٤ •

ويترك بقية الرواية عن عمد وسبق اصرار لانها تنقض قولـــه •

وهو كمن ينفر من الصلاة فيقول (فويل للمصلين)[١] ويسكن ويشى الباعث علـــى الوعيد وهو قوله عز وجل (الذين هم عن صلاتهم ساهون • الذين هم يراءون ويمنعون الماعـــون)[٢] •

فرد المغيرة عليه بقوله : لا مناص الا بواحدة من ثلاث الاسلام أو الجزيـــــة أو تحكيم السيف •

وكلام رستم مرفوض شكلا وموضوعا لانه من عدو للاسلام فلم ينهض دليل علـــــى دعواه •

ويقول الشيخ الغزالى ليرد على هذا الافتراء :

أن العرب الذين غبرت عليهم القرون وهم أقل الناس حظا من القوى الماديـــة • والادبية وسط دول ضاربة العروق فى الحضارة واليأس • قد تصورهم ذلك الذهـــن الاخرق وكأنهم انجلترا تحارب أهل كينيا[٣]

فبعد أن بينا ان هذه العلل لا تقوى على مساندة دعواهـــم •

نتساءل نحن بدورنـــا :

---

١) الماعون آيه ٤

٢) الماعون ايه ٥ ، ٦ ، ٧

٣) مع الله (الشيخ محمد الغزالى / ١٤٢

١) لو كان المسلمون مدفوعين الى القتال ابتغاء شهوة جمع المال والكوة بعد عرى والاكل بعد الجوع والحرمان •

فلماذا بعد ان تم لهم الاستيلاء والتمكن فى بلاد فارس والروم ومصر وافريقية وغيرها من البلاد التى خضعت لحكم المسلمين يراعون فى فرض الضريبه حالة الافراد ماديا وليس كذلك فحسب وانما عفوا منها الضعفاء من اليتامى والارامل والمساكين والنساء وغير القادرين على حمل السلاح • فلو كان الباعث مادى لما روعى هذا بل ولاخذوا جميع ما فى ايديهم بالقوه لانهم منتصرون ولكنهم لم يفعلوا •

٢) لو كان الباعث المادة كما يقولون فما الذى يجعل الفاتحين المسلمين يعرضون على البلاد المفتوحة قبول الدعوة الاسلامية أولا والجزية فى المرتبة الثانية • أما كان الاجدر بهم ان يقلبوا هذا ويجعلوا المال أولا والاسلام ثانيا ولكن الثابت غير هذا كما أقر السير توماس نفسه نقلا عن الطبرى •

بأن الحيره قد ارسلت الى خالد اثناء حصاره لهم بعد ان استنفذت الحيرة كل مالديها من اساليب لفك الحصار المضروب عليهم ورأوا تسليم مدينتهم وارسلوا مندوبين لهذا الغرض ولمعرفة كيفية تسليمها على أى أساس • فماذا كان رد خالد ؟

احدى ثلاث خصال الدخول فى الدين أو الجزية أو المنابذه(١)

---

١) الدعوة الى الاسلام (السير توماس • و • أ رتولد) / ٦٩ •

٣) ثم وما الذى دفع خالد وهو الذى خرج ابتغاء المال والثروة كما يزعم هؤلاء أن يحزن ويتألم عند قبولهم الخضوع للجزية بدل من انخراطهم فى تلك الدعوة الاسلامية ؟

بل ويعلن استياءه ويحنقهم بقوله :

ما انتم عرب ؟ فما تنقمون من العرب ؟ أو عجم ؟ فما تنقمون من الانصاف والعدل فقال له عدى وقد فوض اليه الوفد ان يتكلم بلسانهم ، بل عرب عاربة واخرى متعربة فقال خالد لو كنتم كما تقولون لما تحادون وتكرهون أمرنا قال له عدى ليدلك على ما نقول انه ليس لنا لسان الا بالعربية قال خالد : صدقت .

ثم قال لهم : تبالكم [illegible] أن الكفر فلاة مضلة فأحمق العرب من سلكها[1] .

فلو كان الامر كما يزعمون لاعلن خالد ارتياحه وسروره لانه حصل على مقصوده .

٤) وما الذى دفع بعبادة بن الصامت الصحابى الجليل المفوض من قبل القائد عمرو بن العاص ان يقول للمقوقس بعد ان عرض المال عليه للجنود والقائد والخليفة ، ان يقول فنحن فى أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما اردنا منها لانفسنا أكثر مما نحن عليه ولا نجيبك الا الى خصلة من ثلاث فأخذ أيها شئت أما أجبتم الى الاسلام فان من فعل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان اخانا فى دين الله فان ابيتم الا الجزية فأدوا الينا الجزية .

---

١) المرجع السابق / ٦٩ .

عن يد وانتم صاغرون وأن ابيتم فليس بيننا وبينكم الا المحاكمة بالسيف لقد رحف المال تحت اقدام المسلمين ولما تنته المعركة الفاصلة بينهم وبين عدوهم ولم يعلم لمن تكون الغلبة فى النهاية[1] •

أما كان الاجدر لو كان كما يقال ان يقبل مباشرة المال ومن غير تردد ويرجع من حيث اتى حفاظا على اراقة الدماء ولكنه لم يفعل •

٥) ليس من المعقول ان يخرج العرب المسلمون ، ويحاربون امبراطوريتين لهما السيادة على العالم وأكثر منهم عددا وعدة دورية فى القتال طمعا فى الحصول على الثروة والمال ، وهو يعد محفوف بهذه المخاطر كلها •

٦) ماالذى كان يمنعهم من ذلك قبل الاسلام ؟ الست الحاجة الى المال قديمة فيهم ؟

ابعد أن تغيرت موازينهم عقائديا واخلاقيا وسلوكيا وغرست فيهم الدعوة الاسلامية الفهم الصحيح للحياة يصبحون رجال سلب ونهب واغتصاب للاموال والاوطان •

فثبت بهذا أن المسلمين انما كانوا يحاربون من اجل هدفين اساسيين •

١ــ الدفاع عن النفس •

٢ــ نشر الدعوة الاسلامية وازالة كل الصعاب والعقبات عن طريقها •

---

١) فتوح مصر واخبارها (ابن عبد الحكم) ٩٧/ ، ٩٨ •

الباب الأول

الفصل الخامس

فرية انتشار الاسلام بحد السيف والرد عليها
والعوامل الحقيقية في نشر الدعوة الاسلامية
في عصر الخليفتين عمر وعثمان رضي الله عنهما

ويشتمل على النقاط التالية :

١ ـ عمر وعثمان رضي الله عنهما كانا صورة متحركة للدعوة الاسلامية في موقفهما من أهل الأديان الأخرى .

٢ ـ رد هذه الفرية من أقوال العلماء الباحثين من المسلمين والمستشرقين .

٣ ـ العوامل الحقيقية في نشر الدعوة الاسلامية في البلاد المفتوحة .

فرية انتشار الاسلام بحد السيف وردها

لقد هال أعداء الدعوة الاسلامية على اختلاف ألوانهم وجنسياتهم من انتشار الاسلام بسرعة منقطعة النظير ، وأرجعوا السبب في ذلك الى الغزو الحربي واستعمال وسائل القهر والغلبة والقوة على اعناق الاسلام .

والغريب أن هذه الشبهة رغم توافر الأدلة القوية والصريحة من الكتاب والسنة على ردها ، مازال الحاقدون يرددونها من غير علم أو أثارة من علم يظنون بذلك أن ترويجالباطل يلبسه ثوب الحق والصواب (كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذبا) (١)

فالعقيدة لا تغرس بالقوة والاجبار لأنها انفعال النفس وميول القلب بفكرة وبمبدأ معين . وذلك لا يكون الا باقتناع ، والنفس تأبى أن تعتقد ما لا تميل اليه ولقد بين الله سبحانه ذلك حاكيا ما كان من نوح عليه السلام مع قومه ، قال عز وجل (أنلزمكموها و أنتم لها كارهون) (٢)

وأى محاولة من هذا القبيل لا يكتب لها النجاح بل هى مقاومة لسنة الوجود ومعاندة لرب العالمين : يقول الله سبحانه (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) (٣) ويقول سبحانه (ولو شاء ربك

---

(١) الكهف آية / ٥

(٢) هود آية / ٢٨

(٣) يونس آية : ٩٩ / ١٠٠

لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين) (١) ويقول سبحانه (انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) (٢) ويقول سبحانه (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) (٣)

ومن هنا بين الله سبحانه موقف الاسلام من الأديان المغايرة له وهو أن لا يكون موقف المتسلط والعدو والمتربص ، وانما موقف قائم على الاحترام وترك الغير وما اختاره لنفسه من عقيدة .

ويقول سبحانه (لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى) (٤)

وهذه الآية الشريفة تحمل المسلمين على عدم استعمال أسلوب القهر والعنف والأجبار ، على اعتناق الاسلام ، فأدلة صحته واضحة وبراهينه ساطعة وحججه قوية ، وغيره قد ظهر فساده وبطلانه ولكن فى الدنيا عقول مرنت على الفساد واختارته على غيره .

وقوله سبحانه (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (٥) وقوله تعالى (فذكر أنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) (٦)

---

(١) هود ١٠٨

(٢) القصص / ٥٦

(٣) يوسف ١٠٣

(٤) البقرة ٢٥٦

(٥) الكهف آية ٢٥٩

(٦) الغاشية آية ٢١

وقوله سبحانه (ان هو الا ذكر للعالمين ، لمن شاء منكم أن يستقيم)(١)
وقوله تعالى (لكم دينكم ولى دين) (٢)

ومن هنا رسم القرآن الكريم أسلوب الدعوة والمنهج الذى يجب أن يسير عليه الدعاة الى الله عز وجل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) (٣)

ومن غير شك أن أول من يسلك المنهج القرآنى فى الدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم :

لما أعطى النبى على الله وسلم الراية ، لعلى يوم خيبر قال يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ قال لا — أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم) (٤) .

وحينما ننظر الى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أوصى بها أمراء الجيش الذى أرسلهم الى خارج بلاد الحجاز لغزو الاراضى الجنوبية لبلاد الشام حيث كان يقيم الغساسنة وكان هذا سنة ٨ هـ نرى فى هذه الوصية

---

(١) التكوير آية ٢٧ / ٢٨
(٢) الكافرون آية ٦
(٣) النحل آية ١٢٥
(٤) الدين العالمى ومنهج الدعوة اليه نقلا عن الامام مسلم / ٨٩ للشيخ عطية صقر

أنها تتضمن الدعوة الى التوحيد بطريق الاختيار دون القهر والغلبة

وقد جاء في هذه الوصية (أوصيكم بتقوى الله ومن معكم من المسلمين خيرا ، أغزوا باسم الله في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لاتغدروا ولا تتكلوا ولا تقتلوا وليدا واذا لقيت عدوك من المشركين فادعوهم الى احدى ثلاث فأيتهن ما أجابوك اليها فاقبل منهم واكفف عنهم ، ادعهم الى الدخول في الاسلام ، فأن فعلوا فاقبل منهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين ، فأن فعلوا فاخبرهم أن لهم ماللمهاجرين وعليهم ما عليهم ، وأن دخلوا في الاسلام واختاروا دارهم فاخبرهم أن يكونوا كالاعراب المسلمين ، يجرى عليهم حكم الله ولا يكون لهم في الفيء ولا في الغنيمة شيء الا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فأن أبوا فادعهم الى اعطاء الجزية ، فأن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم ، فأن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم[1] .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا مع جماعة من المسلمين لفتح بلاد اليمن قال لهم : لا تقتلوهم حتى تدعوهم ، فأن أبوا فلا تقاتلوهم حتى يبدأوكم فأن بدأوكم فلا تقتلوهم ، حتى يقتلوا منكم قتيلا ثم أروهم ذلك ، وقولوا اللهم هل الى خير من هذا السبيل ؟؟؟؟؟ فلأن يهدى الله على يديك رجلا واحد خير مما طلعت عليه الشمس وغربت[2]

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٢ / ٤٣٧ / ٤٣٨

(٢) الدعوة الى الاسلام للشيخ محمد أبو زهرة / ٧١

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : لا يقاتلهم اذا امتنعوا عن الاسـلام ، والعهد بل يتركهم ، ويقيم القائد الصلاة مع جيشه ويبيتهم ليفكروا فأن لم يفعلوا وتعدوا وقاتلوا وقتلوا منـا قاتلنـاهم .

السرخسى

وهذا ما جاء فى مبسوط الرخسى (أنه يجب على القائد اذا أبوا الاسـلام ، أو العهد أو القتـال ألا يحارب فور ذلك بل يذهب الى الصلاة مـع جيشه حتى اذا أتم الصلاة عاد فجدد الدعوة ، وقال أنه يحسن ألا يقاتلهم فور الدعوة والسكوت ، بل يبيتهم يتفكرون ويتدبرون ما فيه مصلحتهم[1] .

فقد تبين من هذه النصوص النبوية الكريمة أن المسلمين كانـوا يخيرون أعداءهم بين أن يقبلوا التوحيد ، فأن فعلوا فلهم كل ما للمسلمين وأن أبـوا فاعطاء الجزية عن صغار والا فمعنى ذلك أن دوافع الحرب مازالت قائمة ولا يجـدى الا تحكيم السيف فبطل بهذا أن الاسلام كان يفرض نفسه بقوة السيف : ومما يـرد هذه الفرية أيضا فقد بدأ الرسول صلوات الله عليه دعوته وحيدا فريدا فى مكـة لاحول له ولا طول الا ما أمده الله به .

وأخذت الدعوة تسلل وتجذب أوفر الناس عقلا وأعظمهم ثروة وأشدهم قـوة من أمثال أبى بكر الصديق وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وحمزة وعمـر رضى الله عنه فهل يستطيع قائل أن يقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم أجـبر هؤلاء على اعتناق الاسلام ؟ وحينما صدع الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعـوة حينما جاء اليه الامر الآلهى والتكليف الربانى فى قوله سبحانه (فاصدع بما تؤمـر

---

(١) الدعوة الى الاسلام للشيخ محمد أبو زهرة / ٧١ / ٧٢

واعرض عن المشركين) [1] وأصبحت فى دور جديد من أدوارها : استد الغيظ والتهبت نار العداء فى القلوب ، فأخذوا ينفثون عما فى قلوبهم ليطفئوا شعلة الحقد فى قلوبهم .

ظهر هذا فى سلوكهم وأقوالهم ازاء صاحب الدعوة ومن التفوا حوله من المؤمنين استعمل معهم الأساليب الكثيرة من اضطهاد وتعذيب ، وسخرية واستهزاء وكان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يرد هذا الظلم وهذا العدوان عن نفسه ، وبالتالى لم يستطيع أن يرد عن أصحابه وكان لا يملك لهم الا أن يطالبهم بالصبر ازاء هذه المحنة ويلقى البشارات التى تزيد هم استعدادا للالام والصعاب .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم : أن أشد مالقى الرسول صلى الله عليه وسلم من قريش ، أنه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس الا كذبه وآذاه ، لا حر ولا عبد ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله فتدثر من شدة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه : (يا أيها المدثر قم فأنذر) [2]

فأما [illegible] أصحابه فتروى السيرة : أن بنى مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه كانوا أهل بيت اسلام : اذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ، صبرا آل ياسر فموعدكم الجنة ، فأما أمه فقتلوها وهى تأبى الا الاسلام [3]

---

(١) الحجر آية ٩٤

(٢) المدثر ١ ، ٢

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ / ٢١٠ تحقيق الشيخ محيى الدين عبد الحميد .

هذا بعض ما لقى الرسول صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه . وليت الأمر كذلك فحسب وأنما اشتدوا فى ضراوتهم وعدائهم : ولما كان الأمر هكذا أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوسع أصحابه مما هم فيه فأمرهم بترك الوطن مع ما فيه من الأيلام للنفس واختار لهم الحبشة لعدالة ملكها .

فهذه كانت حالهم فى مكة ، لم يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم وعن كيانهم فى هذا الجو أسلم عدد من أهل المدينة حينما عرض عليهم النبى صلى الله عليه وسلم الدعوة ورغبهم فيها ..

وأتساءل من الذى أرغم أهل المدينة أن يعتنقوا الاسلام ؟؟؟ كما ورد فى كتب السير .

قال بن اسحاق : فلما أراد الله عز وجل اظهار دينه وأعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم ، خرج فى الموسم الذى لقيه الانصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم ، فبينما هو عند العقبة ، لقى رهطا من الخروج أراد الله بهم خيرا .

فأجابوه فيما دعاهم اليه : بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام ثم وما الذى أرغم قوم هؤلاء على الاسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

أيستطيع الرهط وهو مادون العشرة من الرجال أن يجبر هذا العدد الكثير على اعتناق الاسلام ؟[1]

---

(١) سيرة أبن هشام جـ٢ / ٢٩٢ .

يقول الامام محمد عبده « كانت الملوك من غير المسلمين اذا فتحوا مملكة اتبعوا جيشها الظافر بجيش من الدعاة الى دينها ، يلحون على الناس في بيوتهم ويغشون مجالسهم ليحملوهم على دين الظافر ، وبرهانهم الغلبة ، وحجتهم القوة ، ولم يقع ذلك لفاتح من المسلمين ، ولم يعهد في تاريخ الاسلام أن كان له دعاة معروفون لهم وظيفة ممتازة ، يأخذون على أنفسهم العمل في نشرة ، ويقفون مسعاهم على بث عقائده بين غير المسلمين ، بل كان المسلمون يكتفون بمخالطة من عداهم ومحاسنتهم في المعاملة ، وشهد العالم بأسره أن الاسلام كان يعد مجاملة المغلوبين فضلا وأحسانا عندما كان يعدها الأوربيون ضعفا وضعفا [1] ويقول رحمة الله

لو كان السيف ينشر دينا فقد عمل في الرقاب للاكراه على الدين والالزام به ، مهددا كل أمة لم تقبله بالابادة والمحو من سطح البسيطة ، مع كثرة الجيوش ووفرة العدد ، وبلوغ القوة أسمى درجة كانت تمكن لها ، وابتدأ ذلك العمل قبل ظهور الاسلام بثلاثة قرون كاملة ، واستمر في شدته بعد مجيء الاسلام سبعة أجيال أو يزيد ، فتلك عشرة قرون كاملة لم يبلغ فيها السيف من كسب عقائد البشر مبلغ الاسلام في أقل من قرن ، هذا ولم يكن السيف وحده بل كان الحسام لا يتقدم خطوة الا والدعاة من خلفه يقولون ما يشاؤون تحت حمايته ، مع غيره تفيض من الأفئدة ، وفصاحة تتدفق عن الالسنة وأموال تخلب ألباب المستضعفين ، أن في ذلك لآيات للمستيقنين [2]

---

(١) رسالة التوحيد (الامام الشيخ محمد عبده) /١٦٢

(٢) المرجع السابق /١٦٨

من يتتبع غزوات الرسول جميعها يجدها ترجع الى أسباب سابقة كانت في واقع الامر عدوانا في جانب اعدائهم .

وأما بعد عصر الرسول فقد كانت الفتوح لتأمين الدعوة الاسلامية وفتح المجال أمام الضعفاء لاعتناق هذا النبي .

واذا كان الاسلام انتشر بالقوة : فكيف انتشر في البلاد التي لم يقع فيها حرب بل وفيها الآن أكثر مسلمي العالم .

يقول الاستاذ العقاد « ولو نظرنا الى خريطة العالم الاسلامي اليوم لرأينا أن البلاد التي قلت فيها حروب الاسلام هي التي يقيم فيها أكثر مسلمي العالم ، وهي بلاد أندونيسيا والهند والصين وسواحل القارة الأفريقية وسهول الصحراء الواسعة ، فأن عدد المسلمين فيها يقرب من ثلاثمائة مليون ولم يقع فيها من الحروب بين المسلمين وأبناء تلك البلاد التي كانت مسرح الفتح الاسلامي ، وهي العراق والشام لا يزيد عدد المسلمين فيها على عشرة ملايين يعيش بينهم من اختاروا البقاء على دينهم من المسيحيين واليهود والوثنيين وغيرهم[1] .

أن أهم فترة انتشر فيها الاسلام هي فترة السلم الذي تلى صلح الحديبية بين قريش والمسلمين ، وكانت فترة السلم سنتين ، وأن من دخل الاسلام في خلال هاتين السنتين أكثر ممن دخلوه في المدة التي تقرب من عشرين عاما منذ بدء الاسلام حتى ذلك الصلح ، وهذا يدل على أن انتشار الاسلام اتبع السلم ولم يتبع الحرب

---

(١) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه (عباس العقاد) ٢٣٢/

وبعض المستشرقين لايسعهم أمام حقائق التاريخ وبراهينه ، أن ينكروا هذه الفرية المكذوبة على المسلمين [١] .

ويقول أرنولد من المستشرقين المعتدلين :

أن القوة لم تكن عاملا حاسما فى تحويل الناس الى الاسلام وأخذ يدلل على ذلك بالتعاون الذى كان قائما بين المسلمين والمسيحيين ، فالرسول صلى الله عليه وسلم عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية ، وأخذ على عاتقه حمايتهم ، ومنحهم الحرية فى اقامة شعائرهم الدينية ، كما اتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القديم فى أمن وطمأنينة .

كما أن المسيحية تآزرت مع المسلمين فى موقعة من أعنف المواقع الحربية فى تاريخ الفتح الاسلامى وهى موقعة الجسر وقد حصر المسلمون فيها بين الفرات والجيش الفارسى .

ويمضى فى نفى الشبهة — فيقول : وقد حرم الخليفة عمر استخدام أية وسيلة من وسائل الضغط عليهم عندما أظهروا أنهم لا يرغبون فى ترك دينهم القديم ، وأمر بترك الحرية لهم فى اقامة شعائرهم الدينية [٢]

واذا كانت القوة هى السبب فى انتشار الاسلام أيام قوة المسلمين ؟؟؟؟ وفى عصر الخلفاء الراشدين بالذات ؟؟؟؟

---

(١) مقارنة الاديان (الاسلام) دكتور أحمد شلبى / ٨٨

(٢) الدعوة الى الاسلام (سيرتوماس و. أرنولد) ٦٥/٦٦/٦٧

فهل يمكن أن نقول أن الاسلام انتشر بين الصليبيين بالقوة ؟؟ مع أن الصليبيين أتوا الى الشرق أبان ضعف الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية لمحو الاسلام والقضاء عليه .

يقول أرنولد : لقد اجتذبت الدعوة المحمدية الى أحضانها من الصليبيين عددا مذكورا حتى فى العهد الاول .. أى فى القرن الثانى عشر ولم يقتصر على ذلك على عامة النصارى ، بل أن بعض أمرائهم وقادتهم انضموا أيضا الى المسلمين فى ساعات انتصارات المسيحيين .

ويروى عن مؤرخى النصارى قوله (أن ستة من أمراء مملكة القدس استولى عليهم الشيطان ليلة معركة حطين ، فأسلموا وانضموا الى صفوف الاعداء دون أن يقهروا من أحد على ذلك ، ويعلل انتشار الاسلام بين الصليبيين بقوله :

ويظهر أن أخلاق صلاح الدين وحياته التى انطوت على البطولة قد أحدثت فى أذهان المسيحيين فى عصره تأثيرا سحريا خاصا ، حتى أن نفرا من الفرسان المسيحيين قد بلغ من قوة انجذابهم اليه أن هجروا ديانتهم المسيحية وهجروا قومهم وانضموا الى المسلمين ، وكذلك الحال عندما طرح النصرانية مثلا فارس انجليزى من فرسان المعبد يدعى دوسرت أوف سانت ألبانس سنة ١١٨٥م ، واعتنق الاسلام ثم تزوج من احدى حفيدات صلاح الدين (١)

(١) الدعوة الى الاسلام (سير توماس أرنولد) / ١٠٧

وعلى يمكن كذلك أن يقال أن الاسلام انتشر بين المغول بالقوة ؟؟؟؟

مع أن المغول هجموا على العالم الاسلامى هجوما وحشيا قاسيا مدمرا ، سفكوا فيه الدماء فسالت أنهارا وحطموا الحضارة الاسلامية وهدموا القصور والمساجد ، وأحرقوا الكتب ، وقتلوا العلماء ، وامتدت أيديهم الى الخليفة فقتلوه ، وقتلوا معه أهله وأزالوا الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ م ، وأصبحت للمغول اليد العليا وهوت أمامهم كل قوى المسلمين فى عاصمة الخلافة وما حولها ولكن سرعان ما جذب الاسلام اليه الفاتحين الغزاة ، وسرعان ما دخله المغول الذين هاجموه وعملوا على تقويضه (١) .

ويقول فى ذلك أرنولد : لا يعرف الاسلام من بين ما نزل به من خطوب دويلات خطبا أعنف قوة من غزوات المغول ، فلقد انسابت جيوش جنكيز خان ، واكتسحت فى طريقها العواصم الاسلامية وقضت على ما كان بها من مدينة وحضارة على أن الاسلام لم يلبث أن نهض من رقدته وظهر من بين الاطلال ، واستطاع بواسطة دعاته من أن يجتذب أولئك الفاتحين البرابرة ويحملهم على اعتناقه (٢) .

وينقل الدكتور أحمد شلبى عن الكاتب المسيحى الفرنسى هوبيرد يشان حاكم المستعمرات الفرنسية بأفريقية حتى عام ١٩٥٠ م — قوله :

((أن انتشار الدعوة الاسلامية فى أغلب الظروف لم تقم على القسر وانما قامت على

---

(١) مقارنة الاديان (الاسلام) (دكتور أحمد شلبى) /١٨٦/ ١٨٩

(٢) الدعوة الى الاسلام (سير توماس ٠ و ٠ أرنولد) /١٤٨/ ١٥٠

الاقناع الذى كان يقوم به دعاة متفرقون لا يملكون حولا ولا طولا الا أيمانهم العميق بربهم . وكثيرا ما انتشر الاسلام بالتسرب السلمى البطىء من قوم الى قوم ، فكان اذا اعتنقته الاستقراطية وهى هدف الدعاة الاول تبعتها بقية القبيلة [1]

وينقل الاستاذ أنور الجندى عن ويفالتس لنجرميش من الغرب عن مجلة المختار فبراير ١٩٥٦ م قوله الذى بناه على ماورد فى القرآن الكريم نفيا لهذه الشبهة وموقف الاسلام من الاديان الاخرى وأنهم اضطروا الى الحرب دفاعا عن أنفسهم .

لم يحدث فى التاريخ أن انتشر دين بهذه السرعة واعتقد الغرب أن توسع الاسلام ما كان يمكن أن يتم لو لم يمد المسلمون الى حد السيف ولكن الباحثين لم يقبلوا هذا الرأى . فالقرآن صريح فى تأييده لحرية العقيدة والدليل قوى على أن الاسلام رحب بشعوب مختلفة الأديان ، مادام أهلها يحسنون ويدفعون الجزية .

ولا شك أن حروبا قد نشبت بين المسلمين وغيرهم من النصارى واليهود وفى بعض الأحيان كان سبب ذلك أن أهل الديانات الأخرى أصروا على القتال وفى القرآن آيات تصور العنف الذى استخدم فى هذه الحروب ، ولكن الرهبان أقروا بأن أهل الكتاب كانوا يعاملوم معاملة طيبة ، وكانوا أحرارا فى عباداتهم [2]

---

(١) الاسلام (دكتور أحمد شلبى) / ١٩٠ نقلا عن الديانات فى افريقية السودا .

(٢) الاسلام فى غزوة جديدة للفكر الانسانى (أنور الجندى) الكتاب التاسع عشر / ٩٠

والدعوة الاسلامية ثورة على جميع العقائد الفاسدة والاوضاع الكاذبة وعلى الباطل فى جميع صوره وأشكاله ومناهجة ولابد لها من قوة تحميها وتقف بجانبها توازرها وإلا نعقست على قفاها ، وهذه القوة رسم لها القرآن الكريم والسنة النبوية المنهج الذى تسير الذى عليه ، وذلك بأن تشتبك مع الباطل بكل ما أوتيت من قوة اذا اعتدى عليها أو تحرش للاعتداء عليها .

وفى هذا يقول رب العزة : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله)(١)

قال ابن كثير فى تفسيرها :

فلما بغى المشركون وأخرجوا النبى صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم وهموا بقتله وشردوا أصحابه فذهب منهم طائفة الى الحبشة وآخرون الى المدينة فلما استقروا بالمدينة ووافاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واجتمعوا عليه وقاموا بنصره وصارت لهم دار اسلام ومعقلا يلجأون اليه ، شرع الله جهاد الأعداء فكانت هذه الآية أول ما نزل فى ذلك(٢)

وأخذت الآيات الكريمة تنزل فى هذا المعنى :

يقول سبحانه (فأن قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين)(٣)

---

(١) سورة الحج / ٣٩
(٢) تفسير ابن كثير جـ٣ / ٢٢٥
(٣) البقرة / ١٩١

ويقول سبحانه (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا أن الله لا يحب المعتدين)[1]

وقوله تعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة)[1]

وهذا تطبيق للمبدأ العام فى الانتصاف فى قوله عز وجل (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)[3] ، وقوله سبحانه (وجزاء سيئة سيئة مثلها)[4] .

فالمسلمون بهذا يحمون أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم ، ويستطيعون أن يعبدوا الله عبادة مطهرة لنفوسهم ، نافعة للفرد والجماعة فى الدنيا والآخرة .

والحرب ضرورة تقدر بقدرها ، ولذا نفرت الدعوة الاسلامية من الاعتداء والظلم .

وقال الله تعالى (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين)[5] ، وقال سبحانه (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون

---

(١) البقرة / ١٩٠
(٢) التوبة ٣٦
(٣) البقرة ١٩٤
(٤) الشورى ٤٠
(٥) سورة البقرة ١٩٠

فى الأرض بغير الحق ، وأولئك لهم عذاب اليم) (١) .

وأسلوب المعاملة بالمثل ورد الاعتداء لم ينشأ فى مكة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا قلة ، أمام الكثرة الوفيرة الضاربة أطنابها فى الوثنية ، فكانوا يتحملون صنوف العذاب وألوان الاضطهاد محتسبين الأجر والثواب عند الله فلما أسلم بعض أهل المدينة وذهبوا الى قومهم دعاة الى الله ورسوله وجاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة فمرة فى مكة وعقدوا معه البيعة المشهورة ببيعة العقبة الأولى والثانية ، وهاجر اليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم هاجر النبى صلى الله عليه وسلم هو وصحبه وتركا مكة فى حالة حرب مع الدعوة الاسلامية .

وبعد ما وصل الى المدينة أسس ووضع قواعد الدولة الجديدة على أسس ثلاثة ، وذلك بأقامة المسجد والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بعد ازالة ماكان سائدا بين الأوس والخزرج من روح الفرقة والعصبية .

وأقام المعاهدات بينه وبين اليهود ، وأصبح الرسول صلى الله عليه وسلم بالطبع هو رئيس الدولة الجديدة أن صح هذا التعبير ، وكثر المسلمون من أهل المدينة حول النبى صلى الله عليه وسلم ، وظهر عامل النفاق على مسرح الحياة فى المدينة لم يستطع أصحابه أن يواجهوا تيار الدعوة الزاحف ، فاظهروا انخراطهم فى سلك الدعوة ، وهم بعد ذلك يريدون أن ينفثوا عن حقدهم الدفين بسلسلة ملتوية ، ويشيعوا أفكارهم الخبيثة وهذا يخالف تماما ما كان عليه الحال فى مكة حيث أن المسلم فى الظاهر هو مسلم الباطن كما أن الحاقد كان ينفث عن حقده من غير داع الى اسلام مزيف .

---

(١) الشورى ٤١/٤٢

هذا ما كان عليه الحال فى مكة والمدينة .ولكن كان هنالك قوم محايدين لم يحاربوا مع المحاربين ولم يعاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمعلم الحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنص القرآن الكريم (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)[١] .

عامل هذا الفرق بما يراه الأصلح لهم :

فأصحاب العهود وفى لهم بمقتضى الاتفاق القائم بينهم ، ولكنهم كانوا أخس مما يتصور ، فكثرت خياناتهم ، وتكرر غدرهم ومؤامراتهم .

وأما المنافقون فقد عاملهم بظاهر أحوالهم ومقتضى القاعدة التى تقول (لنا الظاهر والله يتولى السرائر) .

حتى أصبح نفاقهم مكشوفا ملأ فجاج المدينة ، فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم بهذا الأسلوب على طول الخط .

ولكن الله عز وجل نهاه عن ذلك وطالبه باستعمال أسلوب آخر ولأجل هذا نهاه عن الصلاة عليهم فى قوله عز وجل (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره)[٢] .

وأما الذين التزموا بموقف الحياد فقد عاملهم بمقتضى قوله عز وجل (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم)[٣]

---

(١) آل عمران ١٦٤
(٢) التوبة ٨٤
(٣) التوبة ٧

وأما المحاربون وهم مشركو مكة ، ومن على غرارهم ، فقد وقف منهم موقف المدافع عن نفسه ومن كيانه وعن دعوته .

ومن درس غزواته صلى الله عليه وسلم وسراياه ، يجدها أما حربا لعدو لم يترك نوعا من أنواع الأذى الا فعله ، أو دفاع عدو مهاجم كغزوة أحد وغزوة حنين أو مبادرة لعدو تحفز للشر كغزوة بني قريظة وغزوة المريسيع ، وغزوة دومة الجندل وغزوة ذات السلاسل أو كسر الشوكة عدو نقض العهد وعرف بمحاربة الدعوة واتخذ كل وسيلة للأنتقام من القائمين بها والقضاء عليها كفتح مكة (١) .

فظهر بهذا أن الحرب لرد العدوان وتأمين طريق الدعوة وأزالة العقبات والصعاب من طريقها لتصل الى العقول والقلوب على وجهها الصحيح من غير تحريف ولا تبديل ، كما سبق أن بيناه من موقف امبراطوريتي فارس والروم ما كان ولا بد من غزو هاتين الأمبراطوريتين والسيطرة عليهما .

أما الآيات الشريفة التي طالبت بالقتال وليس فيها مايدل على رد العدوان فتحمل على أنها لتأمين الطريق أمام الدعوة ، وتظل حالة الحرب معلنة حتى يعلنوا خضوعهم واستسلامهم ، وذلك لايكون الا بأعطاء الجزية قال الله عز وجل (قاتلوا الذين لأيؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (٢) .

---

(١) العلاقة بين الدولة والدعوة (د . عبد الغفار عزيز) ٣٢٨/ نقلا عن الدعوة الاسلامية ووسائلها من القرآن الكريم (د . أحمد غلوش) .
(٢) التوبة ٢٩ .

وأما غير أهل الكتاب فتظـل الحرب قائمة بينهم وبين المسلمين حتى يأخـذوا على أنفسهم عهدا الا يكونوا أداة عرقلة وفتنة فـي وجه الدعوة ويفسحوا المجـال لها ، وهي كفيلة بسمو مبادئها أن تغزوا العقول والقلوب .

يقول رب العزة (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله) (١) .

وبعد هذا الوضوح من الكتاب والسنة يجـئ من يقول :

ان السيف من طرق الدعوة الـى الاسلام ، وأنه لابد لغير المسلمين أن يدينوا بالاسلام طوعـا بالحكمة والموعظة الحسنة أوكرها بالجهاد والغزو .

واستندوا في ذلك الى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفـه ووجهوا المعـنى بما يتعارض مع النصوص التي بينـت القواعد التي يسير عليها المسلمون مع المخالفين من أهل الكتاب أو من غيرهم في السلم والحرب :

وقد ذكر أدلتهم الشيخ عبد الله غوشـه في بحثه المقدم الى مؤتمر علمـاء المسلمين الرابع وقد حددها في أربعة أدلـة :

١ ـ أن آيات القتال جاءت مطلقة ولم تقيـد بدفع عدوان مثل قوله تعـالى : ويأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكـم من الكفـار) (٢) .

---

(١) البقـرة آيـة ١٩٣ .

(٢) التوبـة آية ١٢٣ .

ومثل قوله تعالى :

(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) [1] .

٢ ـ نهى الله سبحانه وتعالى فى كثير من آيات القرآن عن اتخاذ الكافرين أولياء والالقاء اليهم بالمودّة مثل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودّة) [2] .

وقوله سبحانه وتعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) [3]

٣ ـ وحديث النبى صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله) .

٤ ـ يرون أن من يدعون الى الاسلام على وجهه الصحيح لا عذر لهم فى البقاء على غيره واذا لم يجيبوا بالحكمة والموعظة الحسنة فلا مندوحة من أن يساقوا الى خيرهم) [4] .

ولا بأس من مناقشة هذه الأدلة حيث أنها بحسن نية طعن فى وسائل انتشار الدعوة ونستدل على ردّ هذا المفهوم بما جاء فى القرآن والسنة وعمل الخلفاء الراشدين .

---

(١) التوبة آية ٣٦
(٢) الممتحنة آية ١
(٣) آل عمران آية ٢٨
(٤) الجهاد طريق النصر (عبد الله غوشة) ص ١٨٨/ ١٩٠ فى بحث مقدم الى مؤتمر المسلمين الرابع .

فدليلهم الأول ليس حجة لهم فيما ذهبوا اليه من فهم ، وذلك لأن هذه الآيات حقيقة أنها جاءت مطلقة ولم تقيد بدفع عدوان ، ولكن يجب أن لا تؤخذ آية من موضوع معين كآية من آيات القتال ويتحدث عنها بالبيان منفصلة عن أخواتها لأن القرآن يفسر بعضه بعضا ، والا توجه المعنى الى غير مايقصد القرآن الكريم ، فهناك من الآيات الشريفة مايفيد القتال برد العدوان كقوله عز وجل : (فان قاتلوكم فاقتلوهم) (١) وقوله عز وجل (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ـ أن الله لا يحب المعتدين) (٢) .

والمفهوم لدى علماء المسلمين أن المطلق يحمل على المقيد .

والمفهوم من هذه الآية أنها تتحدث عما يجب أن يوضع فى الاعتبار عند وضع الخطة الحربية ، وذلك بأن يقاتلوا الأقرب فالأقرب حتى لا يقعوا بين فكى الكفر ويقفوا فى وسطهم ، هذه ناحية أخرى .

وأما الدليل الثانى فمفهومهم منه غير صحيح لأنه يعنى أن حالة الحرب تظل قائمة حتى يقهروا على الاسلام مع أن القرآن الكريم يأمر بالكف عن القتال وأنهاء حالة الحرب مادام العدو جنح للسلام ، ولو كانت نيته غير نظيفة يقول الله عز وجل (وأن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، أن الله هو السميع العليم وأن يريدوا أن يخدعوك فأن حسبك الله) (٣) .

---

(١) البقرة آية ١١٩
(٢) البقرة آية ١٩
(٣) الانفال آية ٣١

ولأن الأصل فى نظر الاسلام السلام والحرب شيء طارىء يعارضه وهو فوق ذلك مكروه لدى المسلمين ، يقول الله عز وجل (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) (١) .

ثم أن هذه الآيات الشريفة التى استدلوا بها ومنها قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ، تلقون اليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وأياكم) (٢) .

وقد أتى بعدها فى نفس السورة الكريمة قول الله عز وجل (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم أن الله يحب المقسطين) (٣) .

ثم قوله مباشرة بعد هذا (أنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخرجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) (٤) .

ومما يدل على أن النهى عن المحالفة والمودة والبر منصب على حالة الحرب ومما يؤيد ماذهبنا اليه من فهم سبب نزول هذه الآية التى استدلوا بها على دعواهم عن على — قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير

---

(١) البقرة ٢١٦
(٢) الممتحنة ١
(٣) الممتحنة آية ٨
(٤) الممتحنة آية ٩

والمقداد ، قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فأن فيها ظعينة معها كتاب، فقلنا لها لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب ، فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فأذا فيه من حاطب ابن ابى بلتعة الى ناس من المشركين ممن بمكة يخبر ببعض أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بأحضاره ليمثل أمام القضاء وتبين أن الرجل أخطأ بحسن نية ، وعفا الرسول صلى الله عليه وسلم عنه لما كان لماضيه الكريم فى خدمة الدعوة الاسلامية لدفاعه عنها فى ميدان الجهاد [1] فتبين أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى حالة حرب مع قريش حيث نقضوا شروط صلح الحديبية ليرد الاعتداء عن المتحالفين معه [2] ، كما ظهر من هذا ايضا وجه الترابط بين نشر الدعوة وبين السيف .

ومما ينفى هذا الرأى الذى ذهبوا اليه :

أن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما فتح مكة ، وخضعت له لم يقل لأهلها لابد من الأسلام والا فالسيف .

ولكن أعلن العفو الشامل عنهم بقوله صلوات الله عليه (اذهبوا فأنتم الطلقاء) [3] حتى عن جرائمهم الماضية ونقضهم للعهود والمواثيق المتفق

---

(١) اسباب النزول (النيسابورى) / ٢٤٠ الوريث ، بطولة فى البخارى ومسلم .
(٢) سيرة ابن هشام جـ ٤/ ٨٥٤
(٣) سيرة ابن هشام جـ ٤/ ٨٧٠ .

عليها من الطرفين : وأما حديث (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله)[1] فأن المسلمين متفقون جميعا على أن المراد بالناس فى هذا الحديث مشركوا العرب الذين غدروا بعهودهم وأهدرت دماؤهم لأن غيرهم من أهل الكتاب لا يقاتل الا اذا امتنع عن الاسلام أو عن دفع الجزية ، فالحديث اذن فى طائفة خاصة لدفع العدوان ، فلو كان لنشر الدعوة لكانوا هم وغيرهم سواء[2] .

والله عز وجل يحث المسلمين على قتال مثل هؤلاء ، فيقول سبحانه (الا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بأخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه أن كنتم مؤمنين)[3] .

وأما الدليل الرابع : فلا ينهض حجة لهم :

وحيث انه يتعارض مع ارادة الله فى خلقه يقول الله سبحانه (ولو شاء الله لهدى جميعا ولا يزالون مختلفين)[4] .

ويقول سبحانه للنبى صلى الله عليه وسلم (انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء)[5] وهذا الى جانب أنه قتل للحرية التى مجدها الاسلام ، والله عز وجل يقول (لكم دينكم ولى دين)[6] .

---

(1) الحديث بطوله فى صحيح مسلم بشرح النووى ١٧٤/١
(2) العلاقة بين الدعوة والدولة (د عبد الغفار عزيز) ٣٤٣/
(3) التوبة آية ١٣
(4) هود آية ١١٨
(5) القصص آية ٥٦
(6) الكافرون آية ٦

أسباب انتشار الاســلام

أن انتشار الاسلام بين الناس لم يأت نتيجة للسيف ، وقد أوضحنا ذلك وانما يرجع الى ذاتية الدعوة من مبادئ وأخلاق ومعاملات مما تضمنته الدعوة نفسها ، وساعدها على الذيوع والانتشار الصورة العملية والتطبيقية للدعوة بين معتنقيها وخصوصا فى الصدر الأول فى الاسلام وأعنى به فى عصر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم .

فالاسلام هو دين الفطرة التى فطر الناس عليها ، وهو قد شمل علاقة الانسان بالكون كله وبالفطرة على اطلاقها .

الا أنه كدين يتعلق أول مايتعلق بفطرة الانسان نفسه وبالسنن التى فطر الله الانسان عليها والتى لا راحة ولا سعادة للأنسان الا فى تحقيقها كاملة غير منقوصة .[1]

يقول رب العزة (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون)[2] .

وروى البخارى عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما من مولود يولد الا على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جدعاء)[3] .

---

(١) مجلة الازهر العدد الثانى سنة ١٣٧٧ هـ (دكتور محمد احمد الغمراوى)
(٢) الآم آيــة ج ٣٠
(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣/٤٣٢

ولما كان الاسلام هو دين الفطرة ، فقد راعى فى بناء التكاليف عليها بحيث لاتكون مصطدمة معها أو مهملة لمقتضياتها المادية والروحية .

لقد نظر الاسلام الى الانسان نظرة واقعية على أنه جسد وروح ، ولكل متعته وحظوظه ففى سبيل الحفاظ على الجسد لكى يبقى .

أحل له الطيبات ، يقول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم) (١) .

ويقول رب العالمين (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لايحب المسرفين) (٢) .

ويقول (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق) (٣) .

ويقول سبحانه (كلوا من طيبات مارزقناكم) (٤) .

(هو الذى يجعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) (٥)

(هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا) (٦)

وطلب من الانسان أن يسلك مسلكا معتدلا فى استعمال الطيبات ، لأن هذا يحقق ورضاه سبحانه «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا» (٧) .

---

(١) المائدة / ٨٧
(٢) سورة الاعراف / ٣١
(٣) الأعراف آية ٣٢
(٤) سورة البقرة / ٥٨
(٥) الملك / ١٥
(٦) البقرة ٢٩
(٧) الاعراف / ٣١

ولكى تبقى صحته موفورة ، حرم عليه كل مايضر بالجسد والعقل ، يقول سبحانه (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) ، وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة) [١] ، ويقول سبحانه (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) [٢] .

وما ماثلهما من مواد تؤثر على العقل والجسم .

واعتنى بالروح عنايته بالجسم .

فحث الأنسان على الايمان بالله وحده ، وفرض الوانا من العبادات التى تهذب الروح ووضع نظما أخلاقية نادرة تكسب النفس صفاء وتهب الروح سماحة ونبلا ، ومن هذا أنه أمر بالتعاون .

يقول سبحانه (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)[٣] .

وامتدح الايثار وجعله من صفات المؤمنين الخلص : فيقول سبحانه (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) [٤] ، وطلب المحافظة على رباط الأخوة والوحدة (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) [٥] ، وكله مما يوطد دعائم الأخوة من

(١) المائدة آية ٣
(٢) المائدة آية ٩٠
(٣) المائدة آية ٢
(٤) الحشر آية ٩
(٥) الحجرات آية ١٠

الاحترام المتبادل بين الأفراد والجماعات ذكورا وأناثا ، يقول سبحانه (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب) [١] .

ويقول سبحانه (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن أن بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا) [٢] .

ولكي يبقى للأسلوب توازنه وفق الاسلام بين المادة والروح دون أن يدع أحدا يتغلب على الآخر .

ولذا ـ اذا جنح الانسان الى جانب المادة فقط يجد النصوص تحسم عليه هذا المسلك ، يقول سبحانه (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب) [٣] ويقول سبحانه (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) [٤] .

كما نهى الاسلام عن الحياة الروحية البحتة ، وعلى سبيل المثال أن أناسا جاءوا الى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته فيما بينه وبين الله التي بسببها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلما أخبروا قال أحدهم ، أني لا آكل

---

(١) الحجرات /١١
(٢) الحجرات/١٢
(٣) الشورى آية ٢٠
(٤) هود ١٥ ، ١٦

اللحم أبدا وقال الآخر وأنا لا أتزوج النساء وقال ثالث ، وأنا لا أنام على فراش ، فبلغ أمرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فخرج غاضبا وقال (مابال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا وانى لأخشاكم الله وأتقاكم ولكنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى) .

وصح أنه قال لآخرين أرادوا رفض الدنيا والترهب (أنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسكم فشدد الله عليهم ، فأولئك بقاياهم فى الديار والصوامع، فاعبدوا الله ولا تشركوا به واستقيموا يستقم بكم) [١] .

هذا فى الوقت الذى كانت فيه المسيحية لاتعترف بمقتضيات الطبيعة البشرية ، فحاربت الغرائز الجنسية ، ودعت الى الأنعزال والرهبنة وحرمان الأنسان من متع طيبات الحياة .

هذه الوجهة ندد الاسلام بأصحابها لأنها سلوك طائش ، يقول الله سبحانه (ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) [٢] .

ويرى الاستاذ الأمام محمد عبده أن مسايرة الاسلام لمقتضى الطبيعة البشرية ، كان سببا من أسباب انتشار الدعوة : فيقول رحمه الله : رأوا الاسلام يرفع النفوس بشعور من اللاهوت ، يكاد يعلو بها عن العالم السفلى ويلحقها بالملكوت الأعلى ، ويدعوها الى احياء ذلك الشعور بخمس صلوات فى اليوم وهو مع ذلك لا يمنع من التمتع بالطيبات ، ولا يفرض من الرياضيات وضروب الزهادة مايشق على الفطرة .

(١) منهج القرآن فى بناء المجتمع (للشيخ محمود شلتوت) / ٣٧
(٢) الحديد ٢٧

تجشمه وبعد يرضا الله رضول ثوابه حتى فى توفية البدن حقه متى حسنت النيـــة وخلصت السريرة ، فاذا نزت شهوة أو غلب هوى كان الغفران الالهى ينتظره مـــتى حسنـــت التوبـة وكملت الأوبـة) (١) .

هذا الى أديان فارسية تحارب هى الأخرى الغرائز الجنسية وتعمل على فنـــاء الجنس البشرى ، كل هذا وذاك حرك دواعى النظر وحرك الشعوب فأخذت فى المقارنة فيما أتى به الاسلام وما هم عليه من خرافة لايقرها عقل وأخذ بنواصيهم فى انتشـــار الاسلام .

أن الدعوة الاسلامية دعوة عقليـة تخاطب العقل وتكرمه الى أبعد الحدود وتطالب الانسان أن يستعمل عقله فيما يعرض عليه من قضايا ولم تقل هذه الدعوة ألغى عقلـــك واتبعنى بل استعمل عقلك لتتبعنى .

ولا أدل على تكريم العقل أن معجزة الاسلام الكبرى وهى القرآن الكريم معجـــزة عقلية ، وقد وردت كلمة عقل ومشتقاتها فى حوالى ستين موضعا فى القرآن الكريم ، وهذه المعجزة لفتت العقل الى التأمل والنظر فلا تأخذ الأشياء قضيا مسلمة ، والا كان معنى ذلك اهمال لتلك الطاقة التى شرف الانسان بها بل الواجب الا يقبل الانسان القضايـا الا بعد أعمال الفكر والتأمل السليم .

وذلك فى نفسه أولا لأنها أقرب الأشياء اليه ، يقول رب العالمين (وفـــــى أنفسكم أفلا تبصرون) (٢) .

---

(١) رسالة التوحيد (الامام محمد عبده) ص ١٦٤/١٦٥
(٢) الذاريات / ٢١

وفى الكون بأسره سماؤه وكواكبه وأرضه ونباته وحيوانـه .

يقول رب العالمين أن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لا آيـات لأولى الألبـاب) (١) .

(قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) (٢) ويقول سبحانه (أو لم ينظروا فـى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيىء) (٣) .

فالدعوة اذن تحرر العقل من الجمود الفكرى والأغلال التى تقيد حريته وانطلاقه ليصل الى الحقيقـة .

ومن أجل هذا حذر من اتباع الظن ، لأنه لم يستند على برهان وحجة فيقـول رب العالمين (هل من عندكم من علم فتخرجوه لنا ، أن تتبعون الا الظن وأن انـتم الا تخرصون) (٤) ويقول (ومايتبع أكثرهم الا ظنا ، أن الظن لايغنى من الحق شيئا)(٥) (وما لهم به من علم أن يتبعون الا الظن وأن الظن لايغنى عن الحق شيئا) (٦) ، كما حذر من اتباع الهوى :

(يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهـوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسـوا يـوم الحساب) (٧) ، ويقول رب العالمين (ولا تتبع أهواءهم) (٨) .

---

(١) البقـرة / ١٦٤ (٢) يونـس ١٠١
(٣) الاعـراف / ١٨٥ (٤) الانعـام ١٤٨
(٥) يونـس / ٣٦ (٦) النجـم ٢٨
(٧) / ٢٦ (٨) المائـدة ٤٩

كما حذر ونهى عن التقليد جريا وراء السلف دون نظر واستدلال :

هؤلاء الذين يقدسون كل ماهو موروث ولو كان منافيا للعقل ومجافيا له : ووقفوا ازاء هذا كالحجارة ، أو أشد قسوة غلاظ الأكباد ، قد أهملوا آلات العلم من السمع والبصر والفؤاد :

يقول رب العالمين (وأذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) (١) .

واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والرسول ، قالوا حسبنا ماوجدنا عليه اباءنا (٢) .

والدعوة متفقة تماما مع الحقائق العقلية ، واذا حصل تناقض فلا يكون الا ظاهريا وذلك راجع الى قصور العقل وخروجه عن منهج التفكير والتأمل والنظر الصحيح :

ودعوة هذا شأنها لابد أن تحدث أثرا وهزة للعقول من سباتها العميق فهبت واستيقظت ونظرت الى ماعدها من الفساد ونفاسة الجديد ، فأقبلوا واعتنقوا الاسلام .

يضاف الى الأسباب الماضية :

سهولة هضم العقيدة الاسلامية وتصورها عقليا وذلك فى مثل قول الله عز وجل (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) (٣) .

---

(١) البقرة ١٧
(٢) المائدة ١٠٤
(٣) الاخلاص ١، ٢، ٣، ٤

مع كثرة الأدلة الناطقة والبراهين والحجج الوحدانية المطلقة فى الذات والصفات والأفعال مصداقا لقول رب العالمين : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (١) .

وفى نفس الوقت كان القرآن يتعرض بالبيان لعقائد أهل الكتاب اليهود والنصارى ويلقى الأضواء عليها ، فيبين الخلط والشرود عن العقيدة الصحيحة مع مناقشة شبهاتهم وتفنيدها تفنيدا كاملا وذلك بالدليل : فيقول رب العالمين (وقالت النصارى المسيح ابن الله) (٢) وقد جرت المسيحية فى هذا على منوال ماقالته اليهودية عن عزيز (وقالت اليهود عزيز ابن الله) (٣) ثم بين سبحانه بطلان هذا (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) (٤) .

وقال لهم ولغيرهم من أرباب التعدد (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) (٥) (ما اتخذ الله من ولد ، ولو كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض) (٦) (قل ليس لو كان معه آلهة كما يقولون اذن لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) (٧) .

والسير توماس من المستشرقين يرجع السبب فى انتشار الاسلام الى وجود الخلاف الذى كان قائما بين الأرثوذكسية وبين اليعاقبة حول المسيح هل له طبيعة واحدة

---

(١) الشورى ١١ (٢) التوبة ٣٠
(٣) التوبة ٣٠ (٤) المائدة ٥٧
(٥) الأنبياء ٢٢ (٦) المؤمنون ٩١
(٧) الاسراء ٤٢

أم طبيعتين ؟ (١) وترك الرجل الكلام بالطبع عن العامل الاصيل ، وذلك راجع بقـــدر الى أنه مسيحي ، ويحاول بقدر الامكان أن ينفي عنها الزيف والسفسطة التي حولتهـــا الى لغز يستحيل ويصعب حله ، والحقيقة أن العوامل التي ذكرها تعتبر عوامل ثانويـــة في انتشار الدعوة في العالم المسيحي .

وأما العامل الأصيل في انتشار الدعوة يرجع الى تعقيد العقيدة المسيحيـــة وعدم استساغة العقل لها وتصوره اياها ، مع وجود عقيدة تتفق مع العقل ومن السهـــل تصورها وادراكها ، مما كان له أثره في انتشار الدعوة :

ويقول جوستاف لوبـــون :

أن الاسلام يخلو مما نراه في الأديان الأخرى مما يأباه الذوق السليم مـــن المتناقضات والغوامض ، وكل مسلم يستطيع أن يعرف أصول الاسلام في بضع كلمات سهلـة على عكس المسيحي الذي لا يستطيع أن يتحدث عن التثليث وغيره من الغوامض التي لا يعرفها غير علماء اللاهوت (٢) .

ويقول الامام الاستاذ محمد عبده في هذا الصدد :

أوقع ذلك في قلوب مقلديهم ماحركهم الى النظر فيه ، فوجدوا لطفا ورحمـــة ، وخيرا ونعمـة ، لاعقيدة ينفر منها العقل ، وهو رائد الايمان الصادق ، ولا عمـــل تضعف عن احتماله الطبيعة البشرية ، وهي القاضيـة في قبول المصالح والمرافـــق (٣)

وليس أدل على هذا ما نقله المحقق الشيخ أبو زهـرة نقلا عن كتب المسيحيين أنفسهـم وسننقله من غير تزيد على القـــوم .

---

(١) الدعوة الى الاسلام (سيرتوماس . و . أرنولد) /٧٣

(٢) نبذة مـــن السيرة النبوية (أبو النصر مبشر الطرازي الحسيني) /٢٢٢

(٣) رسالة التوحيـــد (الأمام محمد عبده) /١٦٤

جاء في كتاب سوسنة سليمان ، لنوفل بن نعمة الله بن جرجس النصراني أن عقيدة النصارى التي لا تختلف لها الكنائس وهي أصل الدستور الذى بينه المجتمع النيقاوي هي الايمان بأله واحد أب واحد ، ضابط الكل ، خالق السماء والارض ، كل ما يرى وما لا يرى ، ورب واحد يسوع الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو للأب في الجوهر ، الذى به كان كل شيء والذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خطايانا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس ، وصلب عنا على عهد بيلاطس ، وتألم وقبر ، وقام من الاموات في اليوم الثالث على ما في الكتب وصعد الى السماء وجلس على يمين الرب وسيأتى بمجد ليدين الأحياء والاموات ولا فناء ، والأيمان بالروح القدس المحيي المنبثق من الأب الذى هو مع الابن يسجد له ويمجد ، الناطق بالأنبياء) (١)

ويستفاد منها كما يقول الشيخ أبو زهرة أنها تبنى على ثلاثة عناصر :

١ـ التثليث والأيمان بثلاثة أقانيم

٢ـ صلب المسيح فداء عن الخليفة وقيامه من قبره ورفعه .

٣ـ أنه يدين الاحياء والأموات (٢)

---

(١) مقارنه الاديان (محاضرات في النصرانية) الشيخ محمد أبو زهرة / ١٠٨ / ١٠٢

(٢) المرجع السابق / ١٠٨ / ١٠٩

فهذه العناصر الثلاثة ، لا تستطيع أن تقف على قدميها أمام النقاش العقلى ، ولا يمكن بأى حال من الاحوال أن يهضمها رجل الدين نفسه ، فضلا عن الرجل العادى فى المسيحية .

وهذا مما أضعف كيان المسيحية ، فلم تستطع الصمود أمام الدعوة الاسلامية ، فهرعوا الى الاسلام ، واعتنقوه وانتشر بينهم .

الباب الأول

الفصل السادس

الحياة الاجتماعية فى عصر عمر وتأثرها بالدعوة الاسلامية

ويشتمل على النقاط التالية :

١ ـ بيان كيف كان عمر يحمل المجتمع الاسلامى على اتباع منهج الدعوة الاسلامية فى الأخلاق •

٢ ـ مقارنة بما كان يجرى فى بعض المجتمعات المعاصرة له •

٣ ـ بماذج من تطبيق عمر رضى الله عنه فى المجتمع الاسلامى لبعض قيم الدعوة الاسلامية •

٤ ـ عرى المجتمعات المعاصرة له من هذه القيم •

الحياة الاجتماعية فى عصر عمر

كان عمر رضى الله عنه حارسا أمينا على بث الفضيلة بين الناس ينذر ويتوعد من ينحرف عن هذا الطريق الاسلامى : قال فى احدى خطبه .

فانما أعرفكم بما أقول لكم الا فمن أظهر لنا خيرا ظننا به خيرا ، وأثنينا به عليه ، ومن أظهر لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه ، اقتدعوا هذه النفوس عن شهواتها ، فانها طلعه ، وانكم ان لم تقدعوها تنزع بكم الى شر غاية [1] .

وكان يؤكد هذا المعنى فيأمر الرعيه بما أمر الله عز وجل من طاعته ، وينهاهم عما نهى الله عنه من معصيته وكان يعلمهم أن الناس أمامه سواء تطبيقا لنظرية الاسلام فى مبدأ المساواة وليس استثناء فى القانون وهو فى هذا لا يبالى بما يقع الحق عليه [2]

بينما أكبر امبراطوريتين فى ذلك الوقت وهى امبراطورية الفرس ، منحله اخلاقيا الى درجة كبيرة وأصبحت النساء والاموال لا حرية لهما ، فأصبح لكل فرد الحق فى الحصول على ما يريد من النساء والاموال من غير حواجز وانما هى شهوتى البطن والفرج تنطلقا كما يشاء لهما الهوى ، وذلك ادعاء منهم بأن هذه الاباحية انما المقصود منهما ازالة الفوارق بين الناس وقد ألممنا الى ذلك من مصادره .

فهذه صورة من صور ضياع الشرف والكرامة وفساد الاخلاق وخراب الذمم .
وكان المسلمون على قدم المساواة فى الحقوق والواجبات وأمام القانون فلا تمايز ولا تفاضل

---

(١) أخبار عمر (على ، وناجى الطنطاويان) / ٢٧٣ نقلا عن ابن الجوزى والعقد الفريد .

(٢) المرجع السابق ٢٨٠ نقلا عن كتاب الخراج لابى يوسف .

بالجنس أو اللون أو اللغة وانما كان التفاضل على أساسها رسم الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وذلك بيقظة الضمير وطهارة السلوك وشرف السيرة يقول الله سبحانه (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم [1] . ويقول الامام ابن كثير فى تفسير الايه الشريفة :

(١) الحجرات آية ١٣ .

فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية الى آدم وحواء عليهما السلام واحد وانما يتفاضلون بالامور الدينية وهي طاعة الله ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن أبي هريرة قال "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم ؟ قال أكرمهم عند الله أتقاهم وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم[1] وأكد الرسول صلوات الله عليه هذا المبدأ حتى أنه في آخر كلامه في حجة الوداع قال :

أيها الناس أن ربكم واحد ، وأن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا لابيض على أحمر فضل الا بالتقوى الا هل بلغت اللهم فاشهد[2]

وقد رأينا في فصل القضاء في عصر عمر كيف كان عمر رضي الله عنه يطبق هذا المبدأ في قضائه بين الناس حتى مع أقرب الناس صلة به ، وكان يبعث بذلك في رسائله الى ولاته وقضاته .

أرسل الى أبي موسى الاشعري فقال فيها قال : آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك[3]

والى سعد بن مالك "ان الله ليس بينه وبين احد نسب الا بطاعته فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عند الله بالطاعة[4] وعمر رضي الله عنه لم يكن يرى أو يرى له المسلمون أنه فوق القانون أو أن له امتيازا على غيره يحكم ولايته يعفيه أن يمثل أمام القضاء ليحكم القاضي بينه وبين فرد من أفراد المسلمين ، ويصرف النظر أن يحكم القضاء له أم عليه مادام يطبق موازين العدالة .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (الامام ابن كثير) جـ٤ / ٢١٧ .

(٢) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه (عباس العقاد) / ١٤١ ، مقارنة الاديان (د . احمد شلبي) ١٧٣/ (الاسلام) الاسلام ورسوله بلغة العصر (احمد حسين) ٢٣٨ .

(٣) اخبار عمر (الطنطاويان) ٢١٧

(٤) البداية والنهاية (ابن كثير) جـ٧ / ٣٥ .

ولا يتصور مطلقا أن تكون هناك صورة أقوى من هذه الصورة المثالية فى بسط المساواه فى المجتمع الاسلامى عن الشعبى قال "كان بين عمر وبين أبى بن كعب خصومه فقال عمر اجعل بينى وبينك رجلا فجعلا زيد بن ثابت فأتياه فقال عمر أتيناك لتحكم بيننا وفى بيته يؤتى الحكم ، فلما دخلا عليه وسع له زيد عن صدر فراشه فقال ها هنا يا أمير المؤمنين ، فقال عمر هذا أول جور جرت فى حكمك ولكن أجلس مع خصمى فجلس بين يديه فادعى أبى وأنكر عمر فقال زيد لابى أعف أمير المؤمنين من اليمين وما كنت لأسألها لاحد غيره فحلف عمر ثم أقسم لايدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض الناس عنده سواء(1)

وليست هذه المساواة بين أتباع الاسلام فحسب وانما شمل المسلم والذمى •

يقول الدكتور أحمد الحوفى : لم يفرق الاسلام بين المسلم والذمى فى المعاملات العامة لان الجميع سواسية أمام القانون لا تفضيل ولا محاباة حتى ولو كان أحد الخصمين مسلما رفيع المكانه والاخر يهوديا أو مسيحيا •

فقد شكا يهودى على بن أبى طالب للخليفة عمر فقال عمر لعلى ، قم يا أبا الحسن فاجلس بجوار خصمك ففعل على وبدى على وجهه علامة التأثر ، فلما فصل عمر فى القضيه قال لعلى أكرهت ياعلى أن تساوى خصمك قال لا ، لكنى تألمت لانك ناديتنى بكنيتى فلم تسو بيننا فخشيت أن يظن اليهودى أن العدل ضاع بين المسلمين(2)

فاذا أخذنا فى المقارنة بين هذه الحال التى كان عليها المجتمع الاسلامى وبين غيره وجدنا الفرق البعيد فبينما نجد مبدأ المساواة لفظا وتطبيقا بين ربوع المجتمع الاسلامى نجد الحرمان الكامل من هذا المبدأ فى المجتمعات الاخرى فها هى امبراطورية فارس أكبر امبراطورية معاصرة للدولة الاسلامية الجديدة •

---

(١) أشهر مشاهير الاسلام المجلدة الاولى (رفيق بك العظيم) ٣٨٣/

(٢) سماحة الاسلام (د • أحمد الحوفى) ٧١/ •

ادعى ملوكها أن دما الهيا يجرى فى عروقهم ، أو أن فى طبيعتهم عناصر علوية مقدسة ، وصدق الفرس هذه الدعوى فأنزلوهم منزلة الالهه .

وبالطبع قدموا لهم ما يقدمون للالهة من القرابين وأناشيد الطاعة والعبودية واعتقدوا .

أنهم وحدهم الذين يجوز لهم أن يلبسوا التاج ويسيطروا على الناس أيا كانت سنهم أو كفائتهم وفيما عدا الاسرة المالكة كان هناك المجتمع الايرانى بطبقاته الكثيرة التى تقوم هو واسعة بين كل اثنتين منها وكان كل انسان فى طبقة لا يستطيع أن يتعداها الى سواها من الطبقات مهما أوتى من كفاءة خاصة أو تجارب معينة[1] .

ويقول جرجى زيدان : كانت حالتهم الاجتماعية فى غاية الانحطاط قبيل الاسلام بمدة طويلة لانشقاق عصاهم بتشعب المذاهب عن مانى ومزدك[2] .

ونظرية الحق المقدس هذه اعتنقت بقوة فى عهد الملوك الساسانية[3] والطبقية فى الهند قائمة على أسس وهمية فقد ساد فيها الديانة البرهمية ، فقسمت الناس طبقات وذلك مبنى على حسب مارسم لها تفكيرها الخرافى ، فطبقة من رأس الاله وطبقة أخرى من منكبيه والثالثة من ركبتيه والرابعة من قدميه .

وكانوا لا يسمحون لطبقة أن تنتقل الى طبقة أخرى (أساس هذا التقسيم الجنس وتنقل الى الابناء بطريق الوراثه[4] .

وجاءت البوذية فعملت على الغاء الطبقات ولكن ذلك مشروط بالدخول فيها واعتناقها فلم تتخذ مبدأ المساواه لذاته وجعلت كل البوذيين لا كل البشر متحديين[5] ولم يكن اليونان بأحسن حال من هؤلاء .

---

(١) مقارنة الاديان (الاسلام) (د . أحمد شلبى) ٤٢/ نقلا عن كتاب ماذا خسر العالم من انحطاط المسلمين (الندوى) .

(٢) تاريخ التمدن الاسلامى (جرجى زيدان) جـ٤ /٥٦ .

(٣) فجر الاسلام (د . أحمد أمين) /١١١ .

(٤) مقارنة الاديان (الديانه القديمة) (الشيخ محمد أبو زهرة) /٤٥/٤٦/٤٧

(٥) مقارنة الاديان (الاسلام) (شلبى) /١٧٢ .

فقد كانوا يعتقدون أنهم شعب مختار وأنهم من عناصر تخالف غيرهم وان الالهة قد خلقت الناس طبقتين طبقة تسود وتأمر ويكون لها من المزايا ما ليس لغيرها وطبقة أخرى تستعبد وتعيش تحت رحمة أسيادهم ، وذلك راجع فى نظرهم أن الالهة زودتهم بما لم تزود به غيرهم وكانت حياتهم الاجتماعية مبنية على هذا التفكير . وكذلك الرومان ، فقد كانت قوانينهم الاجتماعية تجرد غير الرومانى من جميع ما يتمتع به الرومانى وذلك بالطبع لانه ركز فى عقائدهم أن غيرهم ليس عنده من المزايا والخصائص والمواهب التى يستطيع بها أن يقف على قدم المساواة مع الرومانى ويمضى الدكتور على عبد الواحد وافى مبينا نظرة اليهود الى غيرهم من البشر وأنها لم تختلف عن نظرة سابقيهم .

اذا اعتقدوا أنهم الشعب المختار وأن الكنعانيين شعب وضيع بحسب النشأة الاولى قد خلقه الله ليكون رقيقا للاسرائيليين وكانوا يعتقدون أن هذا الوضع قد نشأ من الدعوة التى دعاها نوح على ابنه حام ونسله . واستدل على ذلك بما جاء فى أحد أسفار التوراة وهو سفر التكوين أن نوحا قد شرب مرة نبيذ العنب الذى غرس كرمه بيده بعد الطوفان بدون أن يعلم خاصته المسكرة ففقد وعيه وانكشفت سوأته فرآه ابنه حام على هذه الصورة فسخر منه وحمل الخبر الى أخويه سام ويافث ولكن هذين كانا أكثر أدبا منه فحملا رداء وسار به القهقرى نحو أبيهما حتى لا يقع نظرهما على عورته وسترا به ما انكشفا به فلما أفاق نوح وبلغه ما كان من موقف أولاده حياله لعن كنعان بن حام ودعا عليه وعلى نسله أن يكونوا عبيدا لعبيد سام ويافث(1) .

وعاش المجتمع الاسلامى لعهد رضى الله عنه فى جو من الحرية بكل صورها وأشكالها من حرية للعقيدة وحرية ابداء الرأى وحرية شخصية وحرية نقد الخليفة رضى الله عنه وذلك حسب ما بينت الدعوة الاسلامية وقد سقنا فى فصل الفتح الاسلامى النصوص التى تؤيد دعوانا فى ذلك فطبق عمر رضى الله عنه هذا المبدأ الانسانى حتى أصبح المجتمع الاسلامى لعهد عمر مجتمعا مثالثا فى هذا المضمار وكان يدعو الى هذا المبدأ فى خطبه رضى الله عنه .

---

(١) المساواة فى الاسلام (د . على عبد الواحد وافى) ١٤/ ١٥/ ١٦ .

جاء فى كتاب اخبار عمر للطنطاويين نقلا عن كتاب الخراج لابى يوسف من بعض خطبه له قوله وأعينونى على نفسى بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر واحضارى النصيحه فيما ولانى الله من أمركم[1] بل كان يعلم الامة أنه فرد من أفراد المسلمين لا يمتاز عنهم الا بثقل المسئولية والعبء الذى القى علىَ كاهله وانه معرض للخطأ والصواب محتاج الى النصيحة الهادئة .

فلا يقولن أحد منكم : ان عمر تغير منذ ولى أعقل الحق من نفسى وأتقدم وأبين لكم أمرى ، فأيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة أو عتب علينا فى خلق ، فليؤذنى فانما أنا رجل منكم[2] ولم يكن رضى الله عنه يولى الولاة ليكتبوا حريات الناس أو يضعوهم تحت نير الزل والاستعباد أو يرهبوهم بالضرب والاذى وانما كان يوليهم لمصلحة المسلمين وخدمة الناس .

خطب عمر بنّ الخطاب فقال "أيها الناس انى والله ما أرسل عمالا اليكم ليضربوا أبشاركم .

ولا ليأخذوا أموالكم ولكن أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به ذلك فليرفعه الى فو الذى نفس عمر بيده لاقصنه منه وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص منه نفسه ، الا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجروهم فتفتنوهم ،ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم[3] .

ومن هذه التعاليم انطلقت الحرية فى عهد عمر الى مداها ،حتى أن الفرد العادى ذكرا أو أنثى كان ينقده رضى الله عنه أمام الجمع الحاشد من المسلمين ولم يكن رضى الله عنه يغضب وانما كان يسر ليقظته المسلمين وحبهم فى التعبير عن آرائهم وأفكارهم .

---

(١) أخبار عمر (الطنطاويان) / ٧٧

(٢) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) جـ٤ / ٢١٥ .

(٣) أشهر مشاهير الاسلام المجلدة الاولى (رفيق بك العظيم) / ٣٩٥

كما حدثنا التاريخ أنه رضى الله عنه وقف يخطب فى شأن العطاء ثم أخذ يعلن فى آخره عن الدوافع التى أدت به الى عزل خالد بن الوليد ، وهى أنه خالف رأيه وقسم المال على غير وجهه الصحيح ، فأعطاه ذا البأس وذا الشرف وذا اللسان .

ولكن قريبا لخالد لم يقبل هذا البيان العمرى وأعلن استياءه لعزلة فقال : لقد نزعت عاملا استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعت أمرا نصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأغمدت سيفا سله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقطعت رحما ، وحسدت ابن العم .

فرد عليه رضوان الله عنه ردا جميلا وفى نفس الوقت درس تربوى عظيم له وللاجيال المعاصرة والمقبلة .

"انك قريب القرابة ، حديث السن[1]

وذلك أن التعصب كثيرا ما يبعد الانسان عن رؤية الحقيقة فاذا انضم الى ذلك عدم الخبرة والمران والتجربة لصغر السن كان فى ذلك بعد وأى بعد عن المعرفة وكل ما أوردناه فى هذا الشأن يدل دلالة صادقة على ما وصل اليه المجتمع الاسلامى من حرية منقطعة النظير فاذا أخذنا بالموازنة بين هذا وما كان عند الامم من كبت للحريات واهدار للقيم الانسانية الفاضلة تبين لنا ولغيرها عظمة التشريعات الاسلامية فملوك فارس قتلوا الحرية بجميع أنواعها وعمت العبودية ، وذلك مراجع الى التفكير الذى صبوه فى أدمغة الناس أنهم من طينة خاصة وصدقهم الناس فى هذا الزعم ، مما جعل الناس يذعنون على هذا الفهم القاصر ويطيعوهم طاعة عمياء من غير نقاش ولا اعمال للرأى ولا تحريك للفهم .

وفوق هذا الاعتقاد الذى سرى فى النفوس فان الملوك كانوا يؤكدون هذا فى أقوالهم التى يذيعونها عليهم .

---

(١) أشهر مشاهير الاسلام المجلدة الاولى (رفيق العظم) / ٤٠٧ .

روى صاحب الاخبار الطوال :

أنه لما مات أنو شروان ملك ابنه هرمز فقال يوم ملك : الحلم عماد الملك ، والعقل عماد الدين والرفق ملاك الامر ، أيها الناس ان الله خصنا بالملك ، وعمكم بالعبودية وأعزنا وأعزكم بعزنا ، وقلدنا الحكومة فيكم والزمكم الانقياد لامرنا ، فمن غمط نعمتنا وخالف أمرنا وحاول مانهيناه عنه ، فانا لانكاد نصلح رعاينا ونضبط أمورنا الا بتنكيل من خالف أمرنا .

وتعدى سيرتنا وسعى فى فساد سلطاننا :

وكان هذا هو منهج من جاء عقبه فقال فى هذا المعنى : أيها الناس ثابروا على ما يقربكم منا من طاعتنا ومناصحتنا ، وعدم مخالفة أمرنا ، والبغى علينا فانا لكم بمنزله العرى والاركان[1]

وعندما ننظر الى المسيحية نجد أن فيها رجالا زعموا أنهم وصله بين السماء والارضيون هنا فرضاؤهم يعنى رضا السماء وسخطهم يعنى غضب السماء ، كما زعموا أنهم وحدهم الذين يفهمون الكتب المقدسه ، ومن هنا يجب أن يخضع لهم المسحيون ويطيعوهم طاعة عمياء من غير نقاش ولا أعمال للفكر ، فبذلك يعلم أنهم قد حجروا على العقول وكمموا الحريات وعطلوا الطاقات الفكرية التى أودعها الله عز وجل فى الانسان .

وقد بنوا هذا على ما جاء فى الانجيل "أعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطا فى السماوات وكل ما تحله على الارض يكون محلولا فى السماوات[2] كما ورد فيه : الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الارض يكون مربوطا فى السماء وكل ما تحلونه على الارض يكون فى السماء .

---

(١) الاخبار الطوال (الدينورى) ٨٥/٧٧/٧٥/

(٢) انجيل متى ١٦ ــ ١٩

ويعلق الامام محمد عبده على هذا الكذب على الشعوب المسيحية بقوله :

فاذا قال الرئيس الكهنوتى لشخص انه ليس بمسيحى صار كذلك ، واذا قال انه مسيحى فاز بها فليس المعتقد حرا فى اعتقاده ، يتصرف فى معارفه كما يرشد اليه عقله بل عينا قلبه مشدودتان بشفتى رئيسه ، وهذا الاصل ان نازع فيه بعض النصارى اليوم فقد جرت عليه النصرانية خمسة عشر قرنا طوالا[1].

كما الزمت الطبقات الهندوسية أن تسطيع الملك وليس لاحد ما أن ينتقد ، أو يعلق على تصرفاته مهما كانت ظاهرة البطلان .

وقد جاء فى شرائع (منو) ما يدل على تهديد أى كاهن يبدى رأيا ، ويأمر الملك بصب زيت حار فى فم الشودرا وفى أذنيه اذا ما بلغ من الوقاحة ما يبدى به رأيا للبراهمة فى أمور وظائفهم . /

واليهودية هى الاخرى حجرت على التفكير البشرى فلم يكن اليهودى حرا فى البحث بل عليه التسليم والاذعان للاحبار والكتبة والقديسين[2]

---

(١) الاسلام والنصرانيــة مع العلم والمدينة (الامام محمد عبده) / ٢٣ .

(٢) مقارنة الاديان (الاسلام) (د . أحمد شلبى) / ٢٣ .